

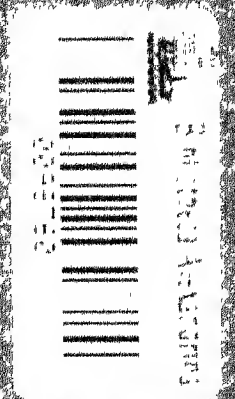
مطبعة دار الكتب
بمكة المكرمة

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للخطيب

مطبعة دار الكتب
بمكة المكرمة



RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tadj.)

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للجِظَا

بِتَحْقِيقِ

الْأَمِينِ أَحْمَدَ زَكِيَّ شَا

كاتباً سرار مجلس النظر

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	فطرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستغناء ابن التديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستغناء أبي حيان التوحيدى
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خافان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيد له هذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول بيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٧٣ - ٨٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للمحافظ

صفحة

١

المقدمة

٤ إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧

... .. فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

... .. الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧

... .. الأوساط: سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨

... .. استقبال الملك للساوین له وتثنيته أيام

٩

... .. مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١ تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

... .. مانعه حاجب المنصور العباسي مع الفتي الهاشمي، لتأديبه

١٣

... .. تخفيف الندماء والنواص على مائدة الأكابر

١٣

... .. عقوبة الشر عند القُرّس

١٤

... .. مباسطة الملك لثواكله

١٤

... .. بين معاوية والحسن بن علي، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥	ضيافات معارية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	إخبار سابور لرجل، رثمته لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	غسل اليد بحضرة الملك
١٧	إيناس الملك لمدعويه
١٧	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل الغمر [أي منشفة التفر]
١٨	حديث الملك ومحدثته على المائدة
١٨	زمزمة القُرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعله عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء، وأحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كيفية الشرب وكيفيته موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمنعنين عند القُرس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	إحتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	مناقبة أردشير لنفسه، لمخالفته هذا القانون
٢٨	إختلال هذا النظام أيام بهرام جور، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المنسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة شيم في وجهه، هنزلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليان، وهشام، ومروان الجمعي ...
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السفاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمروة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرشيد
٤٢	الأمين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "الساچ"

صفحة	
٤٩	عَدْلُ الْمَلِكِ فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ
٤٩	مَكَالِمَةُ النَّدَامَةِ لِلْمُلُوكِ
٥٠	مَنْ الْمُلُوكُ بِنَعْمِهِمْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقَطْ
٥١	عَدَمُ الْمَعَاقِبَةِ فِي حَالِ الْغَضَبِ
٥٢	آدَابُ الْبِطَانَةِ عِنْدَ قِيَامِ الْمَلِكِ
٥٢	عَدَمُ الدَّقِّ مِنَ الْمَلِكِ، إِلَّا بِشُرُوطٍ
٥٣	الِاسْتِمَاعُ لِحَدِيثِ الْمَلِكِ
٥٣	(كَلِمَةُ لَعْمَرُونِ الْعَاصِ عَنْ جَلِيسِهِ وَتَوْبِهِ وَدَائِبَتِهِ)
٥٤	(كَلِمَةُ الشَّعْبِيِّ عَنْ قَوْمِ يَتَنَاقِدُونَ وَيَتَفَاهَمُونَ)
٥٤	كَلِمَةُ الْأَمَامُونِ لِسَعِيدِ بْنِ سَلَمِ الْبَاهِلِيِّ عَنْ حَسَنِ إِفْهَامِهِ وَحَسَنِ فَهْمِهِ
٥٤	مَا حَصَلَ لِجَلِيلِ كَانَ أَنْوَيْدِرَوَانَ يَسَايِرُهُ
٥٥	مَا رَقَعَ لِأَبْنِ شَجَرَةِ الرَّهَاقِيِّ حِينَمَا حَدَثَتْهُ مَعَارِيَةٌ
٥٨	مَا رَقَعَ لِأَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ حِينَمَا حَدَثَتْهُ السَّقَّاحُ
٥٩	(كَلِمَةُ أَبِي عِيَّاشِ الْمُسَوِّفِ فِي آدَابِ الْمَحَادَثَةِ)
٦٠	(كَلِمَةُ رَوْحِ بْنِ زَيْنَبٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	(كَلِمَةُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	(كَلِمَةُ مَعَارِيَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦١	آدَابُ أَهْلِ الزُّلْفَى بَعْدَ الْمُضَاحَكَةِ مَعَ الْمَلِكِ
٦١	تَتَكْرُّ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ
٦١	صَبْرُ الْمُلُوكِ عَلَى مَضَضِ الْحَقْدِ حَتَّى تَحِينَ الْفُرْصَةُ لِلْإِنْتِقَامِ
٦٢	مَعَاقِبَةُ أَنْوَيْدِرَوَانَ لِمَنْ خَانَهُ فِي حَرْبِهِ
٦٥	نَكِيَّةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَنْ فَازَهُ الْمُلْكُ
٦٦	نَكِيَّةُ الرَّشِيدِ بِالْبَرَامِكَةِ

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٦٦	مراعاة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بمحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بمحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصحاب في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيبته
٧٠	الزُّبَّاء على مجالس ملوك العجم عند ضيائهم
٧٠	مواطن المكافآت
٧٠	بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خُلُق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة، وعلومه
٧٢	عُدَّة الملك في خروجه لسفر أو زهرة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك لمُلاعبه
٧٢	حقُّ الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبة ساهورلنديه على أمر مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكُرَّة وغيرها
٧٤	لُعبة الشَّطرنج بمحضرة عبد الله بن مأمَر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت المَلِك سِمَةً من النِّزَم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مسامرة الملك
٧٧	سُة أكابر العجم عند تهيئهم للسامرة

فهرس كتاب "الناسج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبذ أثناء مسيرته أقباذ
٧٩	ماحصل لشرحيل أثناء مسيرته لمعاوية
٨٠	تحذير لمن يسير الملوك
٨٠	نظير العجم من مسيرة الملك المنصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسمّاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما ناله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الاسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه
٨٩	الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الخماة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إمتحان أبرر رجاله في حفظ السر
٩٥	إمتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	إمتحانه من يظن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	منازل بهرام جور عن سرقة اللجام المحلى بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فہرس کتاب "التاج"

١٠١	تفاؤل معاوية عن كيس الدنانير ...
١٠٢	الرة على قولهم : "المغبون لامحمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى ...
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا ...
١٠٣	سليان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداه ..
١٠٤	جعفر بن سليان وسارق الدرّة الرائعة
١٠٤	أكرام أهل الوفاء وشكرهم ...
١٠٥	قُباذ ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السفّاح لروان بن محمد الجمعدى ، بعد قتله ...
١٠٩	نخاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأساورة المتفرون إليه يقتل ملكهم
١٠٩	شيوخه وماده على أيّه أبررين
١١٠	المصور العباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المصور العباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الأدب عند ما يتكلّم الملك ...
١١٢	الأدب في تحديث الملك ...
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك ...
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتين على الملك ...
١١٣	كلمة روح بن زنباع في المعنى
١١٤	كلمة الشعبي في المعنى
١١٤	كلمة السّفّاح في المعنى ..
١١٤	ثمة ابن عياش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس کتاب "التاج"

[illegible]

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ما صنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه رّوح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان واستعادة رضاء عليه ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهمل الحمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحقوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان، وأمثولة "كليلة ودمنة"
١٣٩	صفاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك، ونظام التشرّفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاتهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم أقتدى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	لهو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاءة
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تعطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس کتاب "التساج"

٦٣	العقوبة الربانية للظالم
٦٤	ما صنع بهرام جور لأخذ ملك أبيه
٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
٦٧	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك
٧١	التمييز بين الأتلياء والأعداء
٧٢	بماذا تطول مدة الملك
٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
٧٣	سنة الأعاجم إذا دهمتهم الكوارث والعظام
١٧٥	ما فعله معاوية أيام صفين
١٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

التنويه بالأمر الفتح بن خاقان، الوزير العباسي ١٨٦

٣ — ملحقات الكتاب

صفحة	
١٨٩	تكميل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحيحات لأغلاط مطبعية
	استدراك لهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي أنفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطاً للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
	الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣	الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	» » الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
	» » الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

٥

كلمة باللغة الفرنسية عن الجاحظ ومشربه ومقامه في عالم الأدب عند العرب بآثر الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

لكتاب "التاج"

—••••—

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بدئ^(١)
بالنعمة قبل استحقاقها".

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج". وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك".
نظرة عامة
في الكتاب، مؤلفه.

هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف، ومنشأ أرباب
الغايات؛ أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده،
بما تقرّاه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صُدّر سهل بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر "البيان والتبيين"
(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مرآةً يُعجّل فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آتتبس العربُ بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسوودة من آل عباس، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرير الخلافة سابعهم، الميمون النقيبة، المبارك الناصية، وأعنى به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : نتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسئ الجاحظ خُطته ومنهاجه فيسرد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفة في تلك الأيام، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام.^(١)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من غول البلاغ . قال الجاحظ : ” ولو شئنا أن نقول إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقائنا . ولو كان خلاف ذلك ألدّ ، لكنت الملوك بذلك أولى “ . أنظر كتاب الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهمداني في ” صفة جزيرة العرب “ : ” وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) — ومعلوم أن الإمام أن بنى ألف كتابا سماه ” النصريف الملوكي “ .

(٢) كان السواد شعرا لئلي العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ ” المسوودة “ [بكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم اليباض ، وذوهم والمتصرون لهم يسون ” الميضة “ [بكسر اليااء المشددة] . وقد أصرّح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : ” سود أهل المدينة الفلانية “ أو ” يفضوا “ دليلا على أنفوساتهم تحت لواء العباسيين أو أنضمامهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٤ ، ٥ من ص ١٤٦) ، ثم (ص ١١ من ص ١٦٠) من كتاب ” التاج “ . وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا القليل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه المحافظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية ، وفي أنديةهم العمومية ، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم ، وقصصهم في ليالي أنسهم ، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حفظهم ، ومسارح ههؤهم ، ومراتع طربهم . وناهيك بمجالسهم في الأغاني والمنادمة ، وبجامعهم في الملاعبة والمداعبة ، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأمائل في أيام العرب ، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن المحافظ أستخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد آنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى ما يراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف أستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "إخوة" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتدانية . وقد أستخدم المحافظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة ورلى الدعوة إذا جاء رسوله - والقوم في أخوتهم وأنديتهم - فقال : أجبوا إلى طعام فلان . بلعلمهم جفلة واحدة - وهي الجفالة - بذلك هو المحمود . وإذا أنتقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ؛ وقم أنت ، يا فلان . فدعا بعضا وترك بعضا ، فقد أنتقر" . [والقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلون "أخوتهم" بالخاء المعجمة . ولا راحة للاجتماع في هذا المقام ، والإعمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل المحافظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الاستطرادين الطويلين العريضين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره آبن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرا مكتوما في ضمير
الزبائن .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير مالا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجسس فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طُوب قُبُو بمدينة القُسطنطينية في مجلدة
- هي لعمرى ! - من أنفس النخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنما تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب ^(٢) ، لأبن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير ^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه " الأدب الكبير " بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه مانعه : " يتلوه كتاب " التاج " للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَسَرَّحَانْ مَا تَجَرَّدَتْ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النَّيْلِ - فِي جُمْلَةٍ مَا تَصِيدُ تُتَّى مِنْ مِفَاحِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيَانَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ . فَهِيَ خَلُوهٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آلَتْ إِلَيْهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مَقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْجُزْئِيَّةِ أَوْ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ رَأْيِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكِتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةً مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةُ مَكْتُوبَةٍ فِي أَسْفَلِ طَرَفِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ لِلنُّسخَةِ مَكْتُوبَةٌ فِي حَلَبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مُشْكُولَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ . عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصِحُّ الِاعْتِدَادُ بِهِ أَوْ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، إِنْ لَمْ تَقْلُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنِّهَا - مِمَّا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ . إِذْ أَنَّ حَلَبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ تُعْتَمَلُ تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتُبَايَ الْمُحْمَدِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حِوْزَةِ خَلْفَائِهِ إِلَى أَنْ أَتَرَعَهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانَصُوهُ الْغُورِي فِي سَنَةِ ٩٢٢ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

في ضمن الغنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبَان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكانتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير^(١) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها آتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرضِ أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصرى الذى كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمته بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذى سبق لنا الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما آتته إلى وسعى وبلغه مدى جهدي . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالاتنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية آستعمالها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والانتشار ما هو

خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أننى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل^(١)، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابغة بهزية لم يشركه فيها إلى اليوم أحد غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نفقات صدره ونفقات قلبه ماعتمت أن أصبحت متاعاً مشاعاً ونهباً مقسماً بين فرسان الكتابة وقرصان الأدب . فقد يما سطا عليها المتقدمون من أرباب الأفلام، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لاتزال ملكاً مباحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طرفة لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قزرها القاضى الفاضل، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! ألفا تراه قد سبجل اعترافه على نفسه، وشرع هذا المورد لمن أقتدى به أو حاول الجرى على سَنِّهِ، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما الجاحظ، فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل داره، أو شنَّ على كلامه الفاره، وخرج وعلى كتفه منه الكاره"^(٢) ؟

(١) لذلك أقتصرتُ فى الفهرس الأبجدي الأول من الفهارس الملحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنتمتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الروافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكارة ما يحمله الرجل على ظهره من اليااب . وهى تقارب التى نسميها الآن فى مصر "بقجة" . كلمة تركية، وعربيتها الفصحى "بجكة"] .

كتاب التاج

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأب في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بترا أو يمسخونها مسخا. وكأني بهم قد تماؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمر يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علقت عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفت إليه في "تكميل الروايات"^(١).



لكن العجب العجيب، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب، لم يُشر إليه واحد منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفت عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين، مع شدة التنقيب والبحث، وهداومة التقلب والحرج.

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل، لم يشيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج"^(٢).

من اسم هذا
الكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الالفة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .

(٢) في "أساس البلاغة" : "برئت القرآن : أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج العروس" : "الحرج : تفتيش الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبد الله : أحرثوا هذا القرآن ، أى قدشوه وتؤروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين لحرج الأرض ولحرج العلم ، فيقولون : Cultiver une science و Cultiver une terre .

(٣) مع أنه هو المكتوب على ملزة النسخة المحفوظة بخزانة طوب قبر ، كما تراه في أحد الروايز الفتورافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الروايز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبر] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضائها -
مُشكلها .



فَزِعْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد تَوَّه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفها
الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضاً؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" .
ثم رجعتُ إلى ثَبَّتْ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي^(٢)، وراجعتُ ما كتب
عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات"^(٣)، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" .
ونظرتُ فيما أورده كاتب چلي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أرَ في كل ذلك أثراً لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني
وجدتُ لياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب چلي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً
عنوانه "أخلاق الملوك" . فتَحِيلْتُ أن الكتاب واحدٌ، وله اسمان .

أُكِّدُ ذلك الظنَّ عندي وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية
من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها
"كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . ورنه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنيطي بدار الكتب
العثمانية . كتاب الصحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فثأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذي تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجوليوث ، المستشرق الإنكليزي

(٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطبر

المذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة

جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لـ بالفتوغرافية صديق الشيخ فرانسكو قُداو

D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (Im'ulibé Chabot) المستشرق

الفرنسي ، فأتحفني بصورة فوتوغرافية من النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨)

فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بعضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرئاسة"^(١).

وقد حصلت، بحمد الله، على صورتها الفوتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنت من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوى على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيته . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دأنا نصها : "وكان في المنقول عنها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجع عندى أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان ، أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أى بعد عصر ياقوت والصفدى وابن شاكر الكتبي . على أننى لا يتسنى لى أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذى أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

عبد الله التحفقي
في أسم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذى كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آستمد ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ لليلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفوتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خلُف من العنواين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“. بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئاً على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان فى ضاعيفه وشاياه كتب أخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل فى تلك الخزانة نفسها .

لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو، قد اقتصر على مارآه فى صدر الورقة الأولى ؛ وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه“ دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً، وذلك لأنه لم يرد فى طرة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاص له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغير“ وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقى الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قيو، واحداً واحداً، كما أتيج لى منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

عود الكلام على
أسم التاج
والكتب المسماة
بهذا الاسم



وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة^(١).
وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها غروانات مختلفة. بل هو نفسه يسميها
بأسماء، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل^(٢).

وبعد، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مولعا بأبن المقفع، ومُعجبا به وبآثاره.
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعاً لذلك الكاتب
العظيم، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان"^(٣)؟

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين.
فاختاره نفر من صدور الصدر الأول، وعنونوا به بعض كتبهم، مجازاة لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم".
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أنتمها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي للملوكهم"^(٤).

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت. فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب"، وباسم "طبقات
الأدباء". ومثل ذلك كتاب المقرئ، فإن اسمه "المواعظ والأعذار"، وهو مشهور باسم "الخطوط".
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون؟ وأشياء ذلك كثيرة جدا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث، أو كما يقول الجاحظ: "كل من كان كلما بترافها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب". أنظر كتاب الحيوان (ح ٣ ص ٧٣).

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان: "من هو الجاحظ، وما هي مصنفاته"؟ وسأشرها فيما بعد.
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية. وذكره صاحب كتاب الفهرست. وعليه بحث
مفيد وضمه بالغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancev في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢).
(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أئزل كتاب صدر بالعربية هذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج لأبي عبيدة، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب المهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب " التاج " - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ١١٦ ، ٢٦٦) ، ولا ما أورده ابن تينبة في كتاب " عيون الأخبار "] .
(٢) ذكر القفطى في كتاب " إسماء الرواء على أنباء النعاه " كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم " التاج " والثاني باسم " الديباج " (أنظر السعة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان، في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأبارى في " نزعة الألباء " ولا السيوطى في " بنية الوعاة " . وقد نقل ابن تينبة عنه في العقد الفريد عن " كتاب التاج " الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن التيم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب " تاج العروس " في مادة (ح م ر) لم يذكرأله غير كتاب الديباج . وما ينبغي أننده إليه أن العبارة التي نقلها صاحب " تاج العروس " عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) راها واردة بنفسها تقريباً عن " كتاب الديباج " أيضاً في كتاب " الكامل " للرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضاً مع زيادة وقص طفيفين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب " التاج " لأبي عبيدة . نعم إن التحريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا " التاج " ثلاث مرات وقد شهد القفطى وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما " التاج " والثاني " الديباج " . فهل هما كتاب واحد ؟ وما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم اتقه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن النقول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاهيم العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيراً في منالهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لابن الراوندي، المتوفى سنة ٣٠١. [وقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(١) في تخاب سباه "السبك"^(٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المنتوج في العدل والسياسة"^(٣).
- ٥ - كتاب التاج، لابن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.^(٤)
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع.^(٥)
- هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره.^(٦)

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيهقي في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦، ٢٠٦٦، ١٣٢٤٢، من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فآلفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تاج الحرة للعري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المذكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج الملئ، تاج المفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلبة ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كعبة العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح وجزأبي مفرق، تاج المعارف وتاريخ الخلاف، تاج المفرق في تحليلة علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزاة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، التلخ.

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا في أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

فن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحواً من ٣٦٠ مؤلفاً، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريباً في مشهد
أبي حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئاً من أسمائها في "مرآة الزمان" .

ولما كان الجاحظ لم يُشر في مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جداً من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر في شك مُريب .

نظرة في أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب في مجوعته قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته وبجأته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته في الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، آلهام إلا فيما لا يُؤبّه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاق لا دفتر تبين وبيان، وأنه
خاصٌّ بموضع معين محصور في أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

كتاب التاج

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دقنها الفرس في آيئهم وقوانينهم^(١)، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سائحة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي الببابة الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج ، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) الببابة معناها : الحد ، الوجه ، المصلحة ، الشرط ، القيل ، النوع . وأسمئنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بابة الكاب ، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بابته " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) : أبياتا تميم بن مقبل ، هذا محل الشاهد منها :

بني عامر ، ما تأمروني بشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلبيين الأولين من الشطر الثاني من البيت الأول (كما صحف وعرف ومسخ وشوه في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصى) فأوردهما هكذا "يجبر بابات" ولكن الصحيح ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأزل في مادة (ب وب) ، مثل روايته وقد فسره بقوله : معناه تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البهلاء : "أنت من ذى الببابة ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه الببابة" (ص ٤٥ ، ٤٣) =

كتاب التاج

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرابة على طبعه وتخيُّره.

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كما كانت له نُهْزة أو تجددت لديه الفرصة، بل كما تراى له شقُّ ضئيل يفضي به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدم له في بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بله نجد ما هو أبلغ.

أفأ تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٢). ومثلها كتاب "البغلاء" في موضع واحد أيضا^(٣).

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢٤ ج ٣ ص ٥١ ج ٤ ص ٦٩ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و(ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ من ص ٥٣، ٥٤) و(ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سبرة وبند الأدلى، نراها بنصها وحررها تقريبا في كتاب "البغلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الملاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرّة واحدة - إلى المتقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان آتبع عمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الملاحظ . وقد أشرتُ إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حلت بها صفحات هذه الطبعة ، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثراً محسوساً ملموساً نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الملاحظ . فهذا المسعودي ، قد استحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولا أضطر لنقل حكم الملاحظ ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل آكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢) .

وهذا البيهقي ، هذا حذو المسعودي . ولكنه تحبّط عند ما نقل حكم الملاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه^(٣) .

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٤ و ٣) فيها ، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) ذهاباً .

وهذا صاحب "معاسن الملوك". سطا تلى "التاج" فنقله كله تقريباً : تارة بالحرف وغالباً بالاختصار . وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط ، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها ^(١) .

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها ، كما يقول الجاحظ ، قائماً في العقل مُطَرِّداً في الرأي غير مستحيل في النظر ^(٢) - فإنها ، والحق يقال ، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذى يحسن التسليم به والسكوت عنده ، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذى تتلج به الصدور . ونحن إنما نتلمس البرهانات الثيرة الناصعة ، والمجج الظاهرة الساطعة ، والشهادات القائمة اللامعة ، التى ينتهى إليها العلم ، ويقف عندها اليان .



وحيث أن فلاسبل لإزالة الإبهام وأستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا آستفتينا رجلين هما عمدة التحقيق فى هذا الباب ، لأن قولهما هو الفصل الذى لا تقض فيه ولا إبرام . أعنى بهما : محمد بن إسحاق النديم ، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير . فكان حقا علينا أن نسألهما ، فعند جهينة الخبير اليقين .

مراجعة الميون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذى ألفه العلامة آبن النديم ، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ فى ليبسك ، مدينة العلم بألمانيا . ولكننا لانرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد .

استفتاء آبن النديم ،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها .

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧) .

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالجاحظ ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة^٢. وقد ثبت ذلك مثل وصح النهار، بأمور ثلاثة :

أزلا - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإحصائي. لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "المُخصى" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على أسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصاغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسب إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمتى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "يختص فلان بالأمر ويخصص له إذا أقرده" . فإن كان أخصاء الإحصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جار بناهم ، ولكننا دفعنا الابس العائق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٤٥ و ٣١٥) ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧ و ١٧٠ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٢٠ و ٣٧٦ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

كتاب التاج

ثانيا - أن الأستاذ هوتسما Houtsma دثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا تفتة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثا - (وهو أبداها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(١). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تملّقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أفرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، النائبي، أبوعل الجبائي، الرّياضي، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (TVZKLM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، ورّاق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوبرلي .^(١)

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُببط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصبغة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فاحرة إلى خزانة كُتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة .^(٢) ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالي للكلام آخر تقدّم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسماة بالتذكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ -

(٧) وقد نبّه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة . وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هوتسما هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بَلَّه في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . وَلَكِنْ أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيب : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أترىص إلى أن تُبَيِّح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تفریط الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد أستوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد أستوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول “ ؟

استقتا. أبي حيان التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٥٨ ، ٦٩) في ترجمة الجاحظ .

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع.

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول:

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم: الفتح بن خاقان، ومحمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ.

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا!

التعريف بالفتح
ابن خاقان

١ - الفتح بن خاقان. هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراماً شديداً. وكانت له حِزَانَةٌ حكيمية لم ير الناس أعظم منها: كثرةً ونحسناً. جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما أستكتبه الفتح نفسه^(١).

وقد كان يشمل برعايته كثيراً من أكابر العلماء^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكويت^(٣). ومن كان في جملة المفضل بن سامة اللغوي المعروف^(٤).

(١) أنظر كتاب الفهرست، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب النابوية: في ترجمة الفتح بن خاقان).

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته.

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل).

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣).

كتاب الساج

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه . وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قدموها إليه - ومن جملتهم
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير" . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سياتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسعتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أغلاط مطبعية كثيرة .
ولست المخطوطات من الطراز الأزل من حيث الصعة والضبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحسنا. ولا شبهة لنا في أنه من تصليف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يالها الملوك والأمراء والورراء والسادات. ونحن نعلم أنه كان فارسا مقداما وأنه قتل أسدا، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحتري.

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث.

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١). ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢). وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه: "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣).

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد أشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه.

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محذوفا عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢).

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست.

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل).

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“ . لأنه ربما يكون قد فاتهم ، هذا إن كان . ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح ، أو لمحمد بن الحارث ، أو لملاحظ .

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذى بأيدينا . لأن كتاب ”التاج“ يتضمن فى أوله وفى آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتتويها بذكره ، وينادى صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١) .

ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذى ألفه محمد بن الحارث أو الملاحظ باسم الفتح ، ثم نتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلى كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“ . ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم ، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود فى النسخة المطبوعة^(٢) .

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده .

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث الثغلبى (أو الثعلبى) الذى يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣) .

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير . وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الملاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

كلام عن محمد
ابن الحارث

(١) أنظر (ص ٤ ١٨٦) من كتاب التاج .

(٢) فى نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر . مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التى ثبت أنها من تأليف الكوفى . أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣) .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨) .

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما ترى المتفحصين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فكون شأنه حيثنذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

كتاب التاج

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمدوه في طبع "المروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهرست" في ايبسك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذى بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فعمالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتجهل به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استغناء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يُدلى بمحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب يُتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطابع المتمكن ، والمعانى التي إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثناياه وأعطافه ، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصائغه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد ، ورب الكلام الذى له ما

(١) وقد ثبت لنا عن باتوت أن فيها تعرفا كثيرا ، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشى المتقدمة (٤٠) .

وروتى ، وفيه قزة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصيارفة النثر والنظام وجهابذة المعاني .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجمل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهيج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحبسه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ ، ونشهد اللفظ يحارى المعنى : بطريقة تنهش لها الأسماع ، وتلتحم بالعقول ، وترتاح إليها القلوب ، هنالك نجد اللفظ كريما في نفسه ، متحيزا إلى جنسه ، متخيرا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا ، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا ، وترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإننا قد رى الملك يحتاج إلى الوضع للهوى ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلى الناسك لخطئه ؛ ويحتاج إلى أهل المزمل ، كما يحتاج إلى أهل الجدة والعقل ، ويحتاج إلى الزامر المطرب ، كما يحتاج إلى العالم المتقن .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٣٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خصيس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة ذبيحة كآبن حائك أو نجّام ، ولو كان يعلم النيب مثلا .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأجراها بأحلافه أن لا يؤاخذ به بزلة إن سبته ، ولا بلفظة إن علبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حُلّ وقصه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان من يعرف ما يأتي وما يذر؛ وكان إذا رام أحد أخذ ماله ، قاتله دونه ؛ وكان إذا شتم ، غضب وأنصر ؛ وإذا تكلم ، أفصح بقل سقطة ؛ فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أنها وب قصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسلطانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأس - دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقونة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية وبماة خز سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تعصم يده منه . فغظر إلى هيئة ملائكة قلبه ، وكان جسيما ، فقال : " يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وهيمة ما تصالح إلا لواحد من الخلق " . فأنصرف فلم يأت حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من سخائه ، والرجل من حاميته وبطانيته : إما لجنايته في صلب مال ، أو لخيانة حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات وبعد أول بوادر الغضب .

بعض مصادره

ثانياً - إن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لاريب في أنها من آثار "الجاحظ".

فقد أعتمد الجاحظ على^(١) ابن نجيج وعلى^(٢) إبراهيم بن السدي بن شاهك وعلى محمد^(٣) ابن الجهم وعلى^(٤) صباح بن خاقان .
وكذلك شأنه في النقل عن "كَلِيلَةِ وَدِئْمَةٍ"^(٥).

أما المدايني والهيثم والشرقي بن القطامي، فالنقل عنهم كثير جداً في كل كتبه .
فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصددده .

تكرار الجاحظ
وترداده

ثالثاً - إن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد، وهو أمر نشاهده أيضاً في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

- (١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩) .
- (٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ج ٥ ص ١٠٣ ، ١١٩ ، ج ٧ ص ١٢) وفي "البخلا" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ١٢٩ ، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "الغنى والنساء" (ص ١٦٧) .
- (٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلا" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥ ، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٣٥٢ و ٣٥٤) .
- (٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦) .
- (٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨ ، ج ٧ ص ٢٩ و ٣٠) .

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكيفية الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦٨، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالاته على وجوب الاحتياط على الملك عند الدتومنه (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

شارته إلى كنهه
المتفكرة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

واعل قائلا يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه لبس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأرئيك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . والله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"البستان" لا تختمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى ضن بها علينا الزمان ؟

بمحل التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء

كان لإرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبادئه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسوداته وتجاريده ، ثم أُنقطعتُ لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغتُ من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلتُ للطبعة الأميرية الإذن بأعتاد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقَت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فقد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجلٌ من الذين يتعاطون تجارة التعانف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فتصفحَها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتياجي وسروري حينما عثرتُ في حملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرعتُ فطلبتُ من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفُّح هذه النسخة الثالثة التي أُسميها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وحرنا حرفا . تألفت في "الحليّة"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . وجدتُ فيها بعضا من العبارات التي
اعتمدتها في طبعتي، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحليّة"
من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الرائدة أو الناقصة ، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي
يعتني منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية ، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هي التي أكتفيت بتحريرها في باب
عنونته باسم "أستدراك" وأضفته عقب باب "التصحيحات" حتى يكون "التاج"
متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (سـ) في صفحة ١٣١ و ٣٢ من هذا التصدير ، فلا بد لي من أن أقول
في هذا المقام إنني أكلتُ كلاً من هاتين النسختين بالأثرى ، وأتعبتُ نفسي كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات ، ومن
تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شمرْتُ عن ساعد الجسد ، وراجعتُ كتب الثقات ، وبذلتُ كل
ما في الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور ، حتى
جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم ، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق ،
ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخیلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيتاه قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثسوسكى . وقد كان قابلى بالقاهرة وفاوضته فى شأن " التاج "
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكى يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفاينهم فى البحث عنها . ولانى
أشكره على هذه العناية، وأهنيئ على بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغاية .

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى	محاسن الملوك	مروج الذهب	تنبيه الملوك
ج ٢ ص ١٢	ج ٨ ص ١٣	ج ١ ص ١١	ج ٢ ص ١٦
ج ٥ ص ١٢	ج ٣ ص ١٤	ج ٣ ص ٢٣	ج ٤ ص ٥٥
ج ٤ ص ٥٥	ج ٢ ص ١٦	ج ٣ ص ٢٩	ج ٣ ص ٥٦
ج ٢ ص ٥٧	ج ٤ ص ٣٣	ج ٥ ص ٣٣	ج ٢ ص ٥٧
ج ٢ ص ٥٩	ج ٣ ص ٣٧	ج ١ ص ٥٣	ج ١ ص ٦٥
ج ٣ ص ٧٨	ج ٢ ص ٤٥	ج ٣ ص ٥٥	ج ٥ ص ٦٦
ج ٣ ص ٧٩	ج ٤ ص ٥٥	ج ٣ ص ٥٦	ج ٢ ص ٩٩
ج ٤ ص ٨١	ج ٣ ص ٥٦	ج ٣ ص ٥٧	ج ١ ص ١٢٢
ج ٢ ص ٨٢	ج ٢ ص ٥٧	ج ٢ ص ٥٩	ج ٢ ص ١٨٠
ج ٣ ص ٨٣	ج ٢ ص ٥٩	ج ٤ ص ٥٩	ج ٣ ص ١٨٠
ج ١ ص ٨٨	ج ٣ ص ٧٣	ج ٢ ص ٦٠	
ج ٣ ص ٨٨	ج ٤ ص ٧٦	ج ١ ص ١١٢	
ج ٢ ص ٩١	ج ٣ ص ٧٨	ج ٣ ص ١٢٠	
ج ١ ص ٩٤	ج ٢ ص ٧٩	ج ٢ ص ١٣١	
ج ١ ص ٩٩	ج ٢ ص ٨٢	ج ٣ ص ١٣٢	
ج ٥ ص ١٠٠	ج ١ ص ٨٨	ج ٥ ص ١٣٥	
ج ٣ ص ١٠١	ج ٢ ص ٩١	ج ٤ ص ١٧٦	
ج ٢ ص ١٠٢	ج ١ ص ٩٥		
ج ١ ص ١٠٤			
المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطسبري	الأغاني
ج ٢ ص ٦٥	ج ٧ ص ٢٠	ج ٢ ص ٣٧	ج ٢ ص ٨٢
ج ٢ ص ٦٧	ج ٤ ص ٨١	ج ٢ ص ١٤٣	ج ٤ ص ١٣٤
ج ٦ ص ٦٧	ج ٢ ص ٨٢		
ج ١ ص ٨٨			
ج ٣ ص ٨٨			
ج ١ ص ٩٧			
ج ٢ ص ١٠٠			
نزهة البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدر
ج ١ ص ١٩٠	ج ٥ ص ١٤	ج ١ ص ١٢٢	ج ٢ ص ٥٨
ج ٢ ص ٢٠٢	ج ٤ ص ١٦٩		

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المجل للثنى، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
خمس.

الأرقام المكتوبة في العلة ٥ على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى أعتمدتها في الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاقه وفهارسه ، فوضعت في أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ — الحركات

» هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .

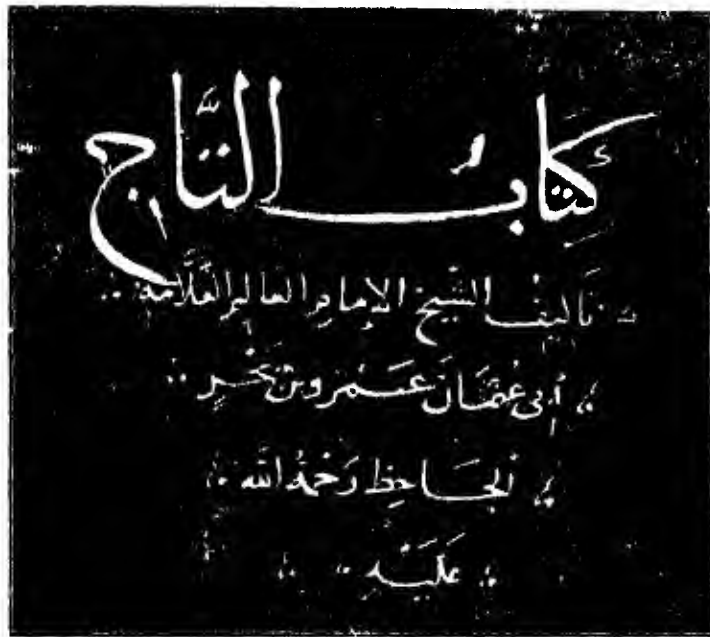
» » » » » بتكرير ، كما أن = تدل على الشدة بفتحين .

عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - ء -) لئى تكرير مماثلة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال ؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية ، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر ، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الرموز الأول)

تمثل فيه طائفة السعة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سهـ)

وهذه النسخة محفوظة بمخزن طوب قيو بالقسطنطينية، رقم ١٣٣ أدب.



(الرموز الثاني)

تتمثل فيه طرة النسخة الثانية المحمودة بخزانة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف ص ٥ في هذه الطبعة

أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ رُوَيْبِئَةَ بِكَ وَمَلَكُكَ مَا كُنْتَ أَحَقُّ بِهِ
 مِنْهُ وَأَرَادَ بِكَ سَأْسَانَ مِنْ جَبَرَتِهِ وَعُتُومَةٍ وَتَجَلُّلٍ وَتَكْثِيرٍ
 فَاتَمَّ بِكَ كَأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ بِالْحِمَى وَيَقْنُ بِالْقَبْلِ وَيُجَاهِدُ الْبَرِيَّةَ وَيُعْلَلُ
 بِالْمُتَوَكِّلِينَ فَقَالَ سَبْرُونِي لِلْمَغَابِبِ اجْعَلْهُ إِلَى الْجَلِّ فَتَأَلَّى لَهُ
 كَمْ كَانَتْ أَرْزَاقُكَ فِي حَيَاتِهِ ابْنُ رُوَيْبِئَةَ قَالَ كُنْتُ فِي ذَاتِهِ مِنْ الْعَيْشِ
 قَالَ فَمَكَّمْتُ زَيْدًا فِي رِزْقِكَ الْيَوْمَ نَأَى مَا زَيْدٌ فِي دَرْقِي شَيْءٌ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرَأْتُكَ ابْنُ رُوَيْبِئَةَ فَانْقَضَتْ مِنْهُ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَادَّ عَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ رِزْقًا
 وَلَا تَرْكًا لِنَفْسِكَ وَمَا لِلْعَانَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَمَسْئُورِ
 رِجْلَيْهِ فَأَمْرًا أَنْ يَرْجِعَ لِسَانَهُ مِنْ قَسَاةٍ فَكَانَ يَحْقُقُ مَا يَأْتِيهِ
 أَنْ يَخْرُجَ جَرَّانُ الْبَيَانِ بِمَا لَا يَجِبُ لَهُ وَحَسْبُ لِي
 مَصَاحِبُ بَنِي خَاقَانَ قَالَ حَدِّثْنِي لِي أَنْ أَبَا جَعْدٍ مَعْرُوفًا أَوْ بَرًّا
 أَوْ بَرًّا مِنْ عَدِيدٍ أَوْ قَوْصُوعٍ بَيْنَ يَدَيْهِ جَاءَهُ صَوْلَةٌ
 الْوَيْدِيَّةُ فَضَرَبَ الرَّاسَ بِتَوْدٍ كَانَ يَدُهُ نَفَاكَ
 الْمَنْصُورِ لِلْمَسْتَبِ ذِي وَجْهَةٍ فَذُو الْمَسْتَبِ انْعَدُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ

(الرموز الثالث)

يتمثل فيه إحدى صفحات المخطوطة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

ويقالها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

٢٩

الآن وعرفت نزهة فقلت لآخذ سبعين وكس ثلثوا. قال شاكك فأنعت
بسبعين بدع وانصرف تلك الدوت عن الدار قال وكذا الرصيد
في اخلاق ابي جعفر مثلها كذا في العطايا فانه كان يتوزع على
ابى العباس والمديرة وما اخبرك انه رآه يشرب الماء فكذبه وكان
لا يضر شربه الماء خاص جواربه ومنه ما طرب للذاه فتحرر حركة بين
الحركتين في القله والكثرة وهو من بين خلفاء بني العباس من جمل
المفتين مراتب وبلد استعمل ما وضعهم ارضه وانوشدان وكان
ابراهيم وانجام وزلزل في الطبقة الاولى كان زلزل يفرق في
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن عبد الله وعمر والعزال ومن
اشبههما والطبقة الثالثة اصحاب المعازب والزنج والطنابير
وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوارهم وميلاتهم وكان افاضل
واحد والطبقة الاولى بابا لكثير الخبير جعل لصاحبه الذين
معه في الصنعة نسبيا منه وجعل للطبقين اللتين تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩ ،

ويقالها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو النوايين المفيدة والمقاصد الحسنة
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخر وهو الحليم
الحكيم احمد على تنابج الآيه وتواشر نعمائه وترادف مننه واستوفته
بما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبه له ولا منضبط
الذي جل عن الاجراء والتبعض والتحديد والتمثيل والمركبة والسكول
والثقلية والزوال والتصرف من حال المحاك لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي هذا انا على وضع كتابنا هذا ما كان فيها ان
الله عز وجل لما خسر الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشتر
العامة وبعض الخاصة لما كانت تجمل الاقسام التي يجب للملك عليها
وان كانت متمسكة بحللة الطاعة حضنا اذ ابا في كتابنا هذا لان نجعله

عياالك قزدت في العدة فقال كذبت فبعثت وقال يا نفس من
 أين علم أني كذبت فاقمت سنة لا أجترئ على كلامه ثم رفعت إليه
 رقة أخرى في إجرأ الرزق فقال كم عياالك قلت أربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بجري على عياله كذا وكذا ولو لا أن يطول
 الجباب في إسحق وذكره وجيئنا مناقبه لكيئنا عنه أخبارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وفيما ذكرنا في كفاية والله اعلم بالصواب

منه

والله اعلم بالصواب

هذا الكتاب من كتب
 المجلد الأول من كتاب
 التاج للمحافظ
 وهو من كتب
 المجلد الأول من كتاب
 التاج للمحافظ

(الرموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أظهر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

كتاب التاج

للجاحظ

بمحقق أحمد زكي باش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿٢﴾ "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير".

أحمده على تتابع آلائه، وتوالي أثر نعمائه، وترادف منته، وأستهديه وأستوفقه لما^(١) يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والثقل والزوال، والتصرف من حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه ونبيه! ابتعثه على فترة من الرسالة وطُمُوس من الهداية ودروس من شرائع الانبياء والمرسلين، "لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ" والعرب، تَبْدُ أَوْلَادُهَا وَتَنَسَافِكُ دِمَاؤُهَا وَتَبَاحُ أُمُوهَا وَتَعْبُدُ آلَاتَ وَالْمُزَى وَمَنَاةَ النَّالَةِ الْأُخْرَى. فصَدَعَ بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَدَعَا إِلَى مَعَالِمِ

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن ص ٥٠.

(٢) الوارد في ص ٥: "تنابح". ولما كان السياق يدل على التناهب واستباحة الأموال، فلذلك صححت الكلمة بردها إلى مادة (ب وج). قال في لسان العرب: "وَالِإِبَاحَةُ شِبْهُ التَّهْيِ، وَقَدْ اسْتَبَاحَهُ أَيْ أَتَيْتَهُ".

١٥ على أني لم أعر هذا الحرف مستعملا بصيغة التضاعل.

دينه، وجاء بما أعجز الحزب والإنس أن يأتوا «يُمثِّلُهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»
فدعاني الله عليه وعلى جميع المرسلين! وخصه بصلاة من نوافله دون العالمين!
وطيه، السلام ورحمة الله وبركاته! (١)

أما بعد،

فإن الذي حدا بنا إلى وضع كتابنا هذا معان:

منها أن الله (عز وجل) لما خص الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكنهم في البلاد، وخولهم أمر السباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم وتقريظهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. فبال في محكم كتابه: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»
وقال عز وجل: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب للملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمسئلة الطاعة - حصرتنا آدابها في كتابنا هذا لنجعلها قلوقة لها وإماما لتأديها. (٢)

وأیضا فإن لنا في ذلك أجرین: أما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل ماثل عنها ورد كل نافر إليها.

ومنها أن سعادة العامة في تجميل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابک: «سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المبالک».

(١) الفقرتان المصورتان بين نجمين * مأخوذتان عن ص ٥.

(٢) في ص ٥ لتأديتها.

ومنها أن الملوك هم الأئمة، والرعية هم البناء، وما لا أئس له مهذوم.
ومنها أنا ألقنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاقُ الفتيانِ وفضائلُ أهلِ البطالة^(١)،
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضّلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضيع ولا خامل؟

بلي قال تعالى حكاية عن مضي منهم : "وَرَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُوا
السَّيْلَ." وقال تبارك اسمه : "اتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ."
وقال جلّت عظمته : "أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي جَآءَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ." "وَقَالِ
جَلِّي وَجَلَا : "وَلَمَّا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ."
وقال تقدست أسمائه : "إِنِ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْيُنَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً."

وقال تبارك وتعالى : "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."
وقال عز وجل ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعتى خلقه وأشدّهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره : "إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى."

(١) فسرهما في صه بالشجاعة . وحينئذ تكون مماثلة للفظة Héroïsme عند الفرنسيين .

(٢) في صه : طبعنا .

فَلْيَفْهَمِ الْحُكَمَاءُ هَذِهِ الْأُجُوبَةَ الَّتِي وَصَلْتُ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِيفَةً وَتَنْبِيْهَا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَيْبَانَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّنَا" قَالَ: كَتَبْنَا ^(٢).



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهُمَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آذَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَحَفِظَ شِرَاعَهُ وَفَرَّضَهِ ، وَقَلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ ، وَجَعَلَهُ الْمُجْتَمِعَ بَعْدَ مُجْتَمَعِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَرَأَيْنَا - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيرِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْأَدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ نَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا ' .

إهداء الكتاب

هذا الأمير الفتح بن خاقا

وعلى طلبها مثابرا، وفيها وفي أهلها راعبا، ليبقى له د رة ويحيى به ، - - - - - .

١٥

(١) فِي صَم: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مُقَدِّمٍ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ [

(٢) فِي هَامِشِ صَم: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُتُبٍ: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مُرَّةٍ" . وَانْظُرْ كِتَابَ التَّفْسِيرِ ،

وَانْظُرْ "الْمُسْتَرْفِ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَرْفٍ" لِلْأَبَشَيْي (ج ٢ ص ٤٤) .

الفاتحة^(١)

*وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصِف أخلاقه، بل نعيِّزُ عن نهاية ما يجب له لو رُمِّسنا
شرحها . وأيضا فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكليف وأغور ذهن
وأحد فكري، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم، ولا يُحيط بها فكر. وأنت تراها
تتزايد منذ أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه النهاية. ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلا، وبالجمسم معارضة^(٢) .

- ولعل قائلًا يقول: إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واغنى هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية." فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال. وأولئك الملوك
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى. أنت تجد ذلك عيانا وتشهده عينك^(٣)
بيانا. وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد .
وبالله التوفيق !

(١) وضعت هذا العنوان للفقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وتشهد عليك بيانا .



باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وانصرافهم

(١) إن كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية ، فمن حقّ الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا يتأى عنه ولا يقرب منه ، وأن يسلم عليه قائماً . فإن استنداه ، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها . ثم تنحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله . فإن أومأ إليه بالعود ، قعد ، فإن كلمه ، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة ، وإن سكت ، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أمرٍ .

الواسط
سلامهم وقعودهم
وانصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حقّ الملك إذا رآه ، أن يقف وإن كان نائياً عنه . فإن استنداه ، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها . ثم وقفت أيضاً ، فإن استنداه ، دنا نحواً من دُتوه الأول ، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارية ، فإن ذلك ، وإن كان فيه على الملك مُعانة ، فهو من حقّه وتعظيمه ،

(٢) وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق عن يمينه أو شماله - عدّل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم آنحرف نحو مجلس الملك ، فسلم قائماً ملاحظاً لللك . فإن سكت عنه ، آنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أى الداخل .

(٢) صه : نقت .

(٣) هكذا في سه . صه . والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك . ولذلك لم نزوجها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول" .

(٤) صه : عن .

ولا كلام. وإن استنداه، دنا خطي وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استنداه، دنا خطي أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقعيا أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة وحسن آستماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع التهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو منسلك لا يحاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

٧

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبعية والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطي ويعانقه، ويأخذ بيده فيقعد في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحسبه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن التواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت صفات بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادي والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للبوار وداعية إلى التحارب.

استقبال الملك
للسايرين له
وتدعيمهم

٨

وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطي يسيرة، ويأمر حشمه بالسعي بين يديه.

(١) سره : "مقنعا" بدون إيراد "جاثيا" التي تليها. وأقنع الرجل رأسه نصبه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طريقه موازيا. (قاموس). [أنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صه : الشريعة.

(٣) صه : خدمه.

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وبهذه السياسة أخذهم
أردشير بن بابك. فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبروز فغيرها. فكان مما اعتدَّ
عليه شيرويه، أبنه، في ذكر مثالبه ومعانيه.^(١)

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يُعطى أحدٌ عنده القعود. فإن أخطأ مخطئٌ
في ذلك، فَمِنْ أَذْنِ الْمَلِكِ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ أَنْ يلاحظه. فإذا عَرَفَ ذلك فلم يَقُمْ، كان
مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَبٍ، وَكَانَ الَّذِي وَصَلَهُ بِالْمَلِكِ ظَالِمًا لَهُ وَلِنَفْسِهِ.

(١) أبروز هذا كاتبه النبي يدعو للإسلام ففرق بينه وقال: "يكتب لي هذا وهو عدي؟" فعدا عليه
النبي بمزق ملكه. استبد فارس فوثب عليه أبنه شيرويه (وهو أيضا شيرى) فحبسه وأرسل إليه ينق عليه
ما أرتكبه من المثالب والمنايب في رسالة "خشنة بقطر منها الدم في تقريره بأفاحيه" ثم قتله. وأرسل شيرويه
بعد أن جلس على سرير الملك كتابا إلى النبي في جلته: "أما بعد فإني قتل كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس
يَا كَانَ أَسْتَحِلُّ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَجْبِرُهُمْ فِي تَقْوَاهُمْ" [وتجبر المساكر حبسهم في أرض العذو وعدم إرجاعهم إلى
وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فأتى أفاض الخوارجون في وصفها.
ومن غريب الاكتشافات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يمضى عليه في الملك سوى
سنة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل للمتصر الباسي.

ومن غريب الاكتشافات أيضا أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالخورة التي
قتل فيها شيرويه أباه كسرى أبروز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فلتر مزدان بالنفوش.
ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ما تعريه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبروز
الملك - ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضا صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوب عليها
ما تعريه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل أبين عمه الوليد - ملك ستة أشهر". وقد أحرقت المقرئين
بالحرق هذا البساط النفيس حتى لا يتفطن الخليفة لما فيه من العبرة، ولكن أبي الله إلا أن يكون ثالث الثلاثة.

(الفاصيل في "غرو أخبار الفرس" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والعبري سلسلة ١ ص ٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤، ١٠٧٤
وسلسلة ٣ ص ٤٩٦؛ وأين الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفي "الطحاسن
والمسامير" ص ٥٩٢ - ٥٩٣). وفيه أيضا أن أبروز أنتم لنفسه قيل أن يوت فوضع نحا في حقة وكتب
عليها ما يفرى الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت طلة التي أعطاها هلاكه (ص ١٣٨)
[وأظفر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في سمه، ص: "فمن أذن له الملك بالانصراف أن يلاحظه". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب في مطاعمة الملوك

تخفيف الاكل
بمغفرة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحده وأئني به حتى طاعمه - أن لا ينسقط بين يديه في مطعمه. فإن في ذلك خلافاً مذمومة:

منها، أن أنبساطه يدل على شرهه؛

ومنها، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز،

ومنها، أن فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدّها وكثرة الحركة.

❦

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد، إلا أن يكون الآكل كميّسة التراس أو حفص^(١) الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فاما أهمل الأدب وذوو المروءة، فإنما حظهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأئس الذي خصهم به.

(١) أورد المسعودي هذين الأسمين هكذا: "ميسرة القمار" و"حاتم الكيال". وسمى طابع الابشيشي أولها "ميسرة البراش". وقد أوردنا، هما والرابع الإصفهاني، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكلة تكتفي بالاشارة إلى مواطنها للرجوع إليها. ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب، وهم: أبو الحسن بن بكر العتلاف الشاعر، أبو العالي، أبو مروة، أحمد بن أبي خالد الأحول، أحمد بن أبي ذؤاد، إسحاق العماني، بسرة الأحول، بلال بن أبي بردة، الجهاج بن يوسف الثقفي، خنص (أرحاتم) الكيال، دروان، دورق القصاب، زغبان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي)، المادل الأيوبي (سلطان مصر)، عبيد الله نزار بن أيد، عمرو بن مغد برك، قاسم القمار، قف الملقم، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصمعي، مزود، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي)، ميسرة (البراش أو التراس أو القمار)، هلال بن الأسمر، هلال بن سعد المازني، هلال بن مسعر التيمي، وزوجته، الواثق (الخليفة العباسي). (أنظر "المقد العريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦ و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ ج ٦ ص ٢١٥-٢١٨ ج ٧ ص ١٧٠، ج ٨ =

- * قال: وحديثي إبراهيم بن السندی [بن شَاهِك] ^(١) عن أبيه، قال: دخل شابٌ من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا ببنائه، وقال للفتى: ^(٢) أدته. فقال الفتى: قد تغذيت، فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن خطاه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء السترة دفع في قفاه. فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجالٌ من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إئت الربيع لا أقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شتمت أغضيت على ما فيها، وإن شتم سألته وأتم تسمعون. قالوا: فسأله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يُسلم من بعيد وينصرف، فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذا ليس عنده لِمَن أكل مع أمير المؤمنين إلا سدّ خلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل." ^(٣)
- ١٠

== ص ١١٠؛ و"كتاب الخلاء" للجاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأعاني" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧، والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "هياة الأوب في فنون الأدب" للنويري؛ و"المستعارف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في أزل المروء" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبري سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بذائع الزهور" لأبي إياس (جز ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرشي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤٢ و ٢٤٣؛ وكذلك "الأعاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المدايح كتاباً في "أخبار الأعانة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

(١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعراً.

- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كما في "الحاسن والمساوي"] .
- (٣) أي الفتى. [وروي الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة.
- (٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص. وقد أوردتها صاحب "الحاسن والمساوي" بعبارة أخرى (ص ١٧٢).
- ٢٥

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الخزائي، قال: "كنتُ أحضر على مائدة إسحاق ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أعشى الأبرد والنابقي. فكنتُ أعدُّ على مائدته ثلاثين طائراً. فاما الحُلُو والحامض والحار والقار، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأى من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما تكسر الخبز بأظفارنا. " قلتُ: فما كان يُنشطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى نتهب.

وكذلك يجب للملك أن لا يشتره أحدٌ إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الأكل أخا الملك أو أبنته أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء؛ ويكون أيضاً ممن يُقصر بعد الأكل ويُطيل المندامة، ويعمل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء.

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الجدد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

(١) سر: عبد الرحيم. ورواية صه ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلاً بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصمعي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق وهو الذى سيرد ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

(٣) سر: "الخزائي قال كنت أعد على مائدة ثلاثين". والتكميل عن صه.

(٤) صه: والبارد.

(٥) أى: نُعييب منه. يقال: إنه لقليل الرزق. من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) ينته.

(٧) صه: "هؤلاء ولا يكون إلا من يقيم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة واختصار في "بحاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشرف لا للشرف".

والملك - وإن بسط الرجل طعامه - فمن حقه على نفسه وجب الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ماتهوى طبيعته، فإنه من عرف بالشره، لم يجب له اسم الأديب، ومن عرف بالهم، زال عنه اسم التمييز.

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضيقه نفسه، إذا رأى ما يشتهي من بسطه لها.

وحسب الرجل - إذا أنحفه الملك بمحفة على مائدته - أن يضع يده عليها، فإن ذلك يجرته ويزيد في آدابه.

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقفاها، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أمها قرابة؟

بين معاوية والحسين
أبي علي بشأن
دجاجة

(١) صه: ويجب على الرجل.

(٢) أى يكتفيه.

(٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك. (ص ٢٩)

(٤) صه: "بين يدي سيد حليل دجاجة".

(٥) صه: "وبين أمها".

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلق عليها قوله: "أراد معاوية أن الحسن يورث مجلسه كما توفى مجالس الملوك، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة". (ج ١، ص ٢١٣)

(٦) تفدى رجل مع بعض الرؤساء، فقدم إليه جداء بالغسيل يعني فيه. فقال له الرئيس: إنك لتزقه حتى كأنه أباه نهجك! فقال له: وأنت تشفق عليه كأن أمه أوصتتك. فنجعل وأنت قطع. (أنظر "مطالع البدر

في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعده ملكته

إنا هذا الكلام الذي دار بينهما قد قرَّح^(١) في قلب كل واحد منهما، ومعاوية لم
يفل هذا القول، لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة.

فكيف يكون ذلك، وهو يكتب إلى أطرافه وعماله وإلى زياد^(٢) بالعراق بإطعام
السابلة والفقراء وذوى الحاجة، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسّمها وجوه جند
الشام؟ ولكن علم أنت من حق الملك توقيع مجلسه وتعظيمه. وليس من التوقيع
والتعظيم مد اليد وإظهار القرم وشدة النهم وطلب التشيع بين يدي الملوك وبمحضرها؛
وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيد^(٣) حرد.

إختبار سابور لرجل
رشيحه لقضاء القضاة

ويقال إن سابور ذا الأكتاف^(٤) مات مؤبّداً مؤبّداً، وصِف له رجل من
كورة اصطخر، يسلّم لقضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة، فوجه إليه، فلبس قديم،
دخل عليه، ودعا بالطعام ودعاه إليه. فدنا فأكل معه. فأخذ سابور دجاجة فنصفها.

(١) معناه جرح. وفي سـ: "قدح".

(٢) هو زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته. وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ
والأدب. (وأظن "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢ - ٦). وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة
الأرائل ومسامرة الأرائل). ولدا بنى كتاب في أخباره، وكتاب في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء
لياقوت). وللهيم بن عدي كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية، وذلك تصحيف
من الناسخ أو الطابع، وإلا فلا خلاف في أنه زياد بن أبيه.

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها، وطائفة تقول بالرويتين. والصواب الكسر
دون سواء، وهو الذي اعتمد الإمام الذهبي في كتاب "المشبه في الأسماء"، وكذلك العلامة وتشاردن
في معجمه الفارسي العربي الإنكليزي.

(٤) تعريب شاه بور. وسماء العرب ذا الأكتاف لأنه آتصر عليهم نخل أكتافهم.

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام. وبقية وظيفة الموبذ أي القاضي إلى أواخر الدولة
العباسية، للقيام بأمور المحروس الذين دخلوا في الذمة.

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه. ثم أومأ إليه أن كُل من هذه، ولا تخطِطُ بها طعاماً، فإنه أمرٌ لطعامك. وأخف على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كنعو ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور يلحظه.

- هـ فلما رُفعت المائدة قال له: ودّع وأنصرف إلى بلدك! فإن آباءنا وسَلَقْنَا من الملوك كانوا يقولون: "من شرّ بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيّة والسوقة والوضعاء أشدّ شرّها." فلم يستكفِه على ما كان أحضره له (٢) ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرك يده منه في صحفة. ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كل رجل صحفة فيها كالذي بين يدي الملك من طعام غليظ أو دقيقي أو حار أو قار، ولا ينخس الملك نفسه بطعام دون أصحابه. لأن في ذلك ضعة على الملك ودليلاً على الاستئثار.



عدم النظر للكل
عند مؤاكلته

النسوية بين الملك
و بين مدعويه

- (١) في سره: لم يستكفه. ولعلها محرومة عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيراً ما يستعمل الجاسوسون واستكفاء بمعنى ولاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به. [أنظر ص ٥٠ ص ٧٠-١١ من هذا الكتاب]، وشبه أيضاً "كافي الكفاة" لونه كفاة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صبي) في وليمة كانت لهم: فف بالباب، فأجّب من لا تعرف وأدخل من تعرف. فقال: والله لا يكون أول شيء استكفيه منع الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). هذا. وربما يجوز أن تكون محرومة عن "يستكفه" أي "يجده كفواً". والذي في ص: "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن يغسل ويحدد". وليس للجملة بقية، وهي مبتورة ومشوّهة، كما ترى.
- (٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعداً بعض الألفاظ في صهيقي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك" والمكايد. وهي مختمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وغزل فيه عليه". ووردت أيضاً مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

- ومن حقَّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرتة يديه من خاصّته وِبِطانتِه، إلّا أن^(١)
يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقديمتنا ما يجب لأولئك أنفا.
ومن العدل أن يُعطى الملك كلُّ أحد قسطه^(٢)، وكلُّ طبقة حقّها؛ وأن تكون شريعةُ
العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه
رعايتها والمثابرة على التمسك بها؛ وإيناسُ الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى
يُسوّى في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامة.
وليس أخلاقُ الملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يُستَبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة
الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضّعة. فاما
الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحلّون عن هذا المقدار.
ومن حقَّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلُّ من الخاف^(٤)
بها حتى يتواروا عنه بمجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون
قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.
ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمره كمنديل وجهه في النقاء والبياض، وأن^(٥)
لا يعاد إليه إلّا أن يغسل أو يُجَدِّد.

غسل اليد
الملكإيناس
الملك لل

١٣

مباينة الملوك
سواءقيام الملوك
من

منشفة

- ١٥ (١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.
(٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في ص.
(٣) في سم: "لايستبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في ص.
(٤) أراد "الحائطين" فوضع المفرد في موضع الجمع، تأستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.
٢٠ (٥) في سم: "غمره" بالمهملة. وصوابه بالمعجمة، والغمر بالتحريك زخم اللحم وما يعلق باليسد من دمه. وهو مماثل ما نسميه الآن في مصر: فوطة الذقن. وليست هذه العبارة واردة في ص.

ومن حقّ الملك أن لا يُحدّث على طعامه بِحدِيثٍ جدّ ولا هزلٍ. وإنِ ابتدأ بِحدِيثٍ، فليس من حقّه أن يُعارض بمثله، وليس فيه أكثر من الاستماع لحدِيثه، والأبصارُ خاشعةٌ.

حديث الملك
على المتأدّة

ولشيءٍ ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قدّمت موائدهم - زمزموا عليها، فلم ينطق ناطقٌ بِعَرَفٍ حتّى تُرفع. فإنِ اضْطُرُّوا إلى كلام، كان مكانه إشارةً وإيماءٌ يدلُّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا^(١).

زمزمة الفرس على
الطعام وامتناعهم
عن مطلق الكلام



(١) الزمزمة: تراطُن العلوج على أكلهم، وهم صُمُوتٌ، لا يستعملون لساناً ولا شفة في كلامهم؛ لكثرة صوتِ تديره في خياشيمها وعلوِّها، فيفهم بعضها عن بعض. وقد زمزم الطليح، إذا تكلم الكلام عند الأكل، وهو مطبقٌ فيه. وقال الجوهري: الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم. زاد ابن الأثير [في النهاية]: بصوت خفى (عن تاج العروس). وذلك يرادف قول الفرنسيتين Marmotter.

١٠

قال في مروج الذهب: "ذكروا أن كيومرث هو أوّل من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يودّى إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام. فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء ملقاً بلبّة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التخلّي إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائماً، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميزة الفكرية لهذا الجسد المرقى. وفي ذلك ترك للحكمة فنروج عن الصواب." (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك.

١٥

وبمناسبة الزمزمة، نروى ما حكاه ابن النديم في كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ في "البيان والتبيين" إن "الزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق، وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة، فيفهم عنه الباقون. قال الجاحظ: وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه. والله أعلم."

٢٠

وكانوا يقوون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا السالم. فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشتغل رُوحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جارحة بقسطها من الطعام، فيغتنى بها البدن والروح الحية انية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، آخذة تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل^(١) كثيرة هي في آيينهم تركاً ذكراً، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

(١) دسره : وفي ترك الكلام فضائل .

(٢) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها . ومعناها القانون والمادة . (وأنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القياض في تصحيح ما استعمله العامة من المعرب والمولود والأغلاط" مانصه : "آيين بمعنى المادة . وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة . أجمعى عربيه المولدون . وفي الكشف . ليس من آيين الملوك استراق الظفر . " وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه : "أى في سورة النمل . قبل لدى القرنين : ثبت على العدو ! فقال : ليس من آيين الملوك استراق الظفر . وقال مهياري قصيدة له :

يَجْمَعُ الْخَرِيْتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهَوَّيَ بِأُخْدَ لَهَا آيِيَهُ

وهاتان العبارتان مقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للحفاجي . والخريته هو الدليل البصير بالطريق . وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والأتراك . وفي المعجم الفارسي العربي الاتكليزي تأليف وتشارد من مانصه :

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرح). Mode, form, manner.

ولأبداً هذا الاسم ذكره صاحب المهرست . وكلام الجاحظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والمعادات والأصطلاحات المقررة عندهم . والى "آيين الأكامرة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحدثني بعض المُحدثين قال: قال بعض الأمراء: «سوأ ظنه بلال بن أبي بردة»^(١)
لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة:^(٢)

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي]، إذا كنتم عنده؟^(٣)
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن آستماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عينيه،^(٤)
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.^(٥)

قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصّر كل رجلٍ عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يُؤتى بالحيوان،
فيتضايق ويتسّع، ويقصر ويمتهد. فإذا استغنى، خوى تحوية الظليم ثم أكل أكل^(٦)
الجامع المقرر.^(٧)

قال: والجارود هذا هو الذي قال: «سوء الخلق يُفسد العمل، كما يفسد الخل^(٨)
العسل».

(١) كان أميراً على البصرة وكان فاضلاً. وهو أقدم من جاري القضاء. كان يقول: إن الخصبين يتقدمان
إلى فأجد أحدهما أخفّ على قلبي من الآخر، فأقصي له. (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدحهم ذرّةً والخطبة. وأظن ترجمته في خزائن الأدب للبقدادي (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
في «الأغانى» و«كامل» المبرّد ذكر كثير (أنظر فهرسها).^{١٥}

(٢) المحدث البصري. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للمافظ الصقلاني ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن «العقد الفريد» وفهرس الطبري.

(٤) في الأصل وهو صر: فناءهنا.

(٥) ائلو وائلو: الجوع. وائلو وائلو: خلو الجوف من الطعام. وخوى وخوى: نتاج

عليه الجوع. وخوى الطائر تحوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى
الأخير هو الذي أرادته الجاحظ، لأنه في كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.^{٢٠}

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب «العقد الفريد» بزيادة وقصص في الألفاظ والمعاني (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * * مقولة عن صر.

باب في المناداة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل ندماءه طبقات ومراتب، وأن يُخصَّص ويُعَمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات^(١).

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن^(٢).

وهذه أخلاق الملوك أن يحضروهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ يجد إلى حالٍ هزل، ومن صحَّح إلى تذكير، ومن هُو إلى عظمة.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرةً وتُحطُّ أخرى، وتُعطى مرةً وتُحرم أخرى، فلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة والنصفة عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.

(١) كذا في صه، سه. [والسياق يقتضى معنى المراتب.]

(٢) صه: والنبل.

(٣) صه: المفتى. قال في "حاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى أصناف الرجال كحاجته إلى أصناف الأموال، وجب أن يختار لسايرته من يكون طيب الأعراف، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو بصدده من التنبؤ في النظر في أمر الجمهور".

(٤) صه: المرتبة.

وليس من حقِّ الملك أن يَرَحَّ أحدٌ من مجلسه إلا لقضاء حاجة . فإذا أراد ذلك ، فمن الواجب أن يلاحظه . فإن سكت الملك ، قام بين يديه ثم لاحظته . فإن نظر إليه ، مضى لحاجته . فإذا رجع ، قام مائلاً بين يديه أبداً ، وإن طال ذلك ، حتى يُومِعَ إليه ^(١) بالعود . فإذا قعد ، فمقبعياً أوجائياً . فإن نظر إليه بعد قعوده ، فهو إذنه له بالتمكُّن في قعوده .

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها ، إنما هذا إلى الملك . إلا أن من حقِّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له ، ولا يحاوز به حد طاقته ولا وسع استطاعته ، فيخرج به من ميزان القسط وحد القصد : لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه ، وهو يعد إلى إحيائها سبيلاً .

كمية الشرب
وكيفيته
مؤكدتان
للك ، وعليه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته ، حرصه على إحياء نفسه ، إذ كان بهم نظامه .



وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول ، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين ، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني محصورة ، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً ، لأنها داخلية في أخلاق الملوك .

طبقات الندماء
المغنيين عند الفرس
وفي الإسلام

(١) كذا في سـ ، صـ "يرح أحد من مجلسه" بتعديده يرح بمن . والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه . على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يعلِّون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا . فقد ورد في التبريزي "لم يرح من مكانه" و "مارحت من مكان كذا" (شرح الحاشية للتطيل التبريزي طبع أوربـ ص ١٦٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بأرح من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧) . وفي "الحاشية والمسافر" قوله : لا أرح من بغداد (ص ١٩٣) . [أنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب] .

(٢) سـ : قد مقنا . [أنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب] .

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لإبي الفرج الأسفهاني . فقد توفى الجاحظ سنة ٨٢٥ هـ ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦ . ولا بد أن الجاحظ يعني كتابا للفرس أو سؤرا آخر =

ولنبداً بملوك الأطايج، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعندهم أخذنا قوائم الملك والمملكة وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصار على جديلتها.^(١)

كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء وأخذ بزمام سياستهم، بفعلهم ثلاث طبقات:

== من أسفار الاغانى التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته . هذا وقد اشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) الى كتاب الاغانى ولم يقيد بـ "آخر من حيث ذكر المؤلف أرضه . قلله هو نفس الكتاب الذي يشير اليه الجاحظ . لان المسعودي فرغ من مروج الذهب في سنة ٣٣٦ هـ قبل وفاة أبي الفرج الاصفهاني بعشرين سنة . وهو لم يره المسعودي ولم يشير اليه ولا الى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغتنا .

ويشخص ما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع : أولاً - أن ابراهيم بن المهدي المعروف بأبي شيكة (وهي جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الاغانى . وهو أول كتاب في هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذي يشير اليه الجاحظ والمسعودي ؛ ثانياً - أن الرشيد أمر ابراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفتح بن العمراء فألفوا له كتاباً في الاغانى وضموا فيه المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً - أن كتاب هؤلاء الثلاثة وقع الى الواثق ، فأمر إسحاق بن ابراهيم الموصلي بتأليفه وتوسيعه . وقد روى صاحب الاغانى (أبني أبي الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسحاق بل هو مصطنع عليه ومنسوب اليه ، وأورد جميعاً تأكيد ذلك في مقدمة كتابه . ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "صه : وعندهم أخذنا آيين المملكة" [واظنر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .]
(٢) هذه الكلمة وردت في سه مهمة من النقط هكذا : "جد طبا" . وفوقها كلمة "كذا" . وقد أعتمدنا رواية صه . وفيه تفسيرها بقوله : "شا كتبا" . وهذا التفسير منقول عن القاموس .

(٣) من هنا الى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب قلله المسعودي في "مروج الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشير الى أنه نقل هذه البيانات عن التاج لمباحظ . وقد جرى هو وغيره على هذه العادة في كثير من العبارات ، كما سترأ فيما يرد عليك من الحواشي . وقد زاد في هذه العبارة التي نحن بصدها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (أنظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٩ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٢ ح ١ ص ١١٧ - ١١٨)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المُضْحِكُونَ وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مَوْوَفٌ ولا مَرْمِيٌّ بِأُبْنَةٍ ولا مجهول الأبوين ولا أبن صناعة دنيئة، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم النيب مثلاً.

- وكان إردشير يقول: "ما شئٌ أضرَّ على نفس ملكٍ من باشرٍ سنيئٍ أو مخاطبةٍ وضيعٍ. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأدب، الحسيب كذلك تفسد بمعاينة الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرت بيطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته ألمت له النفس وأضرَّ بأعلاقها لإضراراً تاماً." (٤)

- (١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (الصباح) [حاشية عن صم]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم": "إن المعجم لاتضع أسم أسواراً لأعلى الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier".
- (٢) هذه الكلمة وردت في صم فقط. [ومعناها مصاب آفة].
- (٣) الأبنة: العيب. (قاموس)
- (٤) هذه العبارة مقولة عن آبن المقفع في "الآب الصمير" وفي "كيلة ودنه".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(٢)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النيران؛ ^(٣)

والقسم الثالث الأطباء والكُتاب والمنجمون؛

والقسم الرابع الزُّراع والمِهَّان وأضرابهم. ^(٤)

وكان أردشير يقول: "ما شئ أسرع في انتقال الدول ونزول المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الوضع إلى مرتبة الشريف، ويحط الشريف إلى مرتبة الوضع".

مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلا

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحداقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خط الاستواء. ١٠

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه: نحص.

(٢) أردشِيرين بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ورضع لهم الكتب في الآداب الملكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبد يعني كبير القضاة الشير اليوم بقاضي السكر. (عن محاضرة الإرائل ومسامرة الأوانر) ١٥

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهمة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مُهَّان" مثل كاهن وكُهَّان وصانع وصنَّاع]. وصل هذا الوجه الثاني ضبطها في صه. ٢٠

- وكان الذى يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب^(١) الونج والمعازف والطناير^(٢) وكان لا يزمر الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.
- وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يزمر على المغنى إلا من كان معه في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضعية إلى طبقة

احتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

(١) في سه، صه : وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب تقول الون بتشديد النون. وهى الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج الروس، ومفاتيح العلوم للخوازمي). وررى في كتاب الملاهى بيتاً للأشعري، وهو:

- ١٠ ومُسْتَقِي صِينِي وَوَنٌّ وَرَبَّطْتُ * بِجَارِهِ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَبَّعًا
- وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الونج هو عود الطيب، معرب"، فأنظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد عود الطرب. فصفحها التاج وقات الطابع.
- (٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختصر"، لأبن سيده (ص ١١ - ١٥)، فتعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم أخذوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

- ١٥ أولاً - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:
- "من الطناير يزهرى صوته يملّ في لحنه عن لغات العرب تحجيم."
- ومعلوم أن العرب أبدعوا فتح الأندلس في سنة ٨٩٢. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانين لأنقال اللفظ من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأقتضاه الناس منه.
- ٢٠ ثانياً - إن الأسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربى بأداة التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شاعرا عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقى في لغتهم بهذه الصورة العربية. وهذا رأى الأستاذ لينا ردى الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate dall'arabo وهو رأى راجح، أيدهاه بشعر صحيح، لبدوى فتح فصيح، ثبت في المهاميه الفيج، ومات بين القيصوم والشيع. (أنظر ترجمته في الاغانى ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثّر فيه ، فيأمر الزامير من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى ، فيأبى ذلك . حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمرأوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول : إن كان ضربى بأمر الملك وعن رأيه ، فإنه مريض عني إذا صحا ، بلزومي مرتين .

١٦

مما عاين أردشير
لنفسه لمخالفة
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمتاعمة . فاحدهما يميل^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً . وهذا لما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب ، قرأ عليه الكاتب كل ما لقّظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره ، دعا بالزامير فخلع عليه وجرّاه للخير ، وقال : "أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به . فهذا ثواب صوابك^(٣) . وكذلك العقوبة لمن أخطأ . وعقوبتي أن لا نزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والخبز . " فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما .

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العائمة بالسياسة الباقية والأمر اللازم .

(١) جمع مذبة . وهي آلة لطرد الذباب ، وهي التي نسميها في مصر بالمنشدة . أما المرواح فمروحة ، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب "مطالع البدور في منازل السرور" .

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صم : يميل .

(٣) سم : "فهذا صواب هذه ثمرة" ، وهي رواية صحيحة تشابه التي اخترناها في المتن من صم

لأنها مختصرة مفيدة .

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جُور بن يَزْدَجَرْدَ ، فأقر مرتبة
الأشراف وأبناء الملوك وسَدَنَةَ بيوت الثيران على ما كانت ، وسوى بين الطبقتين من
النماء والمغنين ورفع من أطربة - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة
الأولى ، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية . فأفسد سيرة أردشير في المغنين
وأصحاب الملاهي خاصة . فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان ، فردَّ
الطبقات إلى مراتبها الأولى .

اعتلال هذا النظام
أيام بهرام جور
وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يَزْدَجَرْدَ محتجب عن
النماء بستارة . فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً . لأن الستارة
من الملك على عشرة أذرع ، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع .

احتجاب ملوك
الفرس عن النماء
ومقدار المسافة بين
الطبقات

- ١٠ وكان الموكَّل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نُحْرَمَ باش" ^(٢) .
فإذا مات هذا الرجل وكُلَّ بها آخر من أبناء الأساورة وُسِّمَ بهذا الاسم . فكان
"نُحْرَمَ باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله ، أمر رجلاً أن يرتفع ^(٣) على أعلى مكان
في قرار دار الملك ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : "يا لسان !
احفظ رأسك" ^(٤) ، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك ! " ثم ينزل .

- ١٥ (١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرد أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للعلاني ^(١)
(صفحة ٥٤٤) .

(٢) سـ : "نُحْرَمَ تاش" . وصححنا عن صـ وعن المسعودي الذي قال : "وتفسير ذلك : كن قريحاً" .

(٣) في سـ "يرفع" . والتصحيح عن صـ وعن المسعودي .

(٤) سـ : "يعرب" . والتصحيح عن صـ وعن المسعودي .

(٥) صـ : الرأس .

فكان هذا [فعلهم] في كل يوم يجلس فيه الملك للهويه، ولا يجترى أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حتى تحرك الستارة، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه، ويقول: افعل يا فلان كذا، وتغنى أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: أطراقا وإخبانا وسكوت طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رقعة ويرفعها قبل شغلي فأفهم ما فيها»

(١) صه: يفهم.

(٢) سه: تحول الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن الجاحظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثلين وظهيرين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب]. والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" وفي "النتيية والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والتمالي. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تعبريف من الناصح للفظلة "الأصفر".

(٧) سه: تنقل.

وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ أَمْرِي، وَعَقَلِي صَحِيحٌ وَفِكْرِي جَامِعٌ. “فَتَمَنَّى سَأَلَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ حَاجَةً، ضَرَبَتْ عَقَبَهُ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ هَذَا. وَكَانَ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَلَا يُعْطِي مُبْتَدَأًا. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَلَكَ بِهَرَامٍ جُورًا، فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّدَمَاءِ: “إِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ طَرَبْتُ وَنَحِرْتُ مِنْ بَابِ الْجَلَدِ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ، فَسَلُّوا حَوَائِجَكُمْ. “وَكَانَ يُؤَكِّلُ بِحَوَائِجِهِمْ صَاحِبَ السَّتَارَةِ. فَكَانَ إِذَا سَكِرَ، مَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ بِرِقَاعِهِمْ، فَآخَذَهَا صَاحِبُ السَّتَارَةِ، فَانْفَذَهَا إِلَيْهِ. فَآخَذَهَا بِيَدِهِ وَصَمَّهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ: “أَنْفِذُوا كُلَّ مَا فِيهَا. “فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا بَلَغَ فِي لَيْسَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَوَائِلِ فِي إِقْطَاعِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنٍ أَوْ طَلِبِ مَنِيَّةٍ ^(١) أَلْفَ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَبَاطًا.



١٠. وَكَانَ إِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمْ فِي رَقْعَتِهِ مَا لَيْسَ يَجُوزُ لِمِثْلِهِ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِفْرَاطِ - لَمْ تُقْضَ لَهُ حَاجَةٌ، وَتُسَمَّى جَاهِلًا، وَلَمْ تَتَّخِذْ لَهُ رُقْعَةً بَعْدَهَا أَبَدًا.

- ثم لم يكن ذلك بعد في أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك، فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، وأستخف بآيين المملكة ^(٢)، وأذن للنَّدَمَاءِ فِي الْكَلَامِ وَالضَّحِكِ وَالْهَزْلِ فِي مَجْلِسِهِ ^(٣) وَالرَّدِّ عَلَيْهِ.

التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك

وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسُّخْفِ.

أول خليفة شتم في وجهه. هزلًا

(١) ص: "منية"، وهي المنعة أيضا.

(٢) ص: وداعسل.

(٣) ص: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ص ٢٣ و ص ٧٧ من هذا الكتاب) ٢٠

قلتُ لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للنساء والمنعنين؟^(١)

(١) في ص: لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وأبو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها. فتقصيت كل من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الملاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في وجلين: أحدهما (وهو الذي يتبادر الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت الجيد في الغناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصبي (حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد غناه.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصبي، لأنه من ذوي قرابة طاهر بن الحسين: قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عاين التاريخ الإسلامي. فكيف يكون إسحاق المصبي قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والصلوات؟ (أنظر ص ٣٣ من هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فما أشبه بأن يكون هو الراوي للخبر، لولا أن عبارة الملاحظ مضطربة منشقة بحيث إنها لو بقرت على حالها كما هي واردة في ص: (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدو علامات الترتيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصص تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنتهي بخبر هو إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤). وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونظراً ويرفع له رأسه تها وكبراً. كيف وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبلة. فكان المقول والمتهم أن يقول الراوي مدلاً معجباً: "فضنت وقبلي".

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم. يرجع أزل عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠. فقد روى إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع المهدي. (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر ينص تقريباً وارد في عبارة الملاحظ (ص ٣٦). لكن الطبري رواه بصيغة الغائب وصدره بقوله: "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغاني" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمين (الوارد في حديث الملاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً، أحدهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغاني ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "المقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

قال: «أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان»
 «وآبن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله»
 «الخليفة، إذا طرب للمغنى وألّنه حتى يتقلب ويمشى ويحرك كتفيه ويرقص»
 «ويتجوزد حيث لا يراه إلا خواص جواريه. إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة»
 «صوت أو غير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة:»
 «وحسبك يا جارية! كفى! انتهى! أقصرى! سيؤمهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض»
 «الجواري.»

«وأما الباقيون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجوزدوا»
 «ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنيين. وعلى ذلك، لم يكن أحد منهم في مثل حال»
 «ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المحبون والرّفث بحضرة الندماء والتجوزد:»
 «ما يباليان ما صنعنا.»

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسماعيل بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه باستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه بما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والاستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفه
 نفسه كما هو الممهود في كل كتبه وتصانيفه، عاد إلى الحديث الأصلي مستملا لفظة "قال"، تنبها للقارئ
 إلى رجوع ما أقطع ووصل ما أقصّل واستثنافا لما حدث به إسماعيل بن إبراهيم (الموصلي) - فحينما كان المقام
 يدهو الجاحظ للكلام عن نفس إسماعيل (صاحب الحديث)، وضع لفظة "ويقال". فيذكر من عنده خبرا عن
 نفس إسماعيل بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض للجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئا
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، صبر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".
 فلذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين "كل سطر من السطور التي ورد فيها كلامٌ دلّني السياق
 والبحث والاستقصاء على أنه من حديث إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندي أنه من حشو الجاحظ واستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

(عمر بن عبد العزيز)

قلتُ: فعمرو بن عبد العزيز؟

قال: "وما ظنُّ في سمعه حُرْفٌ غِناء، منذ أفضتُ الخلافةَ إليه إلى أن فارَقَ الدنيا." "فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغِناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل." "وكان ربما صَفَّقَ بيديه، وربما تَمَرَّغَ على فراشه وضربَ برجليه وطَرَبَ. فأما أن" "ويُخرج عن مقدار السرور إلى السُّخف، فلا."

٢٤

قلتُ: لخلفاؤنا؟^(١)

قال: "وكان أبو العباس في أوَّل أيامه يظهر للندماء ثم اجتجِبَ عنهم بعد سنة."^(٢) "وأشار بذلك عليه أَسِيدُ بن عبد الله [الخُزَاعِي]. وكان يَطْرَبُ وَيَتَهَيَّجُ وَيَصْبِيحُ مِنْ" (السفاح) "وراء الستارة: "أَحْسَنْتَ والله! أعد هذا الصوت! "فُعَادَ له مرارًا. فيقول في كلها: "أَحْسَنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تُجَدُّها في أحدٍ. كان لا يحضُّره نديم ولا مُنَنٍّ" ١٠ "ولا مُلْهٍ فينصرف إلا بِصَلَاةٍ أو كُسُوفَةٍ، قلتُ أم كَثُرَتْ. وكان لا يُؤَنِّرُ إحسانًا" "وَيُحْسِنُ لَغْدًا، ويقول: "العجب من يُفَرِّحُ إنسانًا، فيتعجَّلُ السرورَ ويجعلُ ثوابَ مَنْ" "ووسرَه تسويفا وعدة!" فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحدٌ من" "وحضره إلا مسرورا. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله. غير أنه يُحْكِي عن بهرام جُورٍ" "وما يُقَارِبُ هذا." ١٥

(١) ص: لخلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٦

(٣) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجال أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر المهارس في الطبيرة وفي آيين الأئمة)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور)

ووفاما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء. “
 ووَكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها. فإذا غنَّاهُ
 ٧٥ المَغْنَى فاطربه، حَرَّكَتِ الستارةَ بعضُ الجوارى فأطَّلَعَ إليه الخادمُ صاحبُ الستارةَ
 ووفيقول: قل له: “أحسنْتَ! بارك الله فيك!” وربما أراد أن يُصَفِّقَ بيديه، فيقوم عن
 ووجلسه ويدخل بعضُ حُجَرِ نِسائِهِ، فيكون ذلك هناك. وكان لا يُثِيبُ أحداً من ندمائِهِ
 ٥ وغيرهم درهماً، فيكون له رَسمًا في ديوانٍ. ولم يُقَطِّعْ أحداً من كان يضاف إلى مُلْهِيةٍ
 وأو صَحِيحٍ أو هزلي موضعَ قَدَمٍ من الأرض. وكان يحفظ كلُّ ما أُعْطِيَ واحداً منهم
 وعشرَ سنين ويحسِبُهُ ويذكره له.”

*وَكان أبو جعفر المنصور يقول: “مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعَ إِلَيَّ، فَقَدْ كَفَأَ، وَمَنْ أضعَفَ،
 ١٠ كان مشكوراً، وَمَنْ شَكَرَ، كان كريماً، وَمَنْ علم أن ما صَنَعَ إِلَيَّ نفسه صَنَعَ، لم يستبطئ
 الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودَّتِهِمْ. ولا تلتَمَس من غيرك شكر ما أتَيْتَهُ إلى
 نفسك ووقيتَ به عِرْضَكَ. وأَعلم أن الطالبَ إِلَيْكَ الحاجَّةَ لم يُكْرِمَ وجهه عن
 مسائلتك، فأَكْرِمَ وجهك عن رَدِّهِ.”^(١)

(المهدي)

ووَكان المهديُّ في أوَّلِ أمرِهِ يَحْتَجِبُ عن الندماء، متَشَبِّهاً بِالْمَنْصُورِ نَحْواً مِنْ سَنَةِ
 ١٥ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ. فَأشارَ عَلَيْهِ أَبُو عَوْنٍ^(٢) بأن يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: «إِلَيْكَ عَنِّي، يا جاهِل!»

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين* منقولة عن ص ٥٠. وهي استناراً أجنبي من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائلين بالدعوة
 العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاه حسن في تمهيد الأمر لبني العباس. دخل ببجوده
 دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها. وفيها قتله. روى فيها
 ٢٠ ومنه السلاح والأموال والرقيق. فولاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شعبان سنة ١٣٣ =

«ولنعم اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سرِّي. فأما من وراء وراء، فما خيرها»
 «ولتستأ؟ ولولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلّا أني أعطيتهم من السرور»
 «ومشاهدتي مثل الذي يُعطون من فوائدهم، جعلتُ لهم في ذلك حظًا موفّرًا». «وكان»
 «وكثير العطايا، يواترها. قلّ من حضره إلّا أغناه. وكان لينّ للعريكة، سهّل الشريعة،»
 «ولذيذ المتأدّة، قصير المناومة، ما يملّ نديما ولا يتركه إلّا عن ضرورة، قطع الخنا،»
 «وصبورا على الجلوس، ضاحك السنّ، قليل الأذى والبذاء.»

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيّ الظنّ. قلّ»
 «ومن توقّاه وعرف أخلاقه، إلّا أغناه. وما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال.»
 «وكان يأمر للغنى بالمسال الخطير الجزيل، فيقول: «لا يُعطيني بعدها شيئا»، فيعطيه»
 «ويهد أيام مثل تلك العطية.»

= إلى سنة ١٣٥٠. وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي يحلها الآن جامع آبن طولون. وبنّ
 هو هناك دار الإمارة ومسجداً عُرف بجامع المبكر. ولذلك سمي المكان كله بآدم المبكر من ذلك الوقت،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠. ولكن الخليفة مات، بلغاه أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أبو عون بركة شهراً. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الحوارج. فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرة،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولّى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الرائدة. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، استعمله على خراسان سنة ١٥٩٠ ثم عزله عنها سنة ١٦١٠. (أنظر
 الأغاني وأبن الأثير وأبي المحاسن تغري بردي، في فهرسها)

(١) صم: وأفرها.

(٢) سم: قصير المأومة والملايلة.

(٣) سم: النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذ بن الطبيب
 سوكان أول يوم دخل عليه مُعَاذ ^(١) وكان حاذقا بالأغاني عارفا بها: من أطربني اليوم
 منكم فله حُكْمُهُ، فغناه ابن جامع غناء لم يحركه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِمِي أَجْمَعْتَ بَيْنَنَا * فَإِنَّ تَقْوَاهُ أَيْبَا ^(٢) ؟

- ٥ فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: "أَعِدْ بالله، وبِحَيَاتِي!" فأعاد،
 فقال: "أنت صاحبي فَأَحْتِكُمْ" فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، حائط عبد الملك بن
 مروان وعينه الخزانة بالمدينة! قال: فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما
 جمرتان ثم قال: «يا ابن الخناء! أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأنتى حُكْمُكَ
 فأفطعتك! [أما والله] لولا بادرَةُ جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك،
 لضربت الذي فيه عينك!» ثم سكت هَنِيئَةً. قال إبراهيم: فرأيتُ مَلَكَ الموت قائما
 بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الخزازي، فقال: «خذ بيد هذا الجاهل،
 فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ماشاء!» فأخذ الخزازي بيدي حتى دخل بي بيت

(١) ص: م.

- (٢) "تقولها" هنا مثل "تظنها" معنى وعملاً. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.
 وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضا (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هنالك حكاية أخرى وفيها الأبيات بأكملها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)
 (٣) أي بستان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق ماءه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

- (٦) هو عبدل هارون الرشيد. وكان من ندما. الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قتيلا على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأدب ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة. فقال: دعني أؤامره. قلت: فأخذ تسعين. قال: حتى أؤامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يؤامره، فعرفتُ غرضه، فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأنك! قال: فأنصرفتُ بسبعائة ألف، وأنصرفتُ ملك الموت عن الدار.^(٣)

قال: ^(٤) «وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمثلها كلها إلا في العطايا»
«وَالصَّلَاتِ وَالخَلْعِ. فَإِنَّهُ كَانَ يَقْفُو فَعَلَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَالْمَهْدِيَّ. وَمَنْ خَبَرَكَ أَنَّهُ رَأَى»
«وَقَطُّ وَهُوَ يَشْرَبُ إِلَّا الْمَاءَ، فَكَذَّبَهُ. وَكَانَ لَا يَحْضُرُ شَرْبَهُ إِلَّا خَاصُّ جَوَارِيهِ. وَرَبَّمَا»
«وَوَطَرَبَ لِلْغَنَاءِ فَتَحَرَّكَ حَرَكَةً بَيْنَ الْحَرَكَتَيْنِ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ.»

وهو من بين خلفاء بني العباس من جَعَلَ للغنم مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أى ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا اسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.
(٢) في سه، صه: شارك. وفي الطبري: «قال الآن جئت بالحق، نشأتك!» (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)
(٣) أورد صاحب «محاسن الملوك» هذه القصة باختصار ألقاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للؤلؤ.
(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن «إلا» هنا معناها «غير» كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذى أرادته محدث الجاحظ: لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب إلا غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه [انظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التى منعه الطبيب من أكلها. (مرورج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان. فكان إبراهيم [الموصل^(١)] و[إسماعيل أبو القاسم] آبن جامع وزلز [منصور البزارب] في الطبقة الأولى. وكان زلز^(٢) يضرب، ويُنغى هذان عليه^(٣).

(١) الأسماء والكُنى والألقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان زلز هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد أشتهر في أيام المهدي والحسادى والرشد. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت باسمه؛ واشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها. قال فيها نبطويه النحوى:

لَوَأْنْتُ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرَا * مَلَاَحَةً مَا مَحْصَوِيهِ بَرَكَةُ زَزَلْ،
لَمَّا وَصَفَا سَتَلْنِي وَلَا أُمُّ جُنْدُبٍ * وَلَا أَكْثَرُ ذِكْرِ الدُّخُولِ لِحَقْوَلِ.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

غضب عليه الرشيد لحبسه سنين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصل، فقال إبراهيم فيه:

هَلْ دَمْرُنَا بِكَ عَائِدٌ يَا زَزَلْ * أَيَّامَ بَيْتِنَا الْعَدُوَّ الْمُبْطِلُ،
أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ آمِنٌ * وَالْخَيْرُ مُتَسِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلُ؟
يَا بُؤْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِهَامَ وَقُرْبَهُ! * مَا ذَا يِهِ مِنْ ذِلَّةٍ، لَوْ يَسْقَلُ؟
مَا زِلْتُ بِعَدْلِكَ فِي الْمَعْنُومِ مَرْدَدًا * أَبْكِي بِأَرْبَعَةِ كَانِي مُثَلِّ.

فرضى عنه الرشيد وأمرجه من الحبس. (أنظر معهم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣ و ٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للنفاجي ص ١١٧؛ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أى صاحبه الاخوان وهما إبراهيم الموصل وآبن جامع. والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠، أن إبراهيم الموصل وزلز وبرصوما أجمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلز وزمر برصوما ونغى إبراهيم:

صَحَا قَلْبِي وَرَاغَ إِلَى عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي.
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ، وَكَرَّ خُزْرًا * إِلَى، صَرِيْنِي وَقَطَعَنَ حَيْلِي.

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم! لو رأيت من يحصرني من ولدك اليوم، لسرك! ثم جلس =

والطبقة الثانية سليم بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ^(٢) ومن أشبههما .
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والونج والطناير . وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم . وكان إذا وصل واحدًا من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير ، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيبا منه ، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضا
نصيبا . وإذا وصل أحدا من الطبقتين الأخرتين بصلة ، لم يقبل واحدًا من الطبقة
العالية منه درهما ، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه .

قال : ^(٣) « فسأل الرشيد يوما برصوما الزاهر ، فقال له : يا إسحاق ! ما تقول في ابن
«جامع ؟ فخرتك رأسه [و] قال : نَحْرُ قُطْرَبِلْ ، يعقل الرجل ويذهب العقل . قال :
« فما تقول في إبراهيم الموصلي ؟ قال : بَسْتَانُ فِيهِ خَوْخٌ وَكُتْرَى وَتَفَاحٌ وَشَوْكٌ وَنُرُوبٌ .
« وقال : فما تقول في سليم بن سلام ؟ فقال : مَا أَحْسَنَ خَضَابِهِ ! قال : فما تقول
« في عمرو الغزال ؟ قال : مَا أَحْسَنَ بَنَانُهُ ! » ^(٤)

قال : وكان منصور زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالجلس . فكان إذا جلس
العود ، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله ، لم يملك نفسه حتى يطرب . ^(٥)

== وقال : استغفر الله !

وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزالا كان يضرب على إبراهيم ، يعنى الموصلي .

(١) صه : سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية) .

(٢) في سه ، صه : « الغزال » بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية) . وقد اعتدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥) .

(٣) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى الحكاية للملاحظ .

(٤) سه : « نيباه » . وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزاهر ذكر إبراهيم الموصلي وأمين
جامع ، فقال : « الموصلي بستان تجده فيه خلل والهامض ، وطريا لم ينضج ، وتأكل منه من ذا ومن ذاء وأمين
جامع زرق عسل ، إن فتحت فنه نرج عسل حلو ، وإن خرقت جنبه نرج عسل حلو ، وإن فتحت يده نرج عسل
حلو : كله جيد . »

(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس . ينتهى نسبه إلى زيد مناة . وهو الذى يضرب به المثل في الحلم . وكان
آية في الجدة والوقار . (أنظر ترجمته في آين خلکان والأغاني وغيرهما)

- (١) قال إبراهيم : فغثيت يوماً على ضربه ، فخطأتني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فغثيت زلزلاً وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فأه بغير لفظ إلا عرفت غرضه ! فكيف أخطئ وهذه حالي ؟ فإذاها صاحب الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغثيت ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سُنَيْدٌ ، لم يخلق الله أضرب منه يعود ولا أحسن بحسباً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرف فضله وتغثيت على ضربه . فإن زلزلاً يكادني مُكَيِّدَةُ القُصَّاصِ والقرَّادين . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحمله على البريد ، فألقى ذلك زلزلاً وغمه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سوَّيت . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يُدفع إلى أحد عودُه فيحتاج إلى أن يحزكه لأنها قد سوَّيت وعُلقت مثلها مُشاكِلَةٌ للزَّيْرَةِ على الدقة والغلظ . قال : فلما وضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزلاً ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغثي عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جَسَّ العود ، ماتمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير اذيت حتى قبل رأس زلزله وأطرافه ، وقال : مثلك - جُعِلْتُ فداك ! -

- (٢) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من استطرادات الجاحظ أيضاً .
(٣) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صـ .
(٤) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير ، هو الوزر الدقيق من الأوتار وأحكامها فتلاً (في عود الطرب) .
فكان المؤلف قال : وعُلقت مثاله مشاكِلَةٌ لثانيه . قال المفضل بن سلة النحوي في كتاب الملاهي مانصه :
”ويقال لأوتاره [أي العود] المحابض واحداً ومحبض وهي الشرع واحدتها شرعة . فها الزير ، والذي يلهي المَحْتَمِي ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والمُهم . ويقال للتي يسميها الفرس دساتين ، العتَب . وكل ذلك قد جاء في الشعر .“

لَا يُمْتَنَنُ وَيُسْتَعْمَلُ؛ مِثْلَكَ يُعْبَدُ. فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ.

“وَكَانَ مَنْصُورُ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْحَى النَّاسِ وَكَرَّمَهُمْ. نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحْمِلُ لَهُمْ أَخَذَ الزَّكَاةَ. فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ.”^(١)

ووَكَانَ إِسْحَاقُ بَرَصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ
وَوَلَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَرُمُّ عَلَى غَنَاءِ ابْنِ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ
وَوَلَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلْ؟ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَرُمُّ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.
وَوَلَمَّا أَنَا أَكُونُ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَرُمُّ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لَصَاحِبِ
وَوَالسَّتَارَةِ: ارْفَعْهُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى؛ فَإِذَا قُمْتُ، فَأَدْفِجِ الْبِسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.
وَوَفَرُّعُ إِسْحَاقَ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبِسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى
وَوَمَنْزِلِهِ آسْتَبَشَرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخَوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ نَبِيْطَةً لَكَاءَ^(٢). فَخَرَجَ بَرَصُومًا عَنْ مَنْزِلِهِ
وَوَلِبَعْضِ حَوَائِجِهِ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يَهْتَنُّنَ أُمَّهُ بِمَا خُصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا.
وَوَفَاخَذَتْ سِكِّينًا وَجَعَلَتْ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبِسَاطِ، حَتَّى أَتَتْ عَلَى
وَوَأَكْثَرِهِ. فَجَاءَ بَرَصُومًا فَإِذَا الْبِسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَائِنِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صَنَعْتَ؟
وَوَقَالَتْ: لَمْ أَدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَخَذْتُ الرَّشِيدَ بِذَلِكَ، فَضَحَكْتُ وَوَهَبْتُ لَهُ آخَرَ.
وَوَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْتًا، فَكَادَ^(٣)

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين * * متولة عن صـ.

(٢) التي لا تقيم العربية لعجمة لسانها. (فاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

يطير طرباً، فاستعاده عاتة ليله، وقال: «ما رأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهب لك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسرّ بها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأتأسر بهذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون عليّ.» قال: «فلم لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألف ألف أهون عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم.^(١)

قلت لإسحاق: فالخلوع، أين كان من ذكرت؟^(٢) (الأمين)

قال: «ما كان أعجب أمره كذا! فاما تبدله، فما كان يبالي أين فقد ومع من فقد.»
 «وكان لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، نحرّقها كلّها وألقاها عن وجهه حتى
 بقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهمم للأموال إذا»
 «وطرب أولها. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
 «وأنصرف به. وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أمانى. ولقد غشاه»
 «إبراهيم بن المهدي غناء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فقبل رأسه. فقام»
 «

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٢) يعني الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقايل. «لقرب عهدهم بجلعه وأشتهاره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإب الأتراك لا يسمون السلطان عد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا باسم "الخلوع"».

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأغانى ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى رارى الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

«إبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيته»
«يوما، وعلى رأسه بعض غلماناه، فنظر إليه فقال: وَيْلَكَ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن»
«تُغسَل. انطلق، تُخَذْ ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك.»

(١)
ولقد حدثني علوي [الأعسر وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف] عنه
قال: لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه، كما عنده ففتته جارية له بغناء
تركته فيه شيئا لم يُجد حكايته. فصاح: يا زانية! تغنني الخطأ! خذوها! فحملت.
وكان آخر العهد بها.

قلت: فالأمون؟ (الأمون)

قال: «أقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء. ثم سمعه من وراء»
«حجاب، متشبها بالرشيد. فكان كذلك. سَبَعَ جميع. ثم ظهر للندماء والمغنين.»
قال: «وكان حين أحب السماع ظاهرا بعينه، أشكر ذلك أهل بيته وبنو أبيه.»
ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي فغمزه بعض من خضر، وقالوا:
ما يُفادر تيبا وبأوا. فأمسك عن ذكره. قال: بل جاءه زُرُور يوما فقال له: يا إسحاق،
نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إسحاق: فغنت بهذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان الأمون يسعد مجلسا لفريق الأرزاق، فكانت إسحاق هذا أول من يدخل عليه في طائفة
الوزراء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء، والمعدلين، ثم الشعراء، ثم المغنين، ثم الرماة في الهدف. (عن ذيل
أمالى القائل ص ٩٠)

(٣) البأر هو الفخر والكبر واليه. قال حاتم الطائي:

فما زادنا بأرا على ذي قسراة * غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرا.

يا نظر هذه القصة أيضا في المقدم الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

بِاسْرَحَةِ الْمَاءِ قَدْ سُلِّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْلُودٍ؟
لِحَاثِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * مَحَلًّا^(١٤) عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ^(١٥).

فلما غناه به زُرُّوهُ، أطربه وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سه، صه وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء"، وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصح والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جميلة المنظر. [ويسمى أهل شقيق (آيل). وفي شاعروهم "ذو السرح" وهو موضع يسكن عندهم باللغة البربرية "إنواتيل"، وهو تزيين له كما ترى. استفدت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي]. ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر يا قوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ وح ٣ ص ٢٨٦؛ وج ١ ص ٥٣٦، ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢)

وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شبيها بالنساء. فقال حميد ابن قور في ضمن قصيدة له:

رَأَيْتَ إِنْ عَلَّتْ قَمِي بِسَرَحَةٍ * مِنَ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ مَرَحَةً مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرَاحٍ الْعُضَاءُ تَرُوقُ

- (وأنظر يا قوت ج ٣ ص ٧١).

هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" اليتيم الذين نحن بصددهما وقال كفى بالسرحة البائنة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة س رح)

- (٢) في صه: "حيام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٥ ص ١٠٦). وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زوزر وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.
- (٣) ممنوع أي مطرود.

(٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".

(٥) استحسن الأصبهني هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحلا آت أو اجتمعت في آية الكرسي، لعائتها".

(عن الوسيط في تراجم أدباء شقيق للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١: ٣١١)

قال: عبدك المحفوق المطرح، ياسيدي، إسحاق، قال: يحضر الساعة، بجاءه رسوله، وإسحاق مستعد، قد علم أنه إن سمع الفناء من مجيد مؤد أنه سيبعث إليه . بجاءه الرسول، حدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مديده إليه ثم قال: آذن مني! فأكب عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مضيقاً إليه ومسروراً به .

+

مسألة
الملك لندائه

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القُطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، و[لا] سيمًا إذا غلب أحدُهم على عقابه، وكان غيره أملك به منه بنفسه .

(٣٥)

وللسكر حد إذا بلغه نديم الملك، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذ به بزلته إن سبقته، ولا بفضل إن غلبت لسانه، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

حد الإغضاء
سر الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رعى بها في مهواه، وإن أرا: أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

مواطن
المعاقبة عاليا

فأما إذا دن ثمر بعريف ما يترك وكان إذا رام أحد أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غضب وانتصر، وإذا تكلم أفصح وقيل سقطه: فإذا كانت هذه صفة ثم جاءت منه زلة، فعلى عميد أتاها وبقيص فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه، فإن ترك عقوبة عذا ومن أشبهه قدح في عزه وسلطانه .

(١) الصواب للمحقق .

(٢) روى صاحب "معجم الملوك" هذه القصة بالفاظ المحقق نسخة - (ص ٦١)

(٣) لا شك أن أداة النفي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس * ولا سيما يوم بدارة جُلجل * رأكد أئمة الله أن من أهمها قد أخطأ . (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأشعري في باب الاستثناء، وأنظر البيان الوافي في "تاج العروس" (مادة س وي) . | وأنظر أيضا ص ١٥٧ من هذا الكتاب .

(٤) أي لنفسه .

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز أهل الجرائم عفوياً جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقوموا كل ميل ويدغموا كل إقامة.

الاقتصار في العقوبة



ومن أخلاق الملوك أن لا يشارك بطانته وبناؤه في مس طيب ولا مجر. فإن هذا هو أشبهه يرفع الملك فيه عن مساواة أحد. وكذا يجب على بطانة الملك وقربائه أن لا يمتسوا طيباً إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

تفرد المالك الطيب والتعبد لخدمتهما

١٠. وليس الطيب كالطعام والشراب للذين لا بد من مشاركة الندماء فيهما. فاما كل ما أمكن الملوك أن ينفرد به دون خاصته وحاشته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه. وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.
١٥. وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيهما أحداً. فإن الماء والعز والأبهة هي التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القراه" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهرى إلى العاقبة. ووافقه الأكتيون ومنهم الحريرى في "درة القواص" ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القربة". وإلى هذا القول ورد بهذا المعنى الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأنظر التصيل في تاج المرويس، مادة ق، رب)

(٢) العامة هي العامة، وأيضا أخصا. الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا
شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يترقبوا يزي^(٢) ينهون الرعية عن مثله .

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع
التاج على رأسه، لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ریحان متشبهاً به .
وكان إذا ركب في لیسية، لم ير على أحد مثلاًها . وإذا تخطت بجناحهم، فحرام على أهل
المملكة أن يتخطوا بمنزل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه .

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك . وطاعة أهل المملكة أن تتحاضى أكثر زى الملك وأكثر
أحواله وشيخه، حتى لا يأتى إلا بد لها منه .

وهذا أبو أحبيحة سعيد بن العاص . كان إذا أعتم بمكة لم يعتم أحد بعمة
مادامت على رأسه .^(٤)

وهذا الحجاج بن يوسف . كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يمتري أحد من
خلق الله أن يدخل على رأسه مثلاًها .

وهذا عبد الملك بن مروان . كان إذا لبس الخلف الأصفر، لم يلبس أحد من
الخلق خفاً أصفر حتى يتزعه .

(١) في سه، صه : يفعل .

(٢) صه : أمثل .

(٣) حالة من حالات اللبس .

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة
كتبي . قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا) : " وكان سعيد بن العاص أبو أحبيحة يعتم بمكة .
فاذا أعتم لم يعتم أحد بلون عمامته " . وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه
ذو العمامة وإن " أحبيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر . والأمة والأحاح
واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجهرة " .

(٥) أى فلندوة طويلة عالية . وكان هذا النوع من القلائص خاصاً بالأمراء ، وبالقضاة أيضاً (كما تدل
على ذلك عبارة البيهقي في " المحاسن والمساوي " ص ٢١٣) .

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس^(١) . دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد^(٢) [بن علي] وعليه مبطنة ملونة من أحسن نوب في الأرض، وقد أتم على رأسه رصافية^(٣) بعمامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خف أصفر، وفي يده عكازة ابنوس ملوح بنهيب، وفي إصبعه فص ياقوت تضيء يده منه. فنظر إلى هيئة ملائكة^(٤) قلبه، وكان جسيما، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لبسة وهيئة مانع^(٥) إلّا لواحد من الخلق." فأنصرف فلم يأت به حتى مات.

وحدثني أبو حسان الزبائدي^(٦) (وذكر الفضل بن سهل فترجم عليه) وقال: وجّه إلى في لبسة - وقد أويئت إلى فراشي - رسولا فقال: يقول لك ذو الرياستين:

- (١) أي من عهد قريب من المؤلف. [أنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
- (٢) من أكابر رجالات بني العباس وخصوصا في دولة المأمون والمعتصم والواثق.
- (٣) هذه العبارة توضح لنا ما لم يتيسر العلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes. فيؤخذ من كلام الجاحظ هنا وما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عمّة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده. ويؤخذ من كلام ابن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا. ذكر ابن خلكان أن عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا، وقال إنه كان على رأسه رصافية. وقد روى صاحب الأغاني هذه الحكاية بحرفها تقريبا (ج ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسوته. فذلك دليل على أن الرصافية نوع مخصوص من القلانس المعممة.
- (٤) صم: فنظر إليه بهيئة.
- (٥) يعني الخليفة.
- (٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين آمنهم المأمون بخلق القرآن. وهو من أهل الفتوى والرواية. وقد ولّاه المتوكل قضاء مديرية الشارقة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لانتعم غداً على قلنسوة إذا حضرت الدار^(١). قال : قَيْتُ واجباً، وأنا لا أعلم ما يريد بذلك . وَغَدَوْتُ ، وغدا الناس على طبقاتهم ومراتبهم . فجاء الحسين بن أبي سعيد إلى مَنْ في الدار، فقال : إن أمير المؤمنين يقعد في هذا اليوم ويعتم على قلنسوة، فَأَنْزِعُوا عما نكم!

وحدثني بعض أصحابنا عن الحسن بن قريش^(٢) قال : لما مات القاسم بن الرشيد، وَجَّهَ إلى المأمون رسولا فَأَتَيْتُهُ . فجعل يسألني عن عياله وعن أمواله، ويشكو إلى، ويقول : كان يفعل كذا ويفعل كذا . فكان في تلك الشكاية أن قال : وكان إذا ركب بَرًّا^(٤)، ركب في رُصَافِيَّة^(٥).

مدل الملك
في مجلس الشراب

* ومن أخلاق الملك إذا علم أن بعض الندماء قد بلغ غاية مجهوده في الشرب وأن الزيادة بعد ذلك تضر ببدنه وجوارحه أن يأمر بالكف عنه، وأن لا يكلف فوق وسعه . فإنه من تجاوز حق العدل عن الخاصة لم تطمع العامة في إنصافه . *

٣٩
مكالة
الندماء للولك

ومن حق الملك أن لا يكلمه أحد من الندماء مبتدئاً ولا سائلاً لحاجة، حتى يكون

(١) يعني قصر الخلافة . والحكاية تدل على أن الواقعة حصلت بمرور، لأن الفضل بن سهل قُتل في بلده (سرخس) عند عودة المأمون إلى بغداد .

(٢) صه : الحسن .

(٣) صه : هرس . وأخبار الطبري (سلسلة ٣ ص ١٥٢) فقد ورد فيه اسم هذا الرجل . وكان من خاصة المأمون ، وقد حدثته الخليفة عن أخيه القاسم هذا . (الحاسن والمساوي ص ١٨٧)

(٤) متى أطلق الكتاب هذا الاسم ، فإنما يريدون به مرو الشاهجان ، لا مرو الرذ . والأول هو أكبر . دائن نراسان ، وكان المأمون عاملاً عليها لا يبه .

(٥) تأقفت المأمون لأن أخاه كان يتعمد التشبه به ، ولم يراع الواجب في تركه يتعمد بالرصافية وعاصمة ملكه ، ولو أن للقاسم حقاً في لبسها لأنه هو أيضاً ابن الخليفة .

(٦) هذه الجملة المحصورة بين النجمتين * متقولة عن صه .

- هو المبتدئ بذلك. ^(١) فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقبّل إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يأذن له في الدخول، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يطل بساط الملك.
- وكان شيرويه بن أبريز يقول: "إنما تُعذّر البطانة برفع حوائجها إلى المملوك عند ضيق تكون، أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تناسخ أزيمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسدّ خلّتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراة العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذي حداه على ذلك الشرّ والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديراً أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، وينقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يمتنّ بإحسان سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن



من الملوك ينصّبهم عند الضرورة فقط

- (١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فردّ الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في محلى بغير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع بجمهورية مصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة صنع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٢، وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي داود المنوفي سنة ٥٢٤ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يتكلمون حتى يشكوا. (أنظر آيين شلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويُذَكِّرُه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالوا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالوا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(١)



عدم المعاقبة
في حال الغضب

ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التمرد والتجاوز لحدة العقوبة. فإذا سَكَنَ غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سَلَّته الشريعة ونقلته الملة.^(٢) فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب وليئنها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكّر القصاص منه على بالي. فاما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٣)

(١) كثيراً ما يروى الجاهل عن هذا الإنسان في كتاب "الحيوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في مئة المأمون حيناً أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حيناً أفضت إليه الخلافة. (طبرى سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢)

(٣) هذه الجملة المحصورة بين التعمتين * منقولة عن صـ. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)

(٤) سر: الأئمة.

(٥) سر: "فاما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذا الرواية أيضاً وجه وجبه. والضمير

راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بمحضرة الملك كالذنب بمحضرة السوق، ولا الذنب بمحضرة الحاكم^(١)
كالذنب بمحضرة الجاهل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بمحضرة
الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيافة والتأنيع^(٢) في الفساد.



ومن حق الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطانته وخاصته بذلك .
فإن أوما إليهم أن لا يروحوا، لا يقعد واحد منهم حتى يتوارى عن أعينهم .
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام .
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك .

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملة . بل تقعد الطبقة الأولى أولاً، فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية، فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة .
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً . فمن الواجب أن يقعد من كل طبقة رأسها
ثم هلم جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً .



ومن حق الملك أن لا يدنو منه أحد - صغير أو كبير - حتى يمس ثوبه ثوبه إلا
وهو معروف الأبوين، في مركب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول .

(١) هكذا في س، صه . ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التأنيع بالمشاة التحية: التهافت، الإسراع في الشر (قاموس).

(٣) المركب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضيع رأيته، لمّا لنصيحة يسرها إليه أو لأمر يسأله عنه، فمن تقى الملك أن لا يتكلم أحدا يدنو منه حتى يفتش أولا، ثم يأخذ بضيقه آثان، أحدهما من يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ماعنده وقبل منه الملك ما جاء به، فمن ثمّ سئل الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كاسب له - ليرغب ذرو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتترب بها إليهم.

+

الاستماع
لحديث الملك

ومن حق الملك، إذا حدث بحديث أن يصرف من حضره فكره وذنه نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يحدث به الملك، أسمعته استماع من لم يدرك حاسة سمعه قطعه لم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالفنس إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقيم وأشهى منها إلى فوائد السوقة ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يجري، الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملهم: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودايتي"

(١) في سر: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فللفنس". وقد أكلت موضع اليأس وصححت العبارة بناء على ما في صر. وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة وشقان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها مما قاله حكما اليونان. لعله هلهل هو والمجا حنظلن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد ما. [حاشية في صر]. ور رواية سر: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب.

ما حملت رجلي^(١)، وذكر الشعبي ناساً، فقال: "ما رأيت مثلهما أشد تناقداً في مجلس ولا أحسن فهماً عن محدث".

وقال سعيد بن سلم [الباهلي] لأُمير المؤمنين المأمون: "ولو لم أشكر الله إلا على أحسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بظرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجيه الحزبية". قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يحد عندك من حسن الإفهام إذا تحدثت، وحسن الفهم إذا حدثت ما لم يحد عند أحد فيما مضى ولا يظن أنه يحد فيما بقي".^(٢)

(ما حصل لرجل كان أنوشروان يسيره)

وفما يحكي عن أنوشروان أنه بينا هو في مسيره له (وكان لا يسيره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن ألفت يميناً، دنا منه صاحب الحرس، وإن ألفت شمالاً، دنا منه المؤيد، فأمره بالحضار من أراد مسيره) قال: فألفت في مسيره هذا [يميناً]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان، فأحضره. فقال: حدثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة. فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فأتته أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيره على شاطئ نهر. وترك الرجل - لا يقبله - على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته. فزلت إحدى قوائم الدابة، فالت بالرجل إلى الهر فوق في الماء ونقرت دابته. فابتدريها حاشية الملك وغلماؤه، فازالوها عن الرجل، وجدنوه فخلوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأغتم لذلك أنوشروان وزل عن دابته، وبسط له هالك. فأقام حتى

٥٣

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرد (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمين * مقولتان عن صـ

(٣) من يفتح الخاء والزاي اسم جيل (قاوس)، المتعارف الآن عند الفرنج ضم الحاء. وأما "توت"

تغذى في موضعه ذلك. ودعا بثياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطئ حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحن. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: إقبال الملك^(١) على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم، وهذه الفائدة وتبديل هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه راجحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد^(٢)، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جلته]^(٣)، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض، كان قد أبقي لي الملك ذكراً مثلاً مخلداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسر الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

فخشا قومه جوهرًا ودُزًا رائعا ثمينًا، وآسبطنه حتى غلب على أكثر أمره.^(٤)

وهكذا يضحك عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوي، أنه بينما هو يسير معاوية

(ما وقع لأن شجرة
الرهاوي حينما
حاده معاوية)

(١) في س، ص: "منها" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٢) في س، ص: "ومن هنا هذه" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٣) الزيادة عن المسعودي.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية بتمامها وبحرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سيرة الملوك

من الأعمام. ونسبها إلى شيرويه بن أبريز، وقال إن الرجل هو بُندار بن بُرشيد (بن ١٢٤ - ١٢٦).

ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكابد" (ص ٢٧ - ٢٩). وأحصنها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم للناس الحج وليأخذ له البيعة ويطرد عامل على

عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحر مره أو مرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة

من العرب (أظهر تاج العروس في مادة ر ه و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بأسبانيا الصغرى فهي

الرهاوي؛ بضم الراء.

٥

١٠

١٥

٢٠

آبن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم خراة وبنى مخزوم وقريش. وكان هذا قبل.
الحجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الملكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع
ببيعيره على رابية ثم أوماً بكمي^(٢) إلى الفريقين، فأنصرفوا.

- قال: فبينما معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر
عائر فآدماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما يمسح وجهه.
فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟
قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدثه عن جرمان يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش". وفي بعض نسخه:
"جرمان". [والصواب خراة كما هو وارد في س، صه].

- (٢) س: "بكمه" صه: "بكفه". [والصحيح عن "محاسن الملوك"].
(٣) هذه القصة لم نجد لها غير الجاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبيه الملوك"
وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت
الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق
سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٣ طبع العلامة وستنفلد في مدينة ليك سنة ١٨٥٨ م)
(٤) في سه غير. وفي صه غير. [وهذه الكلمة كثيراً ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضمون
"غائر" وأخرى "غائر" وأخرى "عابر". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المشناة المهموزة.
قال صاحب تاج العروس في مادة (ع و ر): والعائر من السهام ما لا يدري راميها وكذا من الجبارة . . .
والجمع العوائر].

- (٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه أقرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا تقع
اليمين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب.
وذلك من باب التشدد في التأثم والتحرج. وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في اليمين من يروى
بمجرد كلام لغيره؟ ولعلهم أرادوا عدم جريان اللسان بمثل هذه الأيمان

أمير المؤمنين أَلَمَانِي حَتَّى غَمِرَ فِكْرِي وَغَطَّى عَلَى قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَبَهَنِي
أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلَفٍ من العطاء، وأخرجك
من عطاء أبناء المهاجرين، وَكُجَاةِ أَهْلِ صِفِّينَ^(١)! فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده
في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاويةُ مَنْ لَا يُتَحَادَعُ وَلَا يُبَارَى.^(٣)
..... ولئن كان بلغ من بلاد يزيد بن شجرة وقلة حِسِّه ما وصف به نفسه، ما كان
يُجْدِرُ بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أَظُنَّ ذلك حَفِيَّ عن معاوية، ولكنه
تغافل على معرفة، لَمَّا وَقَّاهُ حَقُّ رِيَاسَتِهِ.^(٤)

[ويروي عن معاوية أنه كان يقول: "السُّرُّوُ التَّغَاوُلُ"^(٥)]

(١) ص ١٠ : ح ١٠

(٢) روى هذه القصة في "تنبيه الملوك"، بالفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"
باختصار (ص ٢٠). وأوردها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) ص ١٠ : يحارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كاجرت عاده. ولكنه حينما أَضْطُرَّ
لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بدا من الإشارة إليه بطريق
الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكتب في هذا المعنى وغيره"
ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أدنى مواضعها. (مروج الذهب جزء ٦،
ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات ص ١٠. [ومعنى السُّرُّوُ السَّخَاةُ في مروة. فيكون المراد من هذه
المقولة أن الظاهر بالفلة هو من دلائل السخا المزوج بالمروة. وسترد هذه المقولة أيضا
صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(ما وقع لابي بكر
الهدلي حين احاده
السفاح)

٤٦

وكذلك جُيِّعَ عن أبي بكر الهدلي^(١) أنه بينما هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث القُرس، فعصفت الريح، فأذرت طسا^(٢) من سطح إلى مجلس
أبي العباس، فأرتاع ومن حضره. ولم يتحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هُدلي! لم تُرْعَ مما راعنا! قال: يا أمير المؤمنين،
إن الله عز وجل يقول: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ». وإنما للراء قلب^٥
واحد. فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحادث يجال. وإن الله،
إذا أنفرد بكرامة أحدٍ وأحب أن يبقى له ذكرها، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته. وهذه كرامةٌ خُصِّصَتْ بها، مال إليها ذهني وشغل بها فكري.
فلو أنقلبنا الخضراء على الغبراء، ما حَسَسْتُ بها ولا وَجَمْتُ لها إلا بما يلزمني في نفسي^(٤)

- ١٠ (١) اسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٣). وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح، وله بحضرته مناظرة بدعية في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها وكان مناظره ابن عياش المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وماشيته في الصفحة التالية)
أوردتها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكملتها في ص ١٩٠). وهو من الضعفاء
في الحديث، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣).
- ١٥ (٢) أي أوقعت الريح طستا. وفي ص: «فأوردت طستا»، وقد رواها صاحب «مطالع البدور»
(ج ١ ص ١٩٢). والذي في المسعودي: «فأذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس».
وأنظر «شذرات الذهب» (ج ١ ص ٢١٧). وقد روى الراغب الاصفهاني في «محاضراته» (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه، فقال: كان أبو القاسم الكمي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طست فترزلت منه عرصة الدار. فلم يلتفت أبو القاسم عن الأمير. فقال الأمير لا يصلح
لوزاني إلا هو.

(٣) في المسعودي: «بحادثة».

(٤) ص: البيضاء.

(٥) ص: توجهت.

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك ، لأرفعن منك ضَبْعاً لا تطيف به السباع ولا تحطُّ عليه العقبان .^(٢)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتتوف يقول : لم يتقرب العامة إلى الملوك بمثل^(٣) (كلمة ابن عيَّاش المتتوف)
الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل^(٤) . بحسن الاستماع .

(١) الضَّبعُ (بضم الباء) العضد . والجملة هنا تخاية ، بمعنى لا نوهنُ بأَمْك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) .
وفي المسعودي : "صعباً" . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتبدیل فی الألفاظ وزيادة وقصصات (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بحريفي يسير صاحب "المحاسن والمساعي" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالات المنصور العباسي ، وكان من النساين . ويعرف بالمتتوف لأنه كان ينصف لحيتته .
(ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوماً ، فقال له : تعرف ثلاثة حلفاء أسماؤهم على العين ، قلت ثلاثة خوارج مبدأ أسماؤهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العامة إن علياً قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، سجين عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملح ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فات .] فقال المنصور : إذا سقط عليه ، فماذا نجي ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً . وقد روى المسعودي هذه المحادثة بتفصيل أوفى (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته ما لطف سباق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أبا مسلم الخراساني (وأسمه عبد الرحمن) ، وحمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان ، [وأنظر ص ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وكان [أبو زُرعة] رُوح بن زُبَيْع^(١) [بن رُوح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت أن يَمْكَنَكَ الْمَلِك من أذنه، فَاْمِكِنْ أذَنكَ من الإصغاء إليه إذا حدث^(٢).

(كلمة روح بن زُبَيْع)

④٧

وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصنعي إلى حديثي^(٣).

(كلمة أسماء بن خارجة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغْلِبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكَّبَ بِشَيْئَيْنِ: بالحلم عند سَوْرته ، والإصغاء إلى حديثه^(٤).

(كلمة معاوية)

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمى "رُوح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رُوح بن القاسم، فإنه بالغم. وروح بن زُبَيْع الجُدَامِي من رجالات بني أمية. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجه، وبايع لأبن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رُوح واليا عليها، بعد أن أُلْقِيَ خطبة جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في آبن الاثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند آبنه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأبيه وزميله ومسيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصائل لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (العقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد اللغاة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية طريفة أوردتها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية طريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بُشَيْرِ أُمَيِّ عبد الملك بن مروان واليا. أوردتها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أمميين الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "فوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن خارجة شيئا للسلطان (العقد الفريد ج ١ ص ٤١).



آداب أهل الزينة
بعد المضاحكة

ومن أخلاق الملك، إذا قُرب إنسانا أو أنس به حتى يهزله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يمر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



تكر أخلاق الملوك

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يفض على الرجل من حمايته، والرجل من حاقته ويطانته؛ إما لحناية في صلب مال، أو لحساية حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلًا، ثم لا يظهر له ما يؤجسه حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الحنانيات وعند أول بوادر الغضب.



صبر الملوك على
مضض الحق قد حق
تحسين الفرصة

فاما الملوك وأبناؤهم، فليست تقاس أخلاقهم ولا يعاير عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سحره ونحره، فتطول بذلك المسدة وتمتد به الأزمنة. وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعتز لم يكن

(١) الخصرع والأقياد. وفي "الأغاني": أنت تخصم لهذا، هذا الخضرع وتستهذي له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم : تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرقة. والمراد به هنا ما يغازيه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سحري ونحري." تعني بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الاقتراب والالتزاق، كما قول أيضا: بين سمعه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم : وهوله. صم : ويقولون.

بين هذه القِتلة وبين الأُخرى بعدها بعشرين سنة فرقٌ. إذ كان لا يخاف تأراً، ولا في الملك وَهناً.

(معاينة أنوشروان
لمن خانه في حريمه)

ولما يُذكر عن سيرة أنوشروان أنَّ رجلاً من خاصِّ خدمه جنى جنائية أطلع عليها أنوشروان، والرجل غافلٌ عنه، وكانت عقوبة تلك الجنائية توجب القتل في الشريعة. فلم يدرك كيف يقتله : لا هو وجدَّ أمراً ظاهراً يَقْتُلُ بمثله الحُكَّامُ فيسِفُك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على الملك والمملكة، ولا وجد لنفسه عنذراً في قتل غيلة، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سبَقهم. فدعا به بعد جنائته بسنة فاستغلاه وقال: قد عزبني أمرٌ من أسرار ملك الروم، وبى حاجة إلى أن أعلمها، وما أجذني أسكنُ إلى أحد سُكوني إليك، إذ حللت من قلبي الحبل الذي أنت به. وقد رأيتُ أن أدفع إليك مالاً لتحمل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعثت ما معك، حملت منى في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلى. وفي خلال ذلك تُصنِئى إلى أبحارهم وتطليع^(١) طلع ما بنا حاجة إليه من أموالهم وأسرارهم.

فقال الرجل: أفعلُ أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك حجة الملك ورضاه. فأمر له بمال، وتجهز الرجل ونرج تجارة. فأقام ببلاد الروم حتى باع وأشتري^(٢) وأيقن من كلامهم ولفتهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم^(٣). ثم أنصرف إلى

(١) خزبة الأمر اشتد عليه، أصابه منه غم.

(٢) أى: رطم أمراً الذي يحسن في حاجة إلى معرفته.

(٣) أى فهم وحفظ سرية.

(٤) صه: أسرارهم.

- أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول المقام بها والترصّب بتجارته ، ففعل حتّى عُرف واستفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل في جام من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، ويُجَعَلُ صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجَعَلُ مخاطباً للملك ومشيراً إليه من بين أهل مملكته ، ويُذَنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه يُسرّ إليه ^(١) . ثم وهبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا الجلام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن باعه من الملك نفسه ، نفعت ؛ وإن لم يُمكّنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من بعض حاقته . " فجاء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ ركبائه ، فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يتَّخِذَ بذلك عنده يداً . وكان الملك يقَدِّم ذلك الغلام ، وكان من خاصّ غلمانته وصاحب شرابه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى صاحب نحرانته ، وقال : "احفظه ! فإذا صرْتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب النحرانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض على الملك . فلما وقع الجلام في يَدَيِ الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى صورة الرجل وتركيبه : عُضْوَا عُضْوَا وجارحةً جارحةً . فقال : "أخبرني ، هل يُصوّر مع الملك صورة رجلٍ خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آتية الملك صورةٌ لا أصلَ لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك آثنان يتشابهان

(١) صه : يساره .

(٢) الفرز هو الركب من جلد مخروزم .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديمًا للملك؟ قال:
 لا أعرفه. فقال: قم! فقام. فتأمل له قائما، فوجد صورته قائما في الجلام. ثم قال: أدبر!
 فأدبر، فتأمل صورته في الجلام مُدبرًا. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجلام مقبلا.
 فوجدها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يهتري الرجل أن يسأله
 عن سبب ضحكك، إجلالا له وإعظاما. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
 إذ كانت تأخذ مُدبتيها فتدفنها، وأنت أهديت إلينا مُدبتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟
 قال: لا. قال: قربوا له طعاما. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
 لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متطلعا على أموره
 متبعا لأسراره؛ بل أنت ملكٌ ونديمٌ ملكٍ إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
 وسقي الخمر حتى إذا تميل، قال: إن من سُنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
 موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعا ولا عطشان. فأمر أن يُصعد به إلى صَرْج
 كان يُشرف منه على كلِّ مَنْ في المدينة، إذا صعد، فضربت عنقه هناك، وأُلقيت
 جثته من ذلك الصَّرح، ونُصب رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المغرّد بصوت الحراسة
 — إذا ضربَ بأجراس الذهب — أن يقول، إذا مرَّ على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سر: تنجي.

(٢) روى المقرئ من ابن عبد الظاهر "أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا، وقد أخذ رأسين من الغنم
 فذبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقتض حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بضمه ورمها في البالوعة.
 بغاه الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطول هذه القضية أهل
 القصر، فأمروا بعمله جامعا" (الخطوط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) صر: يأمر بالموذ يضرب.

فَوُكِّلَ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ تُقْتَلُ، إِلَّا مِنْ تَعَرُّضٍ لِحَرَمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ.”

فلم يدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَاذَا أَرَادَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ.^(١)

فليس في الأرض نفسٌ تعبر على مَضَضِ الحِقْدِ ومطاولَةِ الإيَّامِ بها صَبْرَ الْمُلُوكِ.^(٢) ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوى الجِأَةِ والتميز في العمل عليها والمقابلة بها حَتَّى تَخْرُجَ على وَزْنٍ وَاحِدٍ وَبَنْظِيمٍ مُؤْتَلِفٍ.

وكذلك يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعَمْرُو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ، أَنَّهُ أَقَامَ

٥٣
(تكملة عبد الملك بن مروان بن نازحه الملك)

(١) روى صاحب “تنبيه الملوك” هذه القصة عن المباحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في “الحاسن والأضداد” (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في “الاشتقاق” لأبْنِ دُرَيْدٍ (ص ٤٩) مانصه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشديق، وهو الذي يلقب بلعيم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذئبان قتل لعيم الشيطان “وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً مما كانوا يتكسبون”. قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، منسل المسعودي (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تدل على تردد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرح به المباحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبير ياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بهد أن اتفق معه على أن يجعله ولي عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، قضى الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو ولي عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلف من خالد بأيسر سبب، وحرّبه أمر عمرو وهو يصاربه. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: “إنك لتطعم نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل”. فأجابه عمرو: “استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أوردتلك الغفلة. زحرت عما وافقت عليه، ونذبت إلى ما تركت سيده. ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذلّ عزيز. ومن قريب يتبين من صريع بني وأسير غفلة”. قال في المستطرف =

بضع سنين يُزاول قتله. فمرة يُرجئه، وأخرى يهيم به، ومرة يُججم، وأخرى يُقْسِم، حتى قتله، على أخبث حالاته.

وحَدَّثني قُتَيْبُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَسْرُورُ الْخِصَامِ: قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ! لَكُنْتُ مِنَ الرَّشِيدِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ بِحَيْثُ يَمْسُ ثَوْبِي ثَوْبَهُ، وَهُوَ يَقُولُ فِي مُنَاجَاتِهِ رَبَّهُ: "أَللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ فِي قَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى". ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِ سِنِينَ أَوْ سِتٍّ.

(تكملة الرشيد
بالبرامكة)

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يَرْفَعَ أَحَدٌ مِنْ خَاصَّتِهِ وَبَطَانَتِهِ رَأْسَهُ إِلَى حُرْمَةِ لَهُ، صَغُرَتْ أَمْ كَبُرَتْ. فَكَمْ مِنْ فَيْلٍ قَدْ وَطِئَ هَامَةً عَظِيمَ وَبَطْنَهُ حَتَّى بَدَتْ أَمْعَاؤُهُ، وَكَمْ مِنْ

مراعاة حرم الملك

== (ج ٢ ص ٤٤) إِنَّهُ سُمِّيَ بِالْأَشْدَقِ لِأَنَّهُ كَانَ مَائِلَ الشَّدَقِ. وَأَنْظُرِ الْفَاصِلَ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي نَهَنَّا عَلَيْهَا. [وَأَنْظُرِ الْأَقْوَالَ الْأُخْرَى الَّتِي رَوَاهَا الْجَاهِلِيَّةُ فِي سَبَبِ تَسْمِيَةِ الْأَشْدَقِ وَأَنَّهُ كَانَ خَطِيئًا مَقْوَاهُ "الْيَانُ وَالْتَبْيِينُ"] ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ وَأَنْظُرِ أَيْضًا ص ١٨٤ - ١٨٥ مَهْ.

(١) سَمَهُ: رَاوَدَ.

(٢) هُوَ قُتَيْبُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. كَانَ عَامِلًا عَلَى الْمَدِينَةِ، وَآمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ. وَلَهُ فِيهَا مَجَالِسُ عِلْمٍ وَأَدَبٍ. (أَنْظُرِ الْبَلَادِرِيَّ وَالْأَغَانِي فِي فَهْرِهِمَا)

(٣) فِي الْأَصْلِ: "حَسْبَنَ". وَلَا نَعْلَمُ أَنَّ لِلرَّشِيدِ خَادِمًا خَاصًا بِهَذَا الْأَسْمِ. وَلِذَلِكَ أَبْدَلْنَاهُ بِخَادِمِهِ الْمَشْهُورِ وَهُوَ: "مَسْرُودٌ". يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَيْضًا رَاوِي "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدِ" الْوَارِدَةُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْم ٥ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ.

(٤) سَمَهُ: مَعَ.

(٥) فِي "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدِ" مَا نَصَهُ: "كَانَ الرَّشِيدُ أَهْدَى النَّاسِ وَأَكْتَنَّهُمْ لِسَرٍّ. وَمَا يَدَأُ عَلَى ذَلِكَ مَا حَدَّثَ بِهِ مَسْرُورُ خَادِمِهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الرَّشِيدِ فِي بَعْضِ سِنِي حُجَّتِهِ، فَسَمِعْتُهُ وَقَدْ آتَرَمَ الْمُسْتَجَارَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَنْتَفِئُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَكُنْتُ بَيْنَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لَمْ يَرْنِ. وَهُوَ يَقُولُ: "أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ فِي قَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى! مَرَارًا كَثِيرَةً. فَلَمَّا سَمِعْتُهُ طَارَ عَقْلِي وَخَشِيتُ أَنْ يَعْطَنَ بِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِي. فَاقْبَلْتُ أَعْوُذًا، وَلَمْ أَزَلْ أَحْتَالُ حَتَّى اسْتَلْتُ مِنَ الْأَسْتَارِ. قَالَ أَبُو هَاشِمٍ مَسْرُورُ الْخِصَامِ: فَكَانَ بَيْنَ الْوَقْتِ الَّذِي اسْتَخَارَ اللَّهَ فِيهِ فِي قَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَبَيْنَ قَتْلِهِ سَبْعَ سِنِينَ". (صَفْحَةُ ١٩٧ - ١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مرّفته السباع وتمشّشته^(١) وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديا قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تُصان وتُعلّ بالمسك والبان^(٢) قد أُلقيت بالعرّاء^(٣)، وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، وانلّختم، والأولياء! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب، إذ كان من أطف مكايده وأدق وساوسه وأحلّ تريده!

(١) أى مصّت عظمه. وفي س: "تمزقه السباع وتمشّشته". وفي ص: "تمزقه السباع وتمشّشته". وفي "المحاسن والأضداد": ونهسته.

(٢) أى تُطَيّب مرة بعد أخرى بالمسك الخ، ملّه بالحناء يعلّه ويعلّه "الكامل للبرد". والعليلة المداواة المطيبة مليا بعد طيب "قاموس". وفي ص: قمل. وفي نسخ "المحاسن والأضداد": قمل، قمل، قمل. [وأظر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب أسم البان على شجرتين مختلفتين. فالأولى هى المسماة أيضا بشجرة الخلاف، وهى التى يسم بها السمراء وبشبهون قوام المحبوب بقضبها. وهى كثيرة بمصر. والخلاف نوع من الصفصاف (Saulo) أو هو غيره. ويطلقون أسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يشبه رطباً ويستعمل مثل الورد والنسرين والنيلوفر (نهاية الأرب، فى الباب الأول من القسم الأول من القرن الرابع؛ وحسن المعاصرة). وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشمومة وأنها نوعان.

أما أسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca*. والشجرة الثانية هى التى عنها الجاحظ. تشبه الأثل ولها ثمرة كأنه البلوز فيه حب كالفسق، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط. وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضا. ودهنه يدخل فى تركيب نفائس العليب والأطيار والنفال. وتوجد شجرته ببلاد العرب. واسمه العلمى (*Guilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية. (راجع آبن البطاروت ترجمته إلى الفرنسية فى الكلمات التى ذكرناها)

(٤) ص: نبذت.

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط.

(٦) فى نسخ "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل ترايته، أجل بواقته.

فعلَى الحكيم المحبُّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أَنْ يطلبَ
دوَامَهُما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلاً؛ ويدفعَ مقارفتَهُما لكل شئ يقع فيه
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَظْبٍ يُتلف، ولا يَتَكَلَّ على خيانة خَفِيَتْ
أو بَقَرَةٍ حَطَى بها أحدٌ من أهل السَّفَةِ والبَطَالَةِ. فَإِنَّ تِلْكَ لَا تُسَمَّى سلامة، بل
إنما هي حسرة وندامة، يومَ القيامة. وكم من فَعْلَةٍ قد ظَهَرَ عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمنة بها، فَردَّتْ^(٥) من كان قد أحسنَ بها الظنَّ حتَّى تركته كأمس الذاهب،^(٦)
كأن لم يكن في العالم!



ومن حقِّ الملك - إذا أيسَ بإنسانٍ حتَّى يُضاحكه ويُهازله ويُفَضِّلَ إليه بستره
ويُخَصِّصَه دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أَنْ لا يرفعَ إليه طَرَفَه،
إعظاماً وإكراماً، وتجيلاً وتوقيراً، ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
وليكنَّ غرضُه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
بمحضرة الملك

﴿٥٥﴾

- (١) يَكْنَى بالنسيم الدقيق عن النَّفس؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سـ : مفارقتُهما بكل . صـ : مفارقتُها بكل . [وربما كان الأصوب ما وضعناه في من الكتاب :
- ١٥ "ويدفع مقارفتُهما لكل شئ الخ" أي يحول دون ارتكابهما لأي أمر تكون عاقبته مشكوكاً فيها بين السلامة والهلاك] . قال في تاج العروس : "قارنه مقارقة وقرافا : قاربه . ولا تكون المقارقة إلّا في الأشياء الدنيئة ."
- (٣) صـ : غضب .
- (٤) سـ : تسمى .
- (٥) الفعل ما هوردي مثل أردى ، بمعنى أهلك . وفي صـ : فأوردت .
- ٢٠ (٦) أمس الذاهب ، وأمس الدابر ، وخبر كان : كلها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في د ب ر)

خفض الصوت
بحضرة الملك

تأديب الله
للمصاحبة

ومن حق الملك أن لا يرفع أحدٌ صوته بحضرة . لأن من تعظيم الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بحضرة ، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعِزِّه وسلطانه .

وهذا أدب الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال عز من قائل :
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ“ . فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَقَدْ آذَاهُ ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ .

وكان قوم من سفهاء بنى تميم أَتَوْا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : يا عجم !
أُخْرِجْ إِلَيْنَا نَكَلِّمَكَ . فَقَمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أدبهم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ”إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ“ (١) .

ثم أتى على مَنْ غَضَّ صَوْتَهُ بِحَضْرَةِ رَسُولِهِ ، فقال جل أسمه : ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى“ (٢) .

٥٦

فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بحضرة ، وإذا قام عن مجلسه :
حتى لا يدخل الملاء ، وَهَنَّ ولا خَلَلَ ولا تقصير ، في صغير أمر ولا جليله .

حرمة مجلس الملك
في غيبه

وكانت ملوك الأعاجم تقول : إِنَّ حُرْمَةَ مجلس الملك إذا غاب كُحْرُمَتُهُ إذا حضر .

(١) أنظر قصة هذا الوعد في كتب السيرة النبوية ، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦) .
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩) .

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧) . ٢٠

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها، فَمَن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمي ذا وجه. ومن خالف أخلاقه وشيئته وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سُمي ذا وجهين، وكان عند الملك منقوصاً متصنعاً.^(٢)

الرفقاء على مجالس
ملوك المماليك عند
غياهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه. فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقه على الملك أن يخلع عليه خلعاً في قرار داره، وبحضرة بطانته وخاصته. وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقه أن يخلع عليه بحضرة العاقمة، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأحذوثة وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه.

مواطن المكافآت



وليس من العدل أن يُفرد المُحْسِنُ بخلعاً فقط، إلا أن تكون الخلع على شرب أو هوى. فاما إذا كانت لأحد المعنّين اللذين قدّمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل خيالات أو قضاء دين أو إحسان، كائناً ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها.

بيان المكافآت
وخصومها
وعصومها

(١) أ، و، ر، ق.

(٢) ص: مقصياً. [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مَقْصِي" إذ لا يقال "مَقْصِيَا" في أسم المفعول. وأنظر القاموس وشرحه في مادة ق ص و.]

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح
والأخلاق، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بوله
وبزقه وتشاوبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد
مزاجه . فاما الدموي^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه^(٢)
حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته .



ومن حق الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفا بمنازل الطريق
وقطع المسافة، دليلا بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والنعاس، قليل السعال^(٣)
والعطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والحلأثة، قصير المياومة^(٤)
والملايلة، عالما بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالما بالنادر من الشعر والساثر
من المثل، متطرقا من كل فن^(٥)، آخذا من الخير والشر بنصيب . إن ذكر الآخرة ونعيم
أهل الجنة، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛
وإن ذكر النار، حذرته ما قرب إليها . فزهده مرة، ورغبه أخرى . فإن بالملك أعظم

(١) صه : الدين .

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموي"

(٣) صه : ومناره .

(٤) صه : قصير الملايلة .

(٥) صه : متصرفا .

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالحرّاً إذا أصاب هذا، أن لا يفارقه إلا عن أمرٍ
تتقطع به العصمة وتجب به النعمة^(٢).



ومن حقّ الملك، إذا خرج لسفراً أو نُزّهية، أن لا يفارقه خلعُ للكساء، وأمّوالُ
للصلوات، وسيّاطُ للأدب، وقيودُ للعصاة، وسلاحُ للأعداء، وحماةٌ يكونون من
ورائه وبين يديه، ومؤنّسٌ يُفَضِّي إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره وسُنّة
شريعته، ومُلمٌ يَقْصِرُ ليلَه ويُكثِرُ فوائده.

مدة الملك في خروجه
لسفراً أو نُزّهية



وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أوّلها وآخرها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تمتثل هذا وتفعله.

ولنسدّاء الملك ويطانته خِلالُ يُسْأَوْنَ فيها الملك ضرورة. ليس فيها تقصن على
الملك، ولا ضَعْفٌ في الملك. منها: اللَّعِبُ بِالْكُرّةِ، وطلب الصيد، والرّمي في الأغراض،
واللّعب بالشّطرنج، وما أشبه ذلك.

خلال النداء

ومن الحقّ على الملك أن لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النّصفَة في هذه
الأقسام التي عدّدنا.

مساواة الملك
للملاعب

ومن حقّ المَلَاعِبِ له المُشَاحَّةُ والمُكَالَبَةُ والمُساوَاةُ والممانعة وتركُ الإغضاء والأخذُ^(٣)

حق الملاعب
على الملك

(١) في "القاموس": "الحرّ الخليليّ. ومنه: بالحرّ أن يكون ذلك. وفي "الصّماح": ويحدث الرجلُ
الرجل فيقول: بالحرّي أنت يكون. [والمعنى هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً توقّرت فيه هذه الصفات
فالأخرى والأجدر والاختق به أن لا يفارقه إلا في الحالة التي نصّ عليها المؤلف.]

(٢) سه: "القيمة".

(٣) صه: المماقة.

من الحق بأقضى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلام رقيت ولا معارضة بما يُزيل حق الملك ولا يصيح بعلو كلامه ولا يُخير^(١) ولا قذف ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة^(٢). فقمره^(٣) تربه. فقال له سابور: ما امرتك؟ فقال: أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة. فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فردّ غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأيسف لذلك سابور وقام فدعا ببرقع، فتبرقع. ثم جثا لتربه، فأمتنع أن يعْلَوْظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل قدمه هدر^(٣).

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعري، وتوبيخ في تمثيل ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل تربه سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من فاعله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.

آداب الملاعب
بالكرة وقير

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدياته على دابة

(١) التغير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا التربه كانت عادته ودينه أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك ، وصوّبَ لآيَه على صولجان الملك ، وأن يعمل جهده في أن لا يُخسَ حظه ولا يفتر^(١) في مسابقة ولا مراكضة ولا آلتفاف كرة ولا سبق إلى حد ونهاية وما أشبه ذلك . وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج .

سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب يقول : " كان لي صديق من بني مخزوم ، وكان لاعبا بالشطرنج . فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر ، فقال : أحضره . فقلت للمخزومي : تبياً للقاء أبي العباس . وكان متصرفاً كثير الأدب . فغدوت به ، فدخل . فلما وقعت عين أبي العباس عليه ، وقف . فرآه من بعيد ، ثم أنصرف من غير أن يكلمه . فقال : هذا رجلٌ من أهل الأدب ، فأعُد به ولاعبه الشطرنج بحضرتي

لعبة الشطرنج
بمحبرة عبد الله
أبي طاهر

(١) صه : ولا يمين .

(٢) اضطرب اسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب . فورد في صه : " الحسين " وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي " المحاسن والمساوي " ص ٢١٧ . ورد في صه : " الحسن " وكذلك في الأصافي وفي صه في موضع آخر [أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب] . أما الطبري فأورد الأسمين ، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجمل " محمد بن الحسين " وأوياً . ولا أدري من أين له هذه التفرقة ، فإن متن الطبري لا يفيدها . والظاهر عندي أنهما شخص واحد .

أزلاً — لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقاً ، ولو كان رويًا — كما يزعم صاحب فهرست الطبري — — لكان من الراجح وقوع اسمه في تخاب الأغاني ؟

ثانياً — لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي اليميين الذي فتح بغداد باسم المأمون . ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف . فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب ، وإلا لكان عمه . ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد . فهو من عصبة عبيد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجلته . وقد كان بصيراً بالفتاء والنعم ، وكان من الملتجئين . وذلك لأن أبا الفرج الإصصهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان ، وبنته بلقب الأمير . (ابن الأثير ج ٦ ص ١٠١ - ٢٠٦ و ٣٥٦) و (الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٥٣ و ١٠٢ و ٩ ص ٦٢ و ج ١٠ ص ٩١)

حتى أبوره وعائشه حتى يخرج إلى باب المنزل والشتيمة. فلما قعدنا، دارت لي عليه ضربة^(٢)، قفلت: خذها، وأنا الغلام البوشنجي^(٣)! وهو ساكت. ثم دارت لي عليه ضربة أخرى، قفلت: خذها، وأنا مولى مخزوم! فسكت. ثم دارت عليه ضربة^(٤)، قفلت:

﴿١٧﴾

خذها يا ابن مخزوم، في حريم مخزوم! فسكت. وأستؤذن لرجل من آل عبد الملك ابن صالح، وكان خاصاً بابي العباس، فأمر بالإذن له. فلما دخل الهاشمي وقعد، قال [لي] المخزومي: ليس فيك موضع شرف ولا عز، فأفانرك! أنت بوشنجي تميم دائق! ولكن قل لهذا الهاشمي يفاخرني حتى ينظر ما يكون حاله. فأما أنت، فمن أنت حتى أفانرك؟ فضحك أبو العباس حتى خفص برجله^(٥)، وأمر له بخمسة دنانير وقربة وآتسه.

+

آداب الندماء إذا
أخذت الملك سنة
من النوم

ومن أخلاق الملك، إذا غلبته عيناه، أن ينهض من حضره من صغير أو كبير، بحركة لينية خفيفة، حتى يتوارى عن قرار مجلسه، ويكون بحيث يقرب منه إذا أثبتته. ولا يقولن إنسان في نفسه: لعل الملك إن هب من سنيته لا يسأل عني، أولعله أن يمتد به النوم أو يعرض له شغل. فإن هذا من أكبر الخطأ.

وقد قتل بعض الملوك رجلاً في هذه الصفة.

(١) البور الاختبار والامتحان كالأبصار. قال في قناص جبر والفرزدق (ص ٣٥٤): "وهذا كله أبقار منه للناس ليدعوم إل خلمه".

(٢) يظن بعض الجلمة أن هذا اللفظ ليس عربي، لأن بعض المتحذلقين مالوا إلى الشتم لفظاً ومعنى، دون أن يتفطنوا إلى الفرق بين الاسم والمصدر. والقاموس وشرحه وكل متون اللغة والجاحظ وأمثاله شهود عدول. وأنظرا يشار إلى القاموس في مادة هـ زل فقد صرح بأنهم اشتقوا الشتمة من الشتم وأنظرا البيان والتبيين ج ٢ ص ٦.

(٣) إشارة إلى نشأته بمدينة بوشنج من خراسان.

(٤) كلمة مركبة تركيباً إضافياً من كلمتين. وحذف حرف الألف من الثانية. والمعنى ظاهر. وهو شتيمة. ويضارع ذلك في حذف الألف، قول العرب: "لأب لك"، أي لا أب لك، وقولهم: "وليله" (أنظر تاج العروس في مادة وى ل). - وأنظر صفحة ١٣٥ من هذا الكتاب.

(٥) أي ضرب الأرض برجله كثيراً حتى كأنه يبحث فيها.

١٠

١٥

٢٠

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكم الملك وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطن عليه. وبالحرى أن لا يتعلم من عدل وتأنيب^(١).



- إمامة الملك للصلاة
- ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصاله: منها - أنه الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ يساطه، ولو حضر مجلسه أزهى الخلق وأعلمهم.
- فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا بسجود ولا قيام.
- وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوما من صغير أو كبير أو شريف أو ضيع، فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائما. فإنهم لا يدرون أيريد تنقلا أو دخولا أو قعودا في مجلسه.

- فإن قام لناقلة، فليس من حقه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته لحديث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصلون بإزائه، وهو قاعد.
- ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى حيث لا يراهم، فوصلوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، وصلوا على مكاناتهم.

(١) أنه تأنيبا: عفه ولامه. (حاشية في صه)

(٢) صه: بالإقامة.

(٣) في صه: "تنقلا" بالقفاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالقاف.

(٤) المكاة المنزلة عند مالك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨)

آداب سائرة
الملك

(٦٤)

وقد قلنا إن من حقِّ الملك أن لا يتدنَّه أحدٌ بمسيرة. وإن طلب ذلك منه من يستحقُّ المسيرة، فالذي يُجزئُه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً إليه، سايه، وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسيرته. ومن حقِّه، إذا سايه أن لا يمسَّ ثوبه ثوب الملك، ولا يذني دابته من دابته، ويتوشى أن يكون رأس دابته بلازاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه. ولا ينبغي له أن يتدنَّه بكلام.

وإن كان لا يتقيلين عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي له أن لا يسايه. فإن في مسيرته وشمته عليه وعلى الملك، أمّا عليه، فإنه يحتاج إلى حركة متواترة تتبع بها نفسه ودابته، ويخرج بها عن حد أهل الأدب والمروءة والشرف. وإسمه في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأمّا على الملك، فإنه وهن في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابته، كان إنما يسير عند ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

سنة أكابر العجم
عند تبيهم للسائرة

(٦٥)

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديربند وموبدان موبد ومن أشبه هؤلاء من خاصة الملك، إذا هم الملك بالمسير في زهوة أو لبعض أموره، عرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (النيه والإشراف للمسعودي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب الكتاب المقدس عند الهوس. وربما كان الضواب في هذا المقام: "ديربند" من كلمتين الأولى فارسية والثانية عربية بمعنى "كتاب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه للمسعودي، اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التثقيف. [وأنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبد فهو القاضي، وموبدان موبد هو قاضي القضاة. وموبد من ألماظ الفهلوية، وهي اللغة الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جزء ٦ ص ٣٧٥).

على راضية الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحاذة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلادة أو كثرة نفور أو عثار أو جماج .
فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . وكان الرافض يمتحن دابة دابة من دواب
هؤلاء العظماء . فما اختار منها ركب ، وما تقي أرجح .

- وأيضا إن من حق الملك ، إذا سايه واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تحصن ^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

- وفيا يحكى عن ملوك الأعاجم أن قباد ، بيتا هو يسير والموبذ يسايه ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قباد . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول
ما يستدل به على تخلف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت يعلف دابته في الليلة
التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قباد حتى أفتقر عن نواجزه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما ضمنت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزمة
أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك . ^(٢)

ما حصل للموبذ
أثناء سايته لقباد

١١

- (١) تحصن الفرس صارحصانا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تثب على الدابة التي تكون
قدأما كما يفعل الفحل . لتلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباى إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتابكي أزبك (منشئ الأزيكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . وفي أثناء الطريق شب فرس
الأتابكي على فرس السلطان ورفسه . لحاءت الرفة في قسبة ساق السلطان فأنكسرت ، فنزل بشيبين وهو في غاية
الأم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (أنظر التفصيل في آبن لياس ج ٢ ص ١٢٨)
(٢) معرب قباد . وفي كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتى حلوان وهازرون . وأقول إن حلوان هذه
هى عبر التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
ومر من رأى . [أنظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .
(٣) رواها في "محاسن الملوك" بأختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، رواها بالحرف في "المحاسن
والمساوى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء سيارته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسيره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القائمة. ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هانت فإنها عظيمة، وعقل ضعيف ناقص. فتبسّم معاوية، وقال: كيف ذلك، ولله أنت! قال: لإطعماي هذا النائل أمه البارحة مكوتى شعير. فضحك معاوية، وقال: أفضحت، وما كنت فاحشًا! وحمله على دابة من مراكبه.^(٣)

(١) هو أبو السح الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للقاء أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان المحدثين، وأشترك في رياسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وبيسان وأجنادين. وقد طلب من عليّ عليه السلام أن يدفع إليهم قتلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حصن ثم تولّاها لمعاوية، وهو الذي قسم منازلها بين أهلها. وما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه أعزل مع ولده بني معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لقيسح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليؤمنون الشبهة فينكمون أن ينقلوا إلى أوضع منها، نخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن إلى الجبل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لانمان قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لابن دريد ص ٢١٨ و تاج العروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) اقتديت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. | وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب |.

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْضِي أَعْيُنُهُمْ بِكُلِّ جُهْدِهِ . فَإِنَّ لِمَسَايِرَتِهِمْ شُرُوطًا يَجِبُ عَلَى مَنْ طَلَبَهَا أَنْ يَسْتَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَ فِيهَا . وَقَلْبًا حَظِيًّا أَحَدُ مَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا مَقَدِّمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوفَةُ .

تعديل



فَمَا مَا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعَاجِمَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَطَيَّرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَتَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَعِيْنَهُ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ طَيْرَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

تعليق العجم من
مسايرة الملك
المتصلة

وَيُقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلْمٍ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَعْدَ اللَّهِ بْنِ

ما حصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
المهدي

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ بْنُ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ . كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَظِيْمَةٍ مِنَ الْمَهَادِي وَمِنْ الرُّشَيْدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قَبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرُّشَيْدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ . فَخَرَجَ الْخَزْرَئِيُّ عَلَيْهِ فَهَزَمُوهُ وَفَعَلُوا الْإِفَاعِيلَ الْمُنْكَرَةَ الَّتِي لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهَا النَّاسُ . فَأَرْسَلَ الرُّشَيْدُ رَجُلَيْنِ فَأَصْلَحَا مَا أَضْدَعَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ مَرَّعَشَ فَأَغَارَتْ الرُّومُ عَلَيْهِمَا وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَهْرُكْ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ .

قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَعْرَابِيًّا مَدَحَهُ بَيِّنِينَ لَمْ يَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَحْشُ ضِلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بَلَدٍ .

لَنَا مُقَرَّمٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَسَّاءٌ فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ .

١٥

فَمَا تَحْقُلُ مِنْهُ فَهَجَاءُ بَيِّنِينَ لَمْ يَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهَا :

لِكُلِّ أُنْثَى مَلِيحٍ نَوَابٌ عَلَيْهِ ، * وَلَيْسَ لِمَلِيحٍ الْبَاهِلِيِّ نَوَابٌ .

مَدَحَتْ أَبْنَاءُ سَلْمٍ ، وَالْمَدِيحُ مَهْزِيَّةٌ ، * فَكَانَ كَهَفَوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

(إِيتِ الْأَمِيرَ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ و "الْأَغَانِي" ج ١٧ ص ٣٢

وَج ٢١ ص ٢٣٤ و "عِيُونُ الْأَنْبَاءِ" ج ١ ص ١٥٤ و "أَمَالِي الْقَالِي" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامته، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشِيرُهُ دَابَّةُ عَبْدِ اللَّهِ في وجه موسى، وعبدُ الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضعَه، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثُر ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَّر في الإجتهد، ولكنه حَرَّمَ حَظَّ التوفيق (٤).

وفيما يُذكر عن عبد الله بن حسن أنه بيّنّا هو يساير أبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهديّ فالهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وأتت بتصالهما على يد أحد المزورين من حيث لا يعلم ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة اشتكاها:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلِمَةٌ * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُعِكَ.

بِالْبَيْتِ مَا بَكَ بِي، وَإِنْ تَلَقَّتْ * نَفْسِي لَذَاكَ! وَقُلْ ذَاكَ لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤) وأنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ج ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧. [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب]. (٢) يستفاد من كلام الجاحظ هنا مصافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة ووليّ عهده أن يسير قائدٌ مجربة بين يدي كلّ منهما.

(٣) كذا في سـ، صـ، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعلّ الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبدويه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يُشر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦) ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترسيبه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا والنفس الزكية وإبراهيم نرجسا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري والكامل للبرّد بمقتضى فهارسهما).

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه ، إذ أنشد عيسى :

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت ، * وما حلّ في أكثاف عادٍ وجُرهم ،
ومن كان أناي منك عزّاً ومفخراً ، * وأنشد بالجيش اللهم العرمم .

فقال أبو مسلم : هذا مع الأمان الذي أُعطيْتُ ؟ قال عيسى : أعيتُ ما أمليكَ إن
كان هذا لثني من أمرك ! وما هو إلاَّ خاطرٌ أبداه لساني . قال : فبئس الخاطرُ
والله إذنٌ !

❦



عدم تسمية الملك
أو تكتيته

ومن حقّ الملك أن لا يُسمّى ولا يُكَنّى في جدٍّ ولا هزلٍ ولا أنيسٍ ولا غيره .
ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك
وأصطلحت عليه ، ما كان جزاء من كنّى ملكاً أو خليفةً إلا العقوبة . على أن ملوك
آل ساسان لم يكتنّها أحدٌ من رعاياها قطّ ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبةٍ ولا تقريرٍ
ولا غيره . وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة .

ما قاله الها
مسلم أنا

١٠

(١) صه : أدنى .

(٢) كثير اليهود أو النوض بأمر الجيش والقيام بأعباءه

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٨) .

١٥

(٤) أظن ياقوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية ، ولم يذكر لنا شيئاً منها في أيام
ظلمتها على عهد الإسلام . وإنما استفدنا منه أنها بقرب النجف . ولذلك رأينا أن نثبت هنا ما جاء عنها
في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكاتها التي دخلت الآن في خبر كان . قال :

« كان بعض ولادة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية . فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً :

— أنعيب بلدة بها يُضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟

٢٠

— ربما ذائمٌ مح ؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنشور مِلْكًا

== بصحة هوائها ، وطيب مائها ، وزهرة ظاهرها . تصلح للنف والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ،
وبر وبحر ، محلّ الملوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم . وقد قدمتها - أصلحك الله - مُخَفَّفًا فرجعت مُثَقَّلًا ،
ورددتها مُثَقَّلًا فأصارتك مُكثَّرًا .

٥ - فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟
- بأن تصير إلى ، ثم أَدعِ ما شئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !
- فأصنع لنا صنيعا [Une partie de plaisir] ، وأنرُج من قولك .
- أفعل !

١٠ فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسبكها وما صيد من وحشها : من ظباء ونعام وأراب وحبارى .
وسقاهم ماءها في فلانا ، ونعمرها في آيتها . وأجلسهم على رُفُها ، وكان يُخَذُّ بها من الفراش أشياء ظريفة .
ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها ، من خَدَمٍ ووصائف كأنهم الثزلو ، لغتهم لغة أهلها .
ثم غناهم حُتَيْنَ وأصحابه في شعر عدي بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى قمدان لم يتجاوزهما . وحياهم برياحيها .
وقلّهم على نحرها ... وقد شربوا - بفواكهها - ثم قال :

- هل رأيتني أسعنتُ على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وأقترشت وشممت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟
١٥ - لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بذلك ، ونصرتَه فأحسنَت نُصرتَه والخروج مما تضمنته . فبارك الله لكم
في بلدكم ! »

وكان ابن مُشَرَّمَةَ يقول : "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين" . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) .
وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق النفيسة لأبن رُسْتَه
ص ١٩٢ و ٢١٧) .

٢٠ وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وُسرَّمن رأى .
وأنت علم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه السَّنة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين . وناهيك
بها من أمصار رعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من بيده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد
والعباد كما يشاء !

أو خليفةً وهو يُخاطبه باسمه، كان جاهلاً ضعيماً خارجاً من باب الأدب.
(١) (٢)

ولولا أن الاصطلاح منعنا لإيجاب المنع من ذلك، كان من أول ما يجب.
ولا أدري لِمَ فعل القدماء ذلك، كما أنى لا أدري لِمَ أجازته ملوكها ورضيت
به، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شيء وترقى عنه.

وكانت الجفأة من العرب بسوء أدبها وغلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
وسلم) - مخاطبه ودعوه باسمه وكُنيتيه. فأما أصحابه، فكانت مخاطبتهم إياه: "يا رسول
الله!" و"يا نبي الله!"

(١) صه: "الاضطلاع"، وبجانبها "الاصطلاح". وفي سه: الاصلاح.

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة. فهو أول من منع الناس أن ينادوه
باسمه. (مخاضة الأرائل ومسامرة الأرائس). ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخى بطلال العهد، فعاد القوم
إلى ما كانوا عليه.

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يلحرون عند إشتاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء،
فينخرونها من التي لا يكون فيها اسم معشوقة يشابه اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة (الأخاني ج ٥ ص ١٧٤).
وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال: كنت عند الرشيد، فأهديت له أطباقاً
ومعها رقعة. فلما قرأها، استغفره الطرب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية
عبد الملك بن صالح. ثم نبذ إلى الرقعة، فإذا فيها بعد البسملة: "دخلت، يا أمير المؤمنين، بسنا تاعمرته بنعمتك،
وقد أينست أئمة أراه وفاهته. فأخذت من كل شيء (وعدد أنواعاً من الفاكهة) وصيرته في أطباق القضب
ووجهته لأمر المؤمنين، ليصل إلى من بركة دعائه، ما وصل إلى من برة وتبائه". قلت: يا أمير المؤمنين،
وما في هذا يقتضى هذا السرور؟ فقال: ألا ترى إلى ظرره، كيف قال: "القضب"؟ فكنتي به عن
الخبر إن؛ إذ كان يجري به اسم أمنا.

وهكذا يجب للولك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! (١) ويا أمين الله! (٢) ويا أمير المؤمنين! (٣)

(١) لم يرض أبو بكر الصديق بأن يُسمى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٣٧٧) فضلا عن أن يُسمى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى أدعلاهم على خلاف ذلك. قال الزجاج: حازان يقال للأئمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهنئة):

صاعتُ خلافتكم، يا قوم، فالتمسوا * خليفة الله بين الرقِّ والرِّد!

وقد قال صاحب محاضرة الأرائل إن المعتصم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فلعل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسان بن ثابت يرى عثمان بن عفان.

لئن رأيتُ أمينَ الله مضطهدًا * عثمانَ رهنا لدى الأحداث، الكفين.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«وإنما يتساح بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

هَجَّوَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْحِزَاءُ.

وكقول المرأة مخاطبة:

أحمدُ، وَلَدْتُكَ ضِنْ، كَرِيمَةً * فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ لَحْلٌ مُعْرِقُ!

رُوي أنه قدم رجل من الأعراب على عمر رضي الله عنه ومعه صبيته له وأهله، فقال مخاطبة:

يا عمرَ الخيرِ جُرَيْتَ الْجَنَّةِ * أَكُنْ بَيْنَ بَيْنِي وَأُمِّهِنَّ

أقسم بالله لتفعلنَّ

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يكون عن حالي لتسألنَّ =

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكانَ اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكَنِّي عنه ويُجيبَ باسم أبيه. كما فعل سعيدُ

= فقال عمر: متى؟ قال:

يومَ تكونُ الأعطياتُ جنةً * والواقفُ المسؤولُ يَنهَنهُ
إِما إلى نارٍ وإِما جَنَّةً.

فبذ عمر رضى الله عنه قِصَّةً، وقال: هَذَا جَنَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ!

وروى أن الرشيدَ جَلَسَ يوماً لِلظَّالِمِ فرأى في الناسَ شيئاً حَسَنَ الْهَيْئَةِ. فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ، قامَ الشَّيْخُ وبيده قِصَّةٌ، فأمرَ بِأَخْذِهَا. فقال: إِنْ رَأَى أميرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَأْذَنَ لِي فِي قِرَائَتِهَا، فَإِنِّي أَحْسَنُ تَعْبِيراً لِمَا عَلَى.
قال: أَقْرَأْ! قال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي شَيْخٌ كَثِيرٌ ضَعِيفٌ، وَالْمَقَامُ عَظِيمٌ. فَإِن رَأَى أميرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَأْذَنَ لِي فِي الْجُلُوسِ؟ فقال: اجْلِسْ! اجْلِسْ. ثم قال:

يَا خَيْرَ مَنْ جَدَّتْ لِرِحْلَتِهِ * تُجِبُّ الرِّكَابَ بِهَيْمَةٍ جَلِيسٍ!

يقول فيها:

لَمَّا رَأَيْتُكَ الشَّمْسُ طَالَعَةً، * سَجَدْتُ لَوَجْهِكَ طَلَعَةُ الشَّمْسِ.
خَيْرُ السَّرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمْ * فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي أَمْسٍ،
وَكَذَلِكَ لَمْ تَنْفَكْ خَيْرَهُمْ * تَمْسَى، وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تَمْسَى.
لِلَّهِ يَا هَرُونَ مِنْ مَلِكٍ * عَفَّ السَّرِيَّةِ طَاهِرِ النَّفْسِ!
نَمَّتْ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نَمَسٌ * تَرَدَّادُ جِسْمِهَا عَلَى الْبَلَسِ.

(أردت قوله "لله يا هارون")

وبقية الشعر:

مِنْ عِتْرَةِ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا، * أَهْلُ الْعَفَافِ وَمِثْلُي الْقُدْسِ.
مُتَهَلِّلِينَ عَلَى إِمْرَتِهِمْ * وَلَدَى الْهِبَاجِ مَصَاصِي نَجْمِ =

ابن مرة الكندي، حين أتى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة^(١)!

وكما قال السيد بن أنس الأزدي - وقد سألته المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس^(٢)!

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنو أبيه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله^(٣)!

= إلى بلاتك من فزع * قد كان شرّ من الأنس.

لما استخرت الله مجتهداً * يمتنّ نحوك رحمة العنيس.

وأحتت حلك لا أجازره * حتى أغيب في ربي الرّيس.

فلما أتى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بمئة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المنيرة لعمري: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذاك نبي الله دأود! قال: يا خليفة رسول

الله! قال: ذاك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذاك أمر يطول! قال:
يا عمر! قال: لا تجنس مقامى شرفه! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المنيرة: يا أمير المؤمنين!

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

(٢) أنظر المحادثة بعبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"
(ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

ألا تراه (رحمة الله) كيف تخلص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فاستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



الأمرالقي يتفرد
بها الملك في عاصمته

ومن حقّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأديباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مرجوليت) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه، فقال: أبو زيد.
فمجبب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وبعده ذلك من سقطة. فلما خرج، ترك
خاتمه في مجلسه عنده. فأبصره أحمد بن سهل، فأزاد تعجباً من فقته. فأخذه بيده ونظر في نقش قصه،
فإذا عليه: أحمد بن سهل. فلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه، وأنه أخذ
بحسن الأدب وراعى جد الاحتشام، واختار وصية التزام الخطأ في الوقت والحال، على أن يتعاطى أهم الأمير
الاستعمال والابتدال."

وروى ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي رائل: أيكا أكبر، أنت
أم، الربيع بن خثيم؟ قال: أنا أكبر منه سناً، وهو أكبر مني عقلاً.
وقال معاوية لأبي الجهم المدوني: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلت في عرس أمك، يا أمير المؤمنين.
قال: عند أي أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان! فإنه يغضب غضب
الصبي ويأخذ أخذ الأسد. (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢). قال الجاحظ للهلب: أنا أطول أم أنت؟ فقال:
الأمير أطول، وأنا أبسط قامته. (المحسن والأضداد ص ٢٢، والمحسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأول به أن يقتدى بطويس المعنى المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان: أينا أسن؟ فقال:
"بأي وأنت! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب." ثلاث يوم أمراً. (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣ وبمخاضات الراغب ج ١ ص ١١٧). أورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقاً لطيفاً، فقال: فأظن إلى هذه وإلى معرفته بمخارج الكلام! كيف لم يقل "زفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك" (أظن البيان والبيان ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص: "كانت صيغهم غير صيغ العامة."

فمنها الحِجَامَةُ، والقَصْدُ، وشرب الدواء. فليس لأحدٍ من الخاصة والعامة ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله؛ بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاغل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يُعالجُ به."

وليس الاقتفاء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعلٍ من تمت طاعته وصحت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك استهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يحده عنه مندوحة ومنه بدءاً، بالمهمل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارقٌ للشريعة.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت. وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم تركُ الحجامة
في هذا اليوم على ذكرٍ! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وغسل ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

٧٦

١٥

+

ومن حق الملك - إذا عطس - أن لا يُسمَّتْ؛ وإذا دعا، لم يؤمن على دُعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بتحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاءُ
الملك الصالح."

عدم تشييت الملك
وعدم التأمين
على دعائه

ومن حقَّ الملك أن لا يُعزَّيه أحدٌ من حاشيته وحامته وأهل بيته وقرايته؛
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قارب الملك في العزِّ والسلطان^(١)
والبهاء والقدرة. فأما من دون هؤلاء، فينبهون عن التعزية أشدَّ النَّهي.

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيته وهو صغير، فجاءه الوليد
فعزَّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمي أمرتني بذلك. قال: ذلك يا بُنَيَّ
أهونُ عليَّ! وهذا العُمري من مشورة النساء!^(٢)

ومن أخلاق سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فأما سرعة الغضب، فإنما تأتى الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا ألفت النفس هذا العزَّ الدائم، صار أحد صفاتها.
فتقارع حسَّ النفس ما لا تعرفه في خلقها، تفرَّت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفةً وحميةً.

وأما رضا الملك فبطيءٌ جدا. لأنه شئٌ تمنعه النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جلسٌ من أجناس الاستخذاء، وخلقٌ من أخلاق العاقبة.

(١) صه: والقراية.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ٣٤) ونسبها بأن عبد الملك قال لابنه: "والله لتعزيتك إياي أهون عليَّ من قبولك
مشورة النساء!" وهي أحسن من روايتنا. ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبدالعزيز
عبرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأسا."

سرعة الغضب
وبطء الرضا

غضب السفاح
على أحد رجاله

٧٤

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره ليلة من الليالي. فقال له بعض شُماره: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولم ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمَن عليه، يا أمير المؤمنين، برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلت إنك يا أمير المؤمنين لما صغرت ذنبه، طمعت في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا يرضى.

وعلى هذا أخلاقُ الملوك وصليعهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخزازي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قريباته أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يذُنْ منه أحدٌ ولم يَطْفُ به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إنك لك عندى يداً لا أنساها ومعروفا ما أنكره. وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك. وها أنا ذا بين يديك ونُصِبَ عينيك! فترني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنصرو. وفي المفضليات: وهي لو يُعَصَرُ مِنْ أَرْدَانِهَا * عَبَقُ الْمِسْكِ، لَكَانَتْ تَتَمَصَّرُ. ومن شواهد النحاة:

نَحْوُ يَفْعَلُ الْفَرْعُ مِنْهَا أَلْمُؤَرَّرُ * لَوْ عَصَرَهَا أَلْبَانُ وَالْمِسْكُ، أَنْعَصَرُ.

وكنتي الجاحظ بأنصار القلب عن شدة الألم لخال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان" أي يابس عطشا.

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب].

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

- (١) (٢) لا تجعلن نفسي وقاية نفسك، أو أسوقها في كل ما تكأها أو جرحها. فقال له عبد الله خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره في موقعة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم أمير المؤمنين ويخبره بآعذاره. فلما أصبح محمد وأفاه رسول أمير المؤمنين، فركب. فلما دخل عليه، قال: من أتيت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين، عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق ماله مع عشرين نذرا يهدبها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سميعة الله من عبد الله بن مالك، أو أطلع عليه أو هم به أو أضمره أو أظهره. قال: فأتى الرشيد مليا مفكرا. وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسير ويُسِرُّ حتى زال ما وجده. وكان قد حال لونه حين دخل عليه. ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا، يا محمد. قره بالروح إلى الباب. قال: وأكون معه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فأنصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بحبل أمره، وأمره بالركوب رواحا. فدخل جميعا. فلما بصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة نفخ ساجدا، ثم رفع رأسه فاستدناه الرشيد. فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه ققبل رجله ويساطه وموطئ قدميه، ثم طلب أن يأذن له في الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر، إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض الإعراض والانتقاض. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم. فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله يشكو أنرا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة

(١) أوجب وقوع النكاح بها.

(٢) أصابها بجراحة.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معاشر الملوك ، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بعد ذلك ، بقى لتلك الغضببة أثر لا يُخرجها ليل ولا نهار .^(١)



كنتم الملك أسرار

ومن حق الملك أن يكتم أسرار : جن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق .

فإن الملك يحتمل كل مقبوض وما نوف ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن يطمع في ملكه ، وصفة الآخر أن يذيع أسرار ، وصفة الآخر أن يحونه في حرمه .^(٢)



فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تلبس خاصتها ومن قرب منها على ما فيهم ، وأن تستمع منهم إذا سألوا من هذه الصفات الثلاث .

وكان كسرى أبرويز يقول : "يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في امتحان

أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه" .^(٣)

١٠

فكانت محتته في إذاعة السر عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب العدل ، داخلة في باب الظلم والجور ، وللاخر أن يقول إنها من الحكمة من الملوك .

امتحان أبرويز
رحاله في حفظ السر

وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحاب والألفة والاتفاق في كل شيء وعلى كل شيء ، خلا بأحدهما فأفضى إليه بسر في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على قتله ، وأمره بكتمان ذلك عن نفسه ، فضلا عن غيره . وتقدم إليه في ذلك بوعيده .

١٥

(١) نقل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في ص .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة مسبوقة بلفظ آخر لابي جعفر المصنوع العباسي . (انظرها في الحاسن والأضداد ص ٢٨ والحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

(٤) في "حاسن الملوك" (ص ٥٤) مانعه : وأما كتمان السر السلطان فهو ملاك الأمر ونظام المملكة وسبب بقاء الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وماحب سره ، لم يفارقه في شيء حتى لا يبقى عنده أحد . فإذا لم يبق أحد ، أمر أن ترفع الستائر عن ليله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فافوض بسرّه .

٢٠

(٧٨)

ثم جعل محتته في إذاعة سره ملاحظة صديقه في دخوله عليه ونروجه من عنده ، وفي إسفار وجهه ولقائه للملك . فإن وجد آخر أمره كأوله في أحواله ، علم أن الآخر لم يفيض إليه بسره ولم يظهره عليه ، فقربه وأجتهه ورفع مرتبته وجباه ، ثم خلا به ، فقال : "إني كنت أردت قتل فلان لشيء بلغني عنه . فبحثت عن أمره فوجدته باطلاً ."^(١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزور آراء جانب وإعراض وجه ، علم أنه قد أذاع سره ، فأقصاه وأطرحه وجفاه ، وأخبر صاحبه أنه أراد محتته بما أودعه من سره . فإن كان هذا من أهل المراتب ، وضع مرتبته ؛ وإن كان من الندماء ، أمر أن يُعجَب عنه ؛ وإن كان من أصحاب الأعمال ، أمر أن [لا] يُستعان به ؛ وإن كان من سدنة بيوت النيران ، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه . ويقول : "مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِمَلِكِهِ ، لَا يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ ، فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ ."^(٢) ويقول : "إن القلب أعدل على القلب شهادة من اللسان ؛ وَقَلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا ظَهَرَ فِي الْعَيْنَيْنِ : إِذْ كَانَتِ الْأَعْضَاءُ مُشْتَرِكَةً يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ."

امتناعه لرجاله في حفظ الحرم

(٧٩)

فأما محتته في الحرم ، فكان إذا خف الرجل على قلبه وقرب من نفسه ، وكان عليه يظهر التأله ، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره ، أحب أن يمتحنه بيمينه باطنة . فيأمر به أن يحول إلى قصره ويُفرغ له بعض الحجر التي تقرب منه ، ولا يحول إليها امرأة ولا جارية ولا حُرمة . ويقول له : "إني أحب الأئس بك في ليلى ونهارى . ومتى كان معك بعض حُرمتك ، قطعك عني وقطعتك عنك ."

(١) روى صاحب "معجم الحسن الملك" هذه العبارة باختصار . (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سمه : إن القلب يظهر ما فيه في العينين .

فَجَعَلَ مُنْصَرِّفَكَ إِلَى مَنْزِلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ خَمْسِ لَيَالٍ لَيْلَةً. " فإذا تحوّل الرجل وخلا به وآنسه وكان آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهَرًا .

- فَامْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا . وَأَمْرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تَأْتِيهِ .
- فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ . فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ . حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ،
- أَمْرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْسَةً . وَأَنْ تُبَدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا . فَفَعَلَتْ وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ، أَمْرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتَحَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ . فَفَعَلَتْ . وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُجِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرُّ بِمَحْدِثِهَا . وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ . فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ : " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْزَرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا . " ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا . فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَتَقَاتَنَ بِالطَّافَةِ وَهَدَايَا . فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا : مَا فَعَلْتَ فُلَانَةٌ ؟ قَالَتْ : أَحْتَلْتُ . فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ . ثُمَّ لَمْ تَطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَى فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا . وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحَكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ . فَدَعَاَهَا إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ . فَقَالَتْ : " إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى حُطًى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ، فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ، فَاطْهَرِي أَنْكَ عَالِيَةً، وَتَمَارُضِي . فَإِنْ

خيرك بين الانصراف إلى دور نسائك أو المقام ههنا إلى رجوعه، فأختر المقام وأخبره
أن الحركة تصعب عليك. فإذا أجابك إلى ذلك، جئت في أول الليل ولبثت عندك
إلى آخره. فسكن الرقيق^(١) إلى هذه الأنسة، وأنصرفت الجارية إلى الملك فأخبرته
بكل ما دار بينهما وبينه. فلما كان الوقت الذي وعده أن يخرج الملك فيه، دعاه الملك.

فقال للرسول: أخبره أني عليل. فلما جاءه الرسول وأخبره، تبسم أبرويز، وقال: هذا
أول الشر. فوجه إليه بمحقة، فحمل فيها حتى أتاه، وهو معصب الرأس. فلما بصر به
من بعيد، قال: والعصاة الشر الثاني. وتبسم. فلما دنا من الملك، سجد. فقال له أبرويز:
متى حدثت بك هذه العلة؟ قال: في هذه الليلة. قال: فأى الأمرين أحب إليك؟

الانصراف إلى منزلك ونسائك ليمرضنك أو المقام ههنا إلى وقت رجوعي؟ قال: ههنا
أيها الملك أرفق بي، لقلة الحركة. فتبسم أبرويز، وقال: ما صدقت! حركتك ههنا،
إن خلقتك، أكثر من حركتك في منزلك.

ثم أمر أن تخرج له عصا الزناة التي كان يؤسم بها من زنى. فأيقن الرجل بالشر.
وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً حرفاً، فيقرأ على الناس إذا حضروا، وأن
ينفى إلى أقصى حد المملكة، ويجعل العصا في رأس رُمح تكون معه حيث كان،
ليحذر منه من لا يعرفه. فلما أخرج بالرجل عن المداين، متوجهاً به نحو فارس
أخذ مئدة كانت مع بعض الأعوان الذين وكلوا به، بغب بها ذكره، وقال: من
أطاع عضواً من أعضائه صغيراً، أفسد عليه أعضائه كلها، صغارها وكبارها.
فمات من ساعته.^(٢)

(١) الرقيق والمرقصان الأحمق وهو الذي في عقله مَرَمَةٌ (صحاح) [حاشية في صه]. والمرمة

معناها هنا الاحتياج إلى التزيين والترميم. (أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "المحاسن والأضداد" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتناعه فيمن
يطعن في الملكة

وكان قد نصَّب رجلاً يمتحن به مَنْ فسَدَتْ نيَّته وطمَع في الملكة . فكان
الرجل يُظهر التَّأَلُّه والدعاء إلى التخلِّي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب
الملوك . وكان يُقْصُّ على الناس ويُبَكِّمهم ويشوبُّ في خلال ذلك كلامه بالتعريض
بذمِّ الملك وتركه شرائع ملته وسُنن دينه ونواميس آبائه . وكان هذا الرجل الذي
نصَّبه لهذا أخاه من الرضاة وتربَّه في الصِّبا . فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي
قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتحن بذلك خاصَّته ، أُخْبِرَ به . فيضحك لذلك
أبرويز ، ويقول : ” فلانٌ في عقله ضَعْفٌ ، وأنا أعلم به . وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني
بسوء ، ولا الملكة بما يُوهنُها “ ، فيُظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه .
ثم يوجِّه إليه في خلال ذلك مَنْ يدعوه إليه ، فيأبى أن يُجيبه ، ويقول : لا ينبغي لمن
يخاف الله أن يخاف أحداً سواه . فكان الطاعن على الملك والملكة يُكثِّرُ
انخلاوة بهذا الرجل في الزيارة له والأُنْس به . فإذا خَلَوْا ، تذاكروا أمر الملك ، وأبتدأ
الناسكُ يطمعن على الملك وفي صُلْب الملكة . فأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعة
عليه ، فيقول له الناسك : ” إياك أن تُظهر هذا الجبار^(١) على كلامك ! فإنه لا يَحْتَمِل لك
ما يَحْتَمِلُه لي . فخصَّصْ منه دَمَك ! “ . فيزداد الانحرال إليه استنامةً وبه ثقة . فإذا علم
الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة ، قال له :
إني عاقدٌ غداً مجلساً للناس أقصُّ عليهم ، فأحضُرُهُ ! فلأنك رجلٌ رقيق القلب عند
الذكر ، حَسَنُ النية ، ساكنُ الريح ، بعيدُ الصوت . وإن الناس إذا رَأَوْكَ قد حَضَرَتْ
مجلسي ، زادت نياتهم خيراً ، وسارعوا إلى استجابتي . فيقول له الرجل : إني أخاف
هذا الجبار ، فلا تذكُرْهُ إن حضرْتُ مجلسك .

٨٣

٨٤

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصّة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوننا تحضر مجلس الناسك، متى جلس.
 فبكر الناسك وقصّ على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فاطهر به والأئمن به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فاقتله قتلة مخي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار^(١) فإنه من قسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلة^(٢)."

٨٥

تغافل الملك
 الصفا

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المسال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء الفرن بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح واف
 في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراصد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفا الغليل" (ص ٢٠٣). وأظن Dictionnaire géographique de la Perse, par
 Barbier de Meynard, p. 122, 569.

(٢) ص: "لفير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 وتلخصها جدًا صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمساري"
 (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

تغافل بهرام جور
عن مرقاة الجلام

وفيا يحكى عن بهرام جور أنه خرج يوما لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى رايح تحت شجيرة، وهو حاقن^(٢). فقال للراعي: احفظ على عسان دابتي، حتى أبول. فاخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس. وكان بلامه ملبسًا ذهبًا، فوجد الراعي غفلة من بهرام فأخرج من حُفّه سكينًا فقطع بعض أطراف الجلام. ورفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من الجلام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من الجلام، قام فقال: ياراعي! قدّم إلى فرسي، فإنه قد دخل في عيني بما في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤلمه أنه يتفقد حلية الجلام. فقترب الراعي فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعي: أيها العظيم! كيف آخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (لموضع بعيد). قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحق بأن لا أعود إلى هاهنا أبدا. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق الجلام قد وهبها لسائل مرري، فلا تنهمن بها أحدا^(٥).

١٥ (١) عار الفرس أى ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه متفلس. وفي ص. عارته فرسه. [وفي هامش: صح: عاره يعوره ويعيره أى أمخذه وذهب به]. وأنت ترى أنت. رواية ص. عارية عن الصواب، وأن حاشيته في الهامش لا محل لها في هذا المقام.

(٢) أى اجتمع البول فيه، فهو في حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لا ترى لحاقب ولا لحاقن» أى لمن تشتد به الحاجة للإنجاء من أحد السبيلين. يكون مضطرا لحبسهما.

٢٠ (٣) [أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب]

(٤) ص: عليه.

(٥) روى هذه الحكاية بحرفها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجاني،^(١) ووضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بجيئ يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما آنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فاخفاه في قبائه، وأنوشروان يلاحظه. فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا نتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام.

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد، وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعد على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرها، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجر يانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قبای) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabnai) للدلالة على الثوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي ص: وبذر.

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ بِهِ الْمَجْلِسَ. فَاخْذُ كَيْسًا فَوَضِعْهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحِجْزَةِ سِرَاوِيلِهِ، وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَائِيرَ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مُحْسُوبٌ لَكَ.

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سِيرِهِمْ وكتبِهِمْ.



وَإِنَّمَا يَتَفَقَّدُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْغُرُ عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى قَالُوا فِي نَحْوِ مَنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي: "الْمَغْبُونُ لَا مَحْجُودٌ وَلَا مُأْجُورٌ"، فَحَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَى الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ، وَالْمَشَاتِمَةَ لِلْسَفَلَةِ وَالسُّوقَةَ، وَالْمَقَازِفَةَ لِلرَّعَاعِ وَالْوَضْعَاءِ،^(١) وَالنَّظَرَ فِي قِيَمَةِ حَبَّةٍ، وَالْأَطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ، وَأَخَذَ^(٢) الْمَعَايِيرَ بِالْأَيْدِي.

الرد على قولهم:
المغبون لا محمود
ولا مأجور

وَالْحَرَى أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُونُ مَحْجُودًا وَمُأْجُورًا. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ:
إِغْنِيَّ. بَلْ لَوْ قَالَهَا، كَانَتْ أَكْرَمَةً وَفَضِيلَةً، وَقَعْلَةً جَمِيلَةً تَدُلُّ عَلَى كَرِيمٍ عُنْصِرِ الْقَاتِلِ وَطِيبِ مَرْكَبِهِ.

(١) وضع التُّكَّةَ مِنَ السَّرَارِيلِ.

(٢) رَوَاهَا بِإِخْتِصَارِ صَاحِبِ "الْحَاسَنِ وَالْمَسَاوِي" (ص ٥٠٦)

(٣) صه: "وَالْمَعَارِفَةُ لِلزَّعَازِعِ وَالْوَضْعَاءِ".

(٤) جمع مِيزَانٍ.

(٥) سه: "مَكْرَمَةٌ"، | وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ |.

ولذلك قالت العرب: ^(١) «السُّرُوُ التَّغَاوُلُ!»

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا بُحِثَ، إلا وجئتَ له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها .
وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: ^(٢) «يَرْحُمُ اللهُ سَهْلَ الشَّرَاءِ، سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاظِي!»

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: ^(٣) «المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ.»

وقال معاوية في نحو من هذا: ^(٤) «لَيْتِي لأَجْرُ ذَيْلِي عَلَى الْخُدَائِعِ.»

وقال الحسن (عليه السلام): ^(٥) «المؤمن لا يكون مكاساً.»

كلمة معاوية

كلمة الحسن

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداؤه

وفيما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في جبة أبيه لِمَتَرَه، فَبَسَطَ له في صحراء، فتفدّى مع أصحابه، فلما حان أنصرافه، تشاغل غلمانته بالترحال، وجاء أعرابيٌ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُؤَاجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سره: «السرو والتغافل». [أنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن الأنوار من السفايح قوله: «التغافل من مجايا الكرام». (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولذا عرهم:

ليس النبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغافل.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) ص: «رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع». والذي رأيته في صحيح البخاري: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى». (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لِمَتَرَه.

(٥) الدُؤَاج هو الخفاف الذي يُلَسّ. ولعل شبهة بالملحفة المسماة الآن بالمُضَرِّيَّة. وأنظر ما كتبه عليه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدر: «وجدت لأم المتمر ثلاثة دُؤَاج كانت تستعملن، فقوم الدُؤَاج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصره بعض حشمه ، فصاح به : ألق ما عليك ! فقال الأعرابي : "لأعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته" . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فزكاته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عُثرَ برجل سرق دُرَّةَ رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبتُ بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وسجل إلى جعفر فلما بصره ، استعجيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لا تعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدرة
سرق



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وإيثارهم والاستئمان إليهم "تقدمة لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمن دونه .^(٢) فإن كان الملك

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعتُ حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضبط .

في السياق .]

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : "لأعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته" . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فمزكاؤه إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عثرَ برجل سرق دُرّة رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وُجِل إلى جعفر فلما بصر به ، استجيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لاتعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدرة
٩٠



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وإبرهم والاستئمانه إليهم . . . المقدمة ١٠
لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمنّ دونه .^(٢) فإن كان الملك

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سره : "إن" صه : "وإن" . [ووضعتُ حرف الغاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضف

ولذلك قالت العرب: "السُّرُوُّ التَّغَاوُلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التَّقْصِي إذا بُحِثَ، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحُمُ اللهُ سَهْلَ الشَّرَاءِ، سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاضِي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المَغْبُوتُ لا مَحْجُودٌ ولا مُأْجُورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأُجْزِلُ على الخلدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المُؤْمِنُ لا يَكُونُ مَكَّاسًا."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفيما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حِجَابِ أَبِيهِ لِمُنْتَرَهه، فَبَسِطَ لَهُ فِي صَحْوَءٍ، فَتَغَشَّى مَعَ أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا حَانَ أَنْصِرَافُهُ، تَشَاغَلَ غُلَمَانُهُ بِالْتَّرْحَالِ، وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَوَجَدَ مِنْهُمْ غَفْلَةً، فَأَخَذَ دُرَّاجًا^(٥) سُلَيْمَانُ فَرَمَى بِهِ عَلَى عَاتِقِهِ، وَسُلَيْمَانُ يَنْظُرُ

(١) في سمر: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "الغافل من مجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الفبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) ص: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لمنتزعه.

(٥) الدراج هو الخفاف الذي يلبس. ولعل شبه بالملحفة المسماة الآن بالمُضَرِّيَّة. وأنظر ما كتبه عليه دوزي في قاموس النياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدر: "هذه لأم المعتز ثلاثة دواريح كانت تستعملن، هقوم الدراج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

فيه سيّئ الرأي ، فليس من الوفاء أن يُعينه على سوء رأيه . فإن خاف سوط الملك وسيفه ، فأحسن صفاته أن يُمسك عن ذكره بخير أوشر .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل والثوب بالثوب .

ومنها - الحفظ له في خلفه وغياله ، ما كان في الدنيا ، حتى يجعلهم إسوة عياله في البخل والخصب .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أولها وآخرها ، لا تمنع أحدا من خاصتها وعامتها شُكر من أنعم عليها أو على أحد منها وتقريظه وذكر نعمه وإحسانه ، وإن كانت الشريعة قد قتلتها والملك قد سخط عليه . بل كانوا يعرفون فضيلة من ظهر ذلك منه ويأمرون بصلته وتعهدده .

ويقال إن قباد^(١) أمر بقتل رجل كان من الطاعنين على المملكة . فقتل . فوقف على رأسه رجل كان من جيرانه فقال : ” رحمك الله ! إن كنت - ماعيت - تشكر الجار وتصبر على أذاه ، وتواسى أهل الحاجة ، وتقوم بالنائبة ! والعجب كيف وجد الشيطان فيك تساعا حتى حملك على عصيان ملكك ، فخرجت من طاعته المفروضة إلى معصيته ! وقديما ما تمكّن ممن هو أشد منك قوة وأثبت عزما . “ فأخذ الرجل

قباد وما دح الجاني على الملكة

(١) أنظر حاشية (٢) صفحة (٧٨) من هذا الكتاب .

صاحب الشرطة لنفسه . وأتتهى كلامه إلى قُبَادَ ، فَوَقَّعَ قُبَادُ : يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحسانًا فِعْلًا ، به ، وترَفَّعَ مرتبته ، ويزاد في عطائه .



* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ [الخزومي] ، حين حُملَ رأس مَرَوَانَ [الجمعي] ^(٣) إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة ، فعقد له مجلسا وجاءوا بالرأس . فقام سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ فأكبَّ عليه قياما طويلا ، ثم قال : هذا رأس .

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤) .

(٢) كان من إيجالات مروان الجمعي ، وأشترك معه في رقعة الزاب . (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤ ؛ والأغاني ج ١١ ص ٧٥ ؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥) .

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق .

- ١٠ ولد سنة ٧٢ وفيها سنة ٧٦ . تولى لهدام و ، بعده من الخلفاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية سنة ١٢٦ . وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلفاء على يزيد بن الوليد . ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام وحارب سايان بن هشام ودعا الناس إلى مبايعته . وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة . وهو الذي سُمِّيَ يزيد ابن الوليد بالناقص . وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية . [أنظر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب] .
- وهو المعروف في كتب التواريخ بمروان القُرس ، ومروان الحمار ، ومروان الجمعي . سماه العباسيون الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالقرس . وقيل إنه لُقِّبَ بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه . (كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحروب . ويقال في المثل : "فلان أصبر من حمار في الحروب" ، فلذلك لقب به) . وقيل إن العرب تسمى كل مائة سنة حمارا . (فلها قارب ملك بن أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك) . وربما كان ذلك لقراره على حمار (يدلُّ على ذلك قول رؤمة ابن العجاج في مدح النعمان :

ما زال يأتي الأمر من أقطاره * عر اليبس وعلى يساره ،
مُشَمَّرًا لا يُضِلُّ بِساره * حَقَّ ، أقرَّ الملك في قراره
وفرَّ مروان على حماره . =

(١)
أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في
وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه. فلامه بنوه وأهله،

== وأما تسميته بالجمدى فنسبة إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتعالم مؤدبه بالجمد بن
سويد بن قحطلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيو
نسبوا إلى الجمعد ما رأوه من سعة عليه. وكان الناس يذمون مروان بنسبته إلى الجمعد. وكان الجمعد
المعتزلة وأظهر حقاله بخلق القرآن والقدر والاستطاعة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا
يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا فاعل له غيره، وإنما يقال إن الله خلقه مجازا لا.
ومن قوله: "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعلا لها". وقيل إنه كان
وعظه ميمون بن مهران، فقال: "لأنه قباذ أحب إلى مما تدين به! فقال له مهران: فذلك الله، وهو
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق
بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاما فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأتى
من الحبس في وثاقه. فلما صلى العيد يوم الاضحى قال في آخر خطبته: "انصرفوا وقسموا يقبل الله.
أريد أن أضحى اليوم بالجمعد بن دهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا أخذ إبراهيم خليلا! تعالى الله
الجمعد علوا كبيرا!" ثم نزل وذبحه.

أقتر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظ
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والعصر
والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وابن الأثير (ج ٥ ص
و ١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (ص ٨٤)؛ والفرق بين الفرق لـ
البندادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجمعدى، باسم أبه.

(٢) أى فى حضنه.

عَرْضَتْنَا وَنَفْسَكَ لِلبَّوَارِ ! فَقَالَ : أَسْكُتُوا ، قَبِّحَكُمْ اللَّهُ ! أَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْأَمْسِ بِحِزَانٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ مَرْوَانَ ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟ وَمَا كَانَ لِيغْسِلَ عَنِّي عَارَ تِلْكَ الْفَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَّوْتُ يَوْمِي هَذَا مِنْ الْقَتْلِ ، مِتُّ غَدًا . قَالَ : بِفَعْلِ بَنُوهُ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ . فَاصْبِرُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ إِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنُ جَعْدَةَ ! أَلَا أَبْشُرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَاللَّهِ ! مَا أَنْحَرَجَ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَلَهُوَ أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسٌ بِنَا رَجَاءً مِنْهُ بِمَرْوَانَ ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ ! ^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى بصير في قبره . ومنه قول كثير .

فَإِنْ تَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ نَدَّعِ الْهَوَىٰ . * هَبِ الْبَاسَ نَسْلُو عَيْكَ لَا مَاتَحِدِّ .
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فُتُوًّا قَاتِلٌ : * مِنْ أَحْلَكَ هَذَا هَامَةً الْيَوْمَ أَوْغَدِ .

يقال : فلان هامة اليوم أو غده ، أى يموت في يومه أو غده . ويقال ذلك للشَّيْخِ إِذَا أَسَنَّ ، والمرعى إِذَا طَالَتِ عَلَيْهِ ، والمحتمر لمدَّةِ الْأَجَالِ . وفي الحديث أن أبا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن رُقَيْش الأَنْصَارِيَّ وَقَدْ تَخَلَّفَ مَعَهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ : ” إِنِّهْنِ بَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْغَدِ “ .
(وَكَاثَنَا قَدْ أَسْنَا) . ومرجع ذلك لاعتقاد العرب في مسألة الهامة . (راجع ” الكامل “ للبردص ٢١١ و ٣٨٧ : ١٥
وأظن ” الأغاني “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة بن صـ . وقد رواها في ” المحاسن والمساوي “

(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن ابن وثن! تكتب إلى تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخونني بتفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالك لي! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سألتك أبدا، وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدو الله علي وليه، ولا حزب الشيطان علي حرب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمتقربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتقربون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رعيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شبرويه ومادحه
على قتل أبرويز

١٧

وفيما يحكي عن شبرويه أن رجلا من الرعية وقف له يوما. وقد رجع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك، وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعُتوه وبُخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،

(١) أنظر في الممدودى مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب].

(٣) ص: «جبروته». والخبرية القهر والغلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي حطبة عنته بن غزوان: "وإنه لم تكن سوء إلا تناقضها جبرية". أى ملك غالب وعضوض. [أنظر "البيان والبيان"، ج ١ ص ١٧٢].

(٤) ص: بالإحنة.

ويقتل بالظن، ويخيف البريء، ويعمل بالهوى“. فقال شيرويه للحاجب: اَحْمِلْهُ
إِلَى . فَقِيلَ . فقال له :-

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنتُ في كفاية من العيش .

- فكم زيدَ في أرزاقك اليوم؟

- ما زيدَ في رزقي شيء .

- فهل وتركَ أبرويز، فأنتصرتَ منه بما سمعتُ من كلامك؟

- لا .

قال - فإدعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعانة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يُترَع لسأته من قفاه، وقال: ”بحقُّ ما يقال إن الخرس خيرٌ من البيان
فما لا يَجِبُ“ .

وحدثني صَباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أى قصه . (صاح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في ”الحاسن والمساوى“ (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المقرئ . كان نديماً لمصعب الزيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب .

وكان منعصباً للفرزدق وجرير بفضلهما على الأختل (أغانى ج ٧ ص ١٧٤ راج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) .

وكان هو ومصعب جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) .

وقد أمتدحه إسماعيل النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

إبراهيم بن عبد الله فوضع بين يديه، جاء بعض أولئك الرويذية فضرب الرأس بعمود
كان في يده. فقال المنصور للسَّيب: دُقُّ وجهه! فدُقَّ المُسَيَّبُ أنفه. ثم قال [المنصور]
له: يا ابن الخنء! تجمي إلى رأس ابن عمي (وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفج) تضربه
بعمودك، كأنك رأيته وهو يريدُ نفسى فدفعته عني. أُنْزِجَ إلى لعنة الله وأليم عذابه!

المنصور وما دح
هشام الأموي

ويقال إن أبا جعفر وجهه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله
عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: "فعل
(رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا". فقال المنصور: قم، عليك لعنة الله! تطأ
بساطي، وترسّم على عدوي؟ فقال الرجل، فقال وهو موّل: إن نعمة عدوك لقلادة
في عنق لا يترعها إلا غاسلي. فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرفة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور
في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتله في سنة ١٤٥. ولم أتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب
في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور
من العساكر وأرباب الحرس، أو الزودية بمعنى لابسى الزود. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن
الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل
بأنه من السَّيَافَة (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو المُسَيَّب بن زهير الضبي وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضبة). كان على شرطة
أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة مومى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين
والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: س.

أنك نهيض حُرَّةً وِغراسُ شريف! عُدْ إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ، دعا له بهالٍ ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجة إليه! ولقد مات عني مَنْ كُنْتُ في ذكره آنفاً، فما أحوَجني إلى وقوفٍ على بابٍ أحدٍ بعده. ولولا جلالةُ عزِّ أمير المؤمنين وإيثارُ طاعته ما لَيْسْتُ لأحدٍ بعده نعمة." فقال المنصور: "مُتَّ إذا شئتَ، فله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً". ويقال إن الرجل كان من شَيْبَانٍ^(١).

٩٥

ومن حقِّ الملك - إذا حضره سُمَّارُهُ أو مُحدثُوهُ - أن لا يُحرِّكَ أحدٌ منهم شَفَتَيْهِ مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه، وإن كان نادراً شيئاً، وأن يكون غرضهم حُسْنَ الاستماع، وإشغالَ الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثَه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.

الأدب عند ما يتكلم الملك

وليس لمن حدَّث الملك أن يُفَسِّدَ ألفاظَه وكلامَه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني" أو "إنهم عني" أو "يا هذا" أو "الآخرى". فإن هذا وما أشبهه عيٌّ من قائله وحشوش في كلامه وخروجٌ من بسط اللسان ودليلٌ على القُدَّامة والغثافة. وليكن كلامه

الأدب في تحديث الملك

- (١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أُمُوره وتدييره وسياسته متبهاً لحشام في أفعاله، لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)
- (٢) سم: ونروج من بسط الزمان، صم: ونروج يربط اللسان.
- (٣) القُدَّامة التي عن الهبة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.
- (٤) هي سوء الخلق. ويمرَّضها العامة في أيامنا هدم بقولهم: الغثاة. ومنها فلان غثوت.

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبةً مُتَّصِلَةً، وَسَقَطَ تَلاَمِيهٌ قَلِيلاً. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يَصِلَهُ بِحَدِيثٍ آخَرَ، وإن كان شبيهاً بالحديث الأول، حتَّى يرى أنَّ المَلِكَ قد أَقْبَلَ عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أَعْرَضَ] لشغل يعرض له، [فليس له] أن يمز في حديثه وأن يَصِلَ كلامه، فيحتاج المَلِكُ إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيَجْمَعُ عليه أمرين. فإنَّ هذا يُخَفِّفُ من فاعله وخروج من الأدب. ولكن يُنِصِتُ مُطَرِّقاً: فإنَّ اتَّصَلَ شُغْلُ المَلِكِ، تَرَكَ الحديث، وإن أُنْقَطَعَ فنظر إليه، فقد أَذِنَ له في إتمامه وإعادةه.

+

عدم الضحك من حديث الملك

ومن حقَّ المَلِكِ أن لا يُضْحَكَ من حديثه إذا حَدَّثَ، لأنَّ الضَّحِكَ بِحُضْرَةِ المَلِكِ جُرْأَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُظْهَرُ التَّعَجُّبُ بِفَائِدَةِ حديثه. وإنما هذا إلى المَلِكِ، فإنَّ ضَحِكَ المَلِكِ من الحديث وأظهر السرور به، فذاك غَرَضُ حديثه. وإليه قَصْدٌ. وإن سَكَتَ، فلم يكن في الحديث ما يُلْهِمُهُ وَيُطْرِبُهُ أو يَسْتَفِيدُ منه فائدةً، كان قد سَلِمَ من العيب، إذ لم يضحك ولم يعجب.

+

عدم إعادة الحديث مرين على الملك

ومن حقَّ المَلِكِ أن لا يُعَادَ عليه الحديث مرَّتين، وإن طال بينهما الدهر وَغَبَرَتْ بينهما الأيام، إلا أن يَذْكُرَهُ المَلِكُ. فإنَّ ذَكَرَهُ، فهو إِذْنٌ منه في إعادةه.

(١٧)

كلمة روج بن زبناع في المعنى

وكان رَوْحُ بْنُ زَبْنَاعٍ ^(١) يقول: أَقْبَتُ مع عبد الملك سبعَ عشرة سنةً من أيامه، ما أَعَدْتُ عليه حديثاً.

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

- (١) وكان الشعبي يقول: ما حدثتُ بحديثٍ مرَّينَ لرجلٍ بعينه قط .
كلمة الشعبي في المعنى
- (٢) وكان أبو الهيثم يقول: ما رأيتُ أحداً أغزرَ علماً من أبي بكر الهذلي، ولم يُعدْ عليّ حديثاً قط .
كلمة السفاح
- (٣) وكان ابن عباس يقول: حدثتُ المنصور أكثرَ من عشرة آلاف حديث . فقال لي ليلته، وقد حدثته عن يوم ذي قار: قد اضطُررتُ إلى التكرار، يا ابن عباس !
كلمة ابن عباس في المعنى
- (٤) قلتُ: ما هذا منها، يا أبا عبد المؤمن . قال: أمّا تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنتَ تتحدث عن يوم ذي قار، فقلتُ لك: ما يومُ ذي قارٍ بأصعبَ من هذه الليلة ؟
٥

- (١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر .
- (٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية .
- (٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب .
- (٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل . القرور من الكوفة . حدثتُ فيه معركة هائلة بين العرب والعجم قبل البعثة النبوية، وقيل بين غزو قنقذ وأحمد . انتصر فيها العرب على العجم انصاراً باهراً نغش به شعراؤهم وتحدثت به أخبار يومهم . ويسمى هذا اليوم أيضاً بيوم الحيو، ويوم حنودي قار، ويوم جنو القرائر . ويوم بطحاء ذي قار، ويوم قرائر، ويوم الجبابات . ويوم ذات العجم . وكان من مواضع حول ذي قار . ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال .
- (٥) القار (تخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الزفت) الذي تُغطى به السفن، وهو شجر مرّ أيضاً (عن تاج العروس) . وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأسود) ؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزفت بسبب لونيهما . وليس يستمد من الحكاية التي أوردناها إلا حظ (مع ملاحظة المصوّر على جليسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء، ولأنه ربما كان لشمسها بيوم ذي قار بلافة ينزل الثلج وأن الموضع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة . بالحقيقة أن اللفظ عربي صميم لأنه اسم ماء .
- ١٥
- ٢٠

مواطن إعادة
الحديث على الملوك

وكان الشرق^(١) بن القطامي يُعبد الحديث مراراً. وذلك أنَّ أكثر أحاديثه مضاحيك، وكانت تُعجب المهدي فيستعيده.

= لبنى بكر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض هذا المكان مما لا يقع فيه التلج. فوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام الفيلق. يدل على ذلك قول التلي الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم: "أهلهم حتى يبقوا برئسا قتلوا على ذي قار، تساقط القراش في النار. فتأخذهم كيف شئت" (ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد حديث التلي مع كسرى هكذا:

"... يا خير الملوك! ألا أدلك على غيرة بكر؟

... بلى!

... أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يحلها القبط ويدنوها منك. فإنهم لو قاتلوا، تساقطوا عليك بما لم في واد يقال له ذوقار، تساقط القراش في النار." وإنما الذي أشار إليه المنصور هو اشتداد الأمر وخرج الحال وأصطلام الحرب، كما كانت ليلته شديدة بردها ومطرها.

(أنظر التفصيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠ - ١٢؛ "والأخاني" ج ٢٠ ص ١٣١ - ١٤٠؛ "العقد الفريد" ج ٣ ص ١١٣ - ١١٦؛ "وآين الأثير" ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٨؛ وأنظر "صبح الأعشى" ج ١ ص ٢٣٦؛ "وتاج العروس" في ق و ر.)

(١) سماه في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه فصح الرا. والقطامي فصح القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحُصَيْن الكلي. والشرق لقبه، كما أن القطامي لقب أبيه. كوفي وأمر العلم والأدب؛ واشتهر بجملة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث معدود بن الضعفاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظا ولا أفكك مجنسا ولا أعظم أبهة وقدرًا منه. وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس أمير المؤمنين.

== صاحب ستر. أقدمه أبو جعفر المنصور ليتم ولده المهدي. وقد سأل: "علام يوقى المرء؟ فقال: أصلح الله الخليفة! على معروف قد سلف، أو مثله يؤتف، أو قد يم شرف، أو يعلم مطرف." "ضمه المنصور إلى المهدي حين خلقه بالري، وله معه هناك حديث ظريف عن الفريقين (ساقه في "مرجع الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله تصليدة في الغريب. سأل رجل ذات يوم عما كانت تفرقه العرب في صلاتها على موتاه. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤن:

ما كنت وكرا ولا بزوتك * رويدك حتى يبعث الخلق ناعته

لحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء". ص ٤٢ - ٤٣ و "آمن قتيبة في المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زتك، و لك). ١٥
(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه رديده وعادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأخبار العرب وأخبارهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الجبازيل ومعاشره أدبا وعلما وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيق المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن الاتزان له. وهو من قلة الأخبار وتقاد الأشعار. ٢٠
حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تبه على الخليفة أنه كان يبادمه ولا يتقذى معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتقذى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتقذى فكان الناس إذا تقذروا تنحوا لفسل أيديهم، وابن دأب ينسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تبه ودائه عليه أيضا أن الخليفة كان يدعو له بما يتكلم عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) =

ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يُحكى أن رَوْح بن زَيْبَاع مَرِيض فكان يدعو له
عبدُ الملك بن مروان بِمُتَّكَ^(١).



وعلى المحدث لَلْكَ أن لا يَجْعَلَ في كلامه، وأن يُدْجِج ألفاظه، ولا يُشِير بيده،
الادب في تحديث
الملك

٥ = وكان يقول له: "ما استعلت بك يوما ولا لبالا، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت أن لا أرى غيرك".
أمر له مرة بثلاثين ألف دينار. فما كسه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه عرض له بذلك وقال له: "أرى ثوبك غسلا، وهذا
شئاء يحتاج إلى الجديد". فقال: باعني قصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك مافية صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلي. فغدا صاحب بيت المال وأستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه.

١٠ وكان كثيرا ما يدعو له ويسأله إفشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب. وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سسدي مع مولاه، ساقه السعدي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥) وصاحب "المحسن والمساوي"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأبشهي في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكايد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، ساقه السعدي أيضا
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عليه خلف الأحمر هفوة فقال فيه: "العجب
من أن دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد هجاه ابن مناذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم باللغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان حلف الأحرار ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشيع
ويضع أخباراً لبني هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغانى" (ج ٥ ص ١٥٨ و ١٥٩ و ١٠٤

١٠٦ و ١٠٦ و ١١٠ و ١١٧ و ١٢٤ و ٢٤٤ و ١٩٨ و ٤٨٨)؛ وأنظر ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٢ - ٧٣)؛
وأنظر أيضاً "مروج الذهب" (ج ٥ ص ١١٨ و ١٢٨ و ٢٦٣)؛ وأنظر "المعارف" (لأن قتيبة
(ص ٢٦٧)؛ و"كتاب الأشتقاق" (لأن دويد (ص ١٠٦)؛ و"كامل المبرد" (ص ١٨٦ و ٢١٢)؛
و"المحسن والمساوي" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨)؛ والطبري سلسلة ٣ (ص ٥٨٩)؛ و"شرح الحاشية"
(ص ٢٠٠)؛ و"البيان والتبيين" (ج ١ ص ٢٤) و"تاج العروس" في دأب. وله ترجمة وافية في "معجم الأدباء" لباقوت
روى هذه الأحوال صاحب "محسن الملوك" بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤).

٢٥ (١) دخل محمد بن عمران على الأمامون ذات ليلة، فجعل يأمره وينهاه، ثم دعا له بمُتَّكَ، فقال: أعليك
الله، يا أمير المؤمنين! ما كنت لأتُكِّي في مجلسك! فقال له: إن على قلبك من ذلك ثقلاً وموتة، فأردنا
أن يستريح بذلك ليفرح لنا قلبك. ("مطالع البدور" ج ١ ص ١٠)

(٢) من قولهم: أدجج الليل أجاد قتله، وقيل: أحكم قتله في رقة. (عن تاج العروس)

ولا يُجَرِّكُ رَأْسَهُ، وَلَا يَزْحَفُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلَا يُرَاحُ بَيْنَ قَعْدَتِهِ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا يُقِيلُ عَلَى غَيْرِ الْمَلِكِ بِمَلَا حِظَّتِهِ، وَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ أَوْ يَفْهَمَ عَنْهُ سِوَاهُ.

✱✱

- ومن حقِّ الملك - إذا تناب أو ألقى المروحة أو مدَّ رجله أو تمطَّى أو أتمكَّأ أو كان في حالٍ فصار إلى غيرها مما يدلُّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطَّى، قام سُمَّاره. ^(١)
وكان الأزدوان الأحمر له وقت من الليل وساعات تُحصى. فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره. ^(٢)

أمارات الملوك
للجلاء بالانصراف

- ١٠ * وكان يُستَاسِفُ إذا ذلك عينيه، قام من حضره.
وكان يزدجرد الأثيم إذا قال: "شَبَّ بَسْدٌ" ^(٣)، قام سُمَّاره.
وكان بهرام جور إذا قال: "نَعْرَمُ خَفْتَارٌ" ^(٤)، قام سُمَّاره.
وكان قُباد إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُمَّاره. ^(٥)
وكان سابور إذا قال: "خسبك يا إنسان!"، قام سُمَّاره.

❦

- ١٥ (١) صه: كله. (بمعنى كلاله)
(٢) لعل الصواب: "الاصفر". [رأى نظر الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ وصفتة ١٥١ من هذا الكتاب]
(٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش صه: يقول ذهب الليل.
(٤) جملة فارسية معناها: نام مسروراً ^(٥)
(٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * مقولة عن صه.

وكان أنوشروان إذا قال: "تقوت أعينكم!" قام سُمَّارُه.^(١)
وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الضلاة!"^(٢) قام سُمَّارُه. وكان ينهى عن السَّمرِ
بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُه.
وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه ومن حضره.^(٣)
وكان عبد الملك إذا ألقى المَخَصِرَة، قام من حضره.^(٤)
* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام من حضره.^(٥)
وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام من حضره.
وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" قام سُمَّارُه.^(٦)

- ١٠ (١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ يزيد جرد يقول: شب بشد (أي مضى الليل)؛ وبرهام يقول: تُرمِ
نخوش باد (أي تُكنّ مسروراً)؛ وأبرويزميد رجله؛ وقباز يرغم رأسه إلى البهاء. (عن "مخاضرات الراغب"
ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربي الاقول عن المرحوم محمد عارف باشا في حاشية "المخاضرات")
(٢) إذا قال قانت الصلاة. (في "مخاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)
(٣) قال أصحابنا: إنا رأينا جلوساً عندك فوق مقدار شهورك، فتريد أن تجعل لنا علامة نعرف
بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتمت!" وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!"
١٥ وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("المقدّم الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)
(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.
(٥) في المسعودي (ج ٥ ص ٢٥٧) وفي الراغب في الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتمت"
وكانت سادات العرب يقولون بجليتهم: "إذا شتمت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير؛ كما
في الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)
٢٠ (٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص. .
(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مس عارضيه وتناوب، قام سُماره.

وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره.^(١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإنما

أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حق الملك أن لا يُعابَ عنده أحدٌ، صغراً أو كبراً.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك
تحريش الملك بين
رجالہ
﴿تتمة﴾

فمن الملوك من يُدبر في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ آثان

أستويا في منزلة عند الملك والجاه والتبّع والعزّ والحظوة عند السلطان فأنفقا، إلا كان

ذلك الاتفاق وهناً على المملّكة والمملّك، وفساداً في تديره. وذلك أنهما إذا أنفقا، وهما

وزير الملك، كانا - متى شاآ أن ينقضا ما برم الملك ويحلّا ما عقد ويوهيا ما أكّد -

قدراً على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى أنفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في صـ . وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين .

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون

بها من مجلسه إذا أراد، كبرى . وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون . وتبعه الملوك .

فكان فيروز الأصغر يدلك عينه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء . وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول :

العزة لله ! ، وعبد الملك يلقى المروحة من يده . وحُدث بهذا الحديث عند بعض البهلاء . وسئل ما أمارته ، فقال :

إذا قلت " يا غلام ، هات الطعام ! " ، وأنظر أيضاً " محاضرات الراغب " (ح ١ ص ١٢١) .

أُثبتَ في نظام الملك وأؤكد في عزِّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئا، أراد الآخر خلافاً له. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعا على نصيحة الملك، شاء أم أبى. وآثرها كلُّ واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم للملك تدبيره وتمَّ له أمره.^(١)

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلة، بل ليعرف معايب كلِّ واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط في حوائجه والتسحب على ملكه.



أدب السفير

ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيحَ العطرة والمزاج، ذا بيان وعِبرة، بديراً بمخارج الكلام واجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوقاً للهجة، لا يميل إلى طمع ولا طبع، حافظاً لما حُمِّل.^(٢)

وعلى الملك أن يمتحن رسوله بحنة طوبلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كاد السقاج، إذ أنه أدى رحلان من أصحابه وطلانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئا ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدلا في شهادته. وإذا أصطلح الرحلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه. ويقول إن الصغية القديمة تولد السداوة المحضة ويحمل على إظهار المسألة وتحتها الأمل التي إذا استمكن لم تُبق. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) القلبي: الشين والعب. ومنه الحديث: "استميدوا بالله من طبع يدي إلى طمع". أخذ حُررة بن أذينة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يدي إلى طمع * وعمّة من قوام العيش تكفي.

(عز، تاج العروس)

والعمّة البقلة من العيش. ٢٠

سنة ملوك العجم
في اختيار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من تجمله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تمتحنه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاضة الملك ومن في قرار داره في رسالتها، ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه؛ فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته، فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن آتفت أو آتفت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم رفعها إلى الملك. فإن آتفت كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتردد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

(كلمة)
كلمة أردشير
في حق السفير

وكان أردشير بن بابك يقول: "سَمَ من دَمٍ قد منفكهُ الرسول بغير حِلَّة! وكم من جيوش قد قُتِلَتْ وعساكر قد هُزِمَتْ وحرمة قد أَتْهِكَّتْ ومال قد أَتْهَبَّ وعهد قد نُقِصَ بخيانة الرسول وأكاذبية!"

كلمة ثانية له

وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بأخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَلَّ]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له مافي كتابة الأول حرقا، ومعنى معنى: فإن الرسول ربما حرم بعضنا أملا، فآقتعل الكتب وحرّض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه.

(١) أورد الفلقستندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الاعشى" ببعض تصرف في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمسائر" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفير كذب عابه

❦

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . بجاءه برسالة شك في حرف منها : فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومنستد ، إذا مالت : وقد جئتني بزمالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنت فيها حرفا ينقضها . أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ويعاد إلى الملك مع رسول آخر ، فيقرأ عليه . ويترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره . فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكين^(١) ، فقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس المملكة صحيحة فطرة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يؤدي . وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا . فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعت ، لالنا ! فلما فأتك بعض ما أملت ، جعلت ذلك نارا في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من قفاه .

❦

(١) المديسة سبها العرب سكين وسكين . والاسم الأول أشهر وأشهر ، والسكين يذثر ويؤث ، وقال بعضهم إن السكين خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصيح أنها لغة قوم من بني بعة ، وأوردها القراء وأبن سيدة . قال الشاعر : سكين من طبع سيف عمرو * نصائبها من قريب تيس برى .

وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : أتني بالسكينة (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سه : أس .

(٣) انظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) وأبطلها ألفاظ الجاحظ نفسها .

١٥

٢٠



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لمتامه في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حاي يقصد إليه، إذ كانت أنفس الملوك هي المطلوب غرتها، والموكل برعاية سبتها وساعة غفلتها. ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقيله.

إحياء الملك
في متامه ومقيله

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا] (٤). ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة (٥) وأنه نائم فيه (٤). ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ متامهم وصيانتهم عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كلاءته - إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم

①٥

١٥ (١) في صه، سم: "حوى" [وأخترت الحاي لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) صه، عزتها.

(٣) ضبطه في سم: "سبتها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سم: إلا ومن ودائه من بعيد على الانفراد فراش لا يشك أن.

ففي هذا الحكم الأدلة وأوضح المجبة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأتقى
الخطيرة الرفيعة التي توزن بينفوس كل من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء.^(١)^(٢)

إطلاع الوالد
فقط على منام الملك

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطلع على موضع منامه إلا الوالدان^(٣)
فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الخزم، وأؤكد
في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهوينا.^(٤)^(٥)

++

ومن حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا
عن إذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك
وخدمه، لئلا تجعله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

فإنه يقال: يزيد خرد رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟
قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأتخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً،
ونحى عن الستر، ووكّل بالحجابة أراد مرّد.^(٧) ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث
عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،
﴿١٦﴾

(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك"، اختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣).

(٤) سه: وأرفع.

(٥) التؤدة والرفق.

(٦) صه: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"،

سماء "فلاما".

دفع أراد مِرْدُ في صدره دَفْعَةً وَقَدَهُ مِنْهَا، وَقَالَ: إِنَّ رَأْيَتِكَ هَذَا الْمَوْضِعَ ثَانِيَةً، ضَرَبْتُكَ
سِتِينَ سَوْطًا، ثَلَاثِينَ مِنْهَا لِحْنَانِيَّتِكَ عَلَى الْجَسَاجِبِ بِالْأَمْسِ، وَثَلَاثِينَ لَثَلًا تَطْمَعُ
فِي الْحَنَانَةِ عَلَى. فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ حَرْدًا، فَدَعَا أَرَادَ مِرْدًا، فَخَلَجَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

وَيُقَالُ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ بَابٌ. فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ
قَالَ: يَا جَارِيَةُ! أَنْظِرِي هَلْ تَحْتَرِكُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ بِفُتَاتِ الْجَارِيَةِ [مَرَّةً] حَتَّى
فَتَحَّتِ الْبَابَ. فَإِذَا مَعَاوِيَةُ قَاعِدٌ، وَفِي حِجْرِهِ مُصْحَفٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ تَصَفِّحُ عَلَيْهِ.
فَأَخْبَرَتْ يَزِيدَ بِذَلِكَ. فَجَاءَ يَزِيدُ فَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّ بُنَى! إِنَّمَا جَعَلْتُ
بُنَى وَبَنِيكَ أَبَا، كَمَا بَنَى وَبَيْنَ الْعَامَةِ. فَهَلْ تَرَى أَحَدًا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا بِإِذْنِي؟
قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَذَلِكَ فَلْيَكُنْ يَا بَك! فَإِذَا قُرِعَ عَلَيْكَ فَهُوَ إِذْكَ.

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وَهَكَذَا ذَكَرْنَا أَنَّ مُوسَى الْهَادِي دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ فَزَبَرَهُ وَقَالَ:
يَا بَك! أَنْ تَعُودَ إِلَى مَثَلِهَا إِلَّا أَنْ يُفْتَحَ بَابُكَ!

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمَأْمُونُ لما أَسْتَعَرَّ بِهِ الْوَجْعَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِيهِ الْحَاجِبَ أَنْ يُدْخِلَهُ
عَلَيْهِ لِيَرَاهُ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ! مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ مِنْ

ما فعله الحاجب
بولد المأمون

(١) أَى أَوْجَعَتْهُ وَأَلَمَتْهُ كَثِيرًا. وَالْوَقْدُ شِدَّةُ الضَّرْبِ. وَفِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ": فَدَعَا دَفْعَةً أَوْقَعَهَا

(٢) فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ": وَثَلَاثِينَ عَلَى اسْتِمْرَارِ جَنَائِيَّتِكَ.

(٣) رَوَى هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِتَلْخِصٍ خَفِيفٍ صَاحِبُ "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إِتْبَرَهُ.

(٥) نَقَلَهَا فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٧).

(٦) أَى أَشْبَهَتْ عَلَيْهِ، تَشْبِيهًا بِاسْتِعَارِ النَّارِ. وَفِي صَدْرِهِ: أَسْتَفْرَقَهُ. [وَأَمِلَ صَوَابَ الرِّوَايَةِ: أَسْتَمَرَّ]

وَفِي "مَحَاسِنِ الْمَسَاوِي": أَشْتَدَّ.

حيث لا يراك؛ فأطلع عليه من ثياب في ذلك الباب. فناء حتى أطلع عليه وتأمله ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بصير بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزبره وقال: تنح! فوالله لولا أني لم أقدم إليك في ذلك، لضربتك مائة جيباً. وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبده من الاستيكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في النمط الأوسط من الناس ثم الذين يلونهم. فاما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به. وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الباء (إيتاخ) كما في سمر وكان في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الباء التحتية. ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبائخاً ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش ووزير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابه إن المعتصم لم يبق لديه أحداً إلا رجته به إليه، حتى طبأه. وبعث بذلك المعنى إلى ملك الروم، فغريه بالخليفة حينما ضايقه وأخذ بخناقه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأتته أهره بأن خاله المتوكل وأعمل الخيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤ هـ. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبن الأثير في فهارسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سمر: أني أقدم.

(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "الحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صم: الجنوح.

(٥) في سمر: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقراءة أحرمة أردالة أو نحو ذلك. وفي صم: فترقى عن كل شيء يمت إليه.

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في المملكة .^(١)

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان ولي عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والملك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن] يشرب إلا بشربه ولا [أن] يتام إلا بتمامه .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره السائة والضائة أن يكون له تابعا وحركته تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته ، لأن ابن الملك عضو من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والأبن فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عمن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالي من والى الملك ، ويعادى من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حفظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك ما إن وجد إلى غيبتة سبيلا أن يقتله^(٣) . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) صه : وضعة .

(٢) الواهنا والوالعية .

(٣) الضير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صه : حيلته .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَالَةً لَشَهْوَةِ الْأَسْتَبْدَالِ ^(١) فقط . فليس لصاحب الملك ، إذا أحدث الملكُ خُلُقًا ، أن يعارضه بمثله ؛ ولا إذا رأى نَبْهَةً وَأَزْوَارَةً ، أن يُحَدِّثَ مثله . فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نِيَّتُهُ . وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ ، عَادَتْ طَاعَتُهُ مَعْصِيَةً وولايته عداوة . وَمَنْ عَادَى الملكَ ، فَنَسَسَهُ عَادَى وإياها أهان .

❦

ولكن عليه ، إذا أحدث الملك الخُلُقَ الذي عليه بنية أكثر المملوك ، أن يَحْتَالَ في صرف قلبه إليه . والحيلة في ذلك يسيرة : إنما هو أن يطلب خَلَوَتَهُ فيلْهِيه بنادرةً مُضْحِكَةً أو ضربِ مَثَلٍ نادرٍ أو خيرٍ كان عنه مُغْفًى ، فيكشفه له .

ما صنعه ما زيار
المضحك مع أحد
ملوك النجم

كما فعل بعض سُفَهَاءِ ملوك الأعاجم . أظهر الملك له جَفَوَةَ الْمَلَالَةِ فقط ، فلما رأى ذلك ، تعلَّم نُبَاحَ الكلاب وعَوَاءَ الذئاب ونَهيقَ الحمير وصياح الديوك ^(٢) وشَجِيجَ البغال وصهيل الخيل . ثم آحتال حتى دخل موضعاً يَقْرُبُ من مجلس الملك وفراشه يُخْفَى ^(٣) أمره . فنبج نُبَاحَ الكلاب ، فلم يشكَّ الملك أنه كَلْبٌ وَأَبْنُ كَلْبٍ ، فقال : آنظروا ما هذا ! فعوى عَوَاءَ الذئلب ، فترل الملك عن سريره . فنهق نهيقَ الحمار ، ومَرَّ الملك هارِبًا . وجاء غلمانُه يَتَّبِعُونَ الصوت . فكلما دَنَوْا منه ، أحدث معنى آخر ، فأجمعوا عنه . ثم اجتمعوا فأقتحموا عليه ، فأخرجوه وهو عُرْيَانٌ مُخْتَبِئٌ . فلما نظروا إليه ، قالوا للملك

(١) سم : الاستبدال .

(٢) في المسعودي طبع باريس : "رقاء" ؛ وفي طبعة بولاق : "زقاء" . وهذا هو الصواب ، ومعناه صياح الديك . (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي : "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره" . وفي صه : من مجلس الملك ووضع منامه .

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟
قال: إن الله مسخني كلبا وذئبا وحمارا، لما غضب عليَّ الملك. فأمر أن يُخلع عليه
ويُرَدَّ إلى موضعه.^(١)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يشبه أقدارهم.

* كما فعل رُوح بن زنباع، وكان أحد دُعاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا، فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد ففرت السباع أفواها نحوى، وأهوت بخالبها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتل في حديث يضحكه! فقال رُوح: إذا أطمأن بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الوليد: أفعل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رُوح. فلما أطمأن بهم المجلس، قال الوليد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: بنى ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماه في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) ص: ويحك.

(٣) قل المسعودي هذه الحكاية - (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورده وتقواه أشهر من نار على علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة. كان من نساء قريش وطرفاتهم
بل قد بذهن طرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاصة بنيرقت وفي المجرب تفسير فسوق. وقا. غلبت عليه
الدُّعابة وأشهر بها. (أنظر "المقد البريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لابن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب الإله بما تعيش به * وفرت ليلك أيما قسراً
أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فآخذ هذين البيتين - وهما
في رقعة - فخرج بهما، فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه
الرقعة، وأشر على رأيك فيها. فلما قرأها، استرجع عبد الله. فقال: ما ترى فيمن هجاني
بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعفوا وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيتُ
قائلها لأني لئن نيلاً جيداً! ^(١) فآخذ ابن عمر أفكلاً ^(٢)، وأربد لونه وقال: ويلك!
أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأفترقا. فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالتقريب ومن
فيه، إلا ما سمعت كلامي! فتحوب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال: ^(٣)
علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيتُ قائل ذلك الشعر فثلته؟ فصعق ابن عمر ولبيط به. ^(١)
فلما رأى ما حل به، دنا من أذنه فقال: إنها امرأتى! فقام ابن عمر فقيل ما بين عينيه.
فضحك عبد الملك حتى خض برجله وقال: قاتلك الله ياروخ! ما أطيب حديثك!
ومد إليه يديه فقام روخ فأكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، ألدنّب فاعتذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة"، من باب عطف التفسير.

(٣) أجسم عليه بالبروضة الشريفة والمدينون فيها وهو النبي صل الله عليه وسلم. فتحوب أى وجد في عدم الوقوف إنما، فوقف ولكن معرضاً عنه بوجهه.

أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شيء نكرهه. ثم عاد له أحسن حالاً^(١)
ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الخطفي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الخطفي، مادحك وشاعرك!
قال: بل مادم الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن
لي في إنشاد مديحه؟ قال هات الججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
هات في الججاج! فأنشدته قولي في الججاج:

صَبَرْتَ النَّفْسَ يَا بَنَ أَبِي عَقِيلٍ * مُحَافَظَةً، فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا؟

وَلَوْ لَمْ تُرِضْ رَبِّكَ، لَمْ يُنْزَلْ * مَعَ النَّصِيرِ الْمَلَأَمَكَةَ الْغِضَابَا.

١٠ إذا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ، * رَأَى الْجَجَّاجَ أَتَقَبَّهَا شَهَابَا.

فَقَالَ: صَدَقْتَ، هُوَ كَذَلِكَ! ثُمَّ قَالَ لِالْأَخْطَلِ، وَهُوَ خَلْفِي وَأَنَا لَا أَرَاهُ: قُمْ فَهَاتِ^(٣)

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما السعدوي فقد أوردتها بألفاظ أخرى وزيادة
ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"
(في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والمُلَحَّح). ولكن عبارتهم
كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال التصریف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصحيح" الخَطِيفِي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
الاستلاب. وهو لقب جده، لبیت قاله في شعره. ولكن الأسم المخفف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر
شيوعاً، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "ناح العروس"، "كتاب الاشتقاق"، لأبْنِ دُرَيْدٍ (ص ١٤١)،
"ديوان الأخطل"، الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب).

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين نما كإليه فأقسم أنهما لثيان، هما ومهما وهو نفسه أيضاً. فقبل له إن هذا
لخطل من قواك. فسمى الأخطل. (أمالى القالي ج ٢ ص ٢٣٤)

﴿١١﴾

مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأت مديحنا، ثم فارتجبه! قال: فالتقى النصراني ثوبه، وقال: جَبَّ! يا ابن المراجعة. قال: وساء ذلك من حضر من المضربة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لا بُرَكَ الحنيف المسلم، ولا يُظهر عليه. فاستحيا عبسُ الملك، وقال: دَعْنِي! قال: فأنصرفت أخرى خلق الله حالاً، لما رأيت من إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله عليّ عدوي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع، دخلت لأودعه، فكنتُ آخر من دخل عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين، هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيت سوء رأيه، أنشأت أقول:

أتصحو أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

١٠

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سره، وهو قول:

السنم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح؟

فأستوى جالساً، وكان متكئاً، فقال: بلى نحن كذلك، أعاد! فاعدت. فاستقر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبتيه أو على الأرض ليتكئ من ركوبه. و"جَبَّ" فعل أمر من التجبية بمعنى الانحناء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانعه: وجب الرجل وضع يديه على ركبتيه في الصلاة أو على الأرض. "وهو أيضاً أن يكتبه على وجهه". والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام: "طاطي البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

١٥

(٢) هذا مديح جرير. وقيل إن الفرزدق والأحطل سبها كذلك في جهاد كل منهما له. وقيل إن ذلك تعبير له يعني كليب لأنهم أصحاب حير. ويورد جرير على عبد الملك المذكور في كثير من كتب الأدب مثل "الأنغان" و"العقد الريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أوفى وأحسن ما رأيت.

٢٠

﴿١١٢﴾

وذهب ما كان في قلبه، ثم ألتفت إلى محمد بن الجحاج فقال: ترى أم حذرة تُرويهما مائة من الإبل؟ قلت: نعم يلأمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كَلْب فلم تُروها، فلا أروها الله! قال: فأمرني بمائة فريضة. ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أهديت إليه - فقلت: المحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. ^(٤)

* وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر ^(٦) قد جفاه. فأماه يوما في قائم الظهيرة، والهجرة تقد. ^(٧) فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. ^(٨) فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يسلم قائما ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائما قال: أصلح الله الأمير! إني آنصرفت بالأمس نحو منزلي، و [قد]

(١) حذرة هي بنت جرير. وكان يكنى بها. قال في "تاج العروس" ما نصه: "وأوحذرة كنية سيدنا جرير رضي الله عنه". ولا أدري لما إذا لقبه بالسيادة ثم رضى عنه (؟) ! ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصعابي، وليس كذلك.

(٢) ص ٥ : كلاب.

(٣) ص ٥ : رواها.

١٥

(٤) روى صاحب "الأنفاني" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جزء ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأتت القصة بينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القسالي" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألقاظ الجلائق في "الحاسن والمسار" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص ٥ : عبد الملك بن هلال الهادي. وقد صححت حسبما في المسعودي طبع باريس وبولاق

(٦) هوسليان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهادي. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أي كانت شدة الحر تنوقد. وفي مروج الذهب: وأخذوا الحجير.

(٨) ص ٥ : "أعلمه موضعي". وقد آخرت رواية المسعودي.

٢٠

أَمْسَيْتُ : فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ ثَوَّبَ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى فُسْتَجْدٍ مُغْلَقٍ .^(٢)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلْيَانُ : فَبَلَّغْتَ السَّمَاءَ ، فَكَانَ مَاذَا ؟ قَالَ :
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ ، إِمَّا كُرَيْمِيٌّ وَإِمَّا سُنَيْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ . فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ^(٣)
 [وَلَغِيٍّ مَا أَعْرِفُهَا] ، فَقَالَ : "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدْدَهُ" ، يَرِيدُ "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
 لُحْزَةٍ الَّتِي جَمَعَ مَالًا رَعَدَدَهُ" . قَالَ : وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي !
 فِي حَرِّمٍ قَارِيكَ ! " فَضَحِكَ سَلْيَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فَرَاشِهِ ، وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدَ ،
 فَأَنْتَ أَطْيَبُ أُمَّةٍ مَعْدٍ ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخُلْعَةٍ وَقَالَ : "الزِّيمُ الْبَابَ وَأَعْدُدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ."^(٤)
 وَعَادَ إِلَيَّ أَحْسَنَ حَالَاتِهِ عِنْدَهُ *^(٥)

وهذه أخلاق الملوك لمن فهمها . وليس بعجب أن تتلون أخلاقهم ، إذ كنا نرى
 أخلاق القرين المساوي والشريك والإلف تتلون ولا تستوي ، ولعلّه يجد عن إلفه

(١ - ٢) ثَوَّبَ : دعا إلى الصلاة . [وفي المسعودي طبع باريس وبولاق : "قدنوت" ثم صعد إلى مسجد
 مغلق . وظاهر أن رواية صـه أوقع وأقعد وأتم .]

(٣) في المسعودي طبع باريس "إما كرى وإما طمطاني" وفي طبع بولاق : "إما كرى أو طمطاني"

(٤) أنظر الروايات الأخرى في المسعودي طبع باريس وبولاق . وكلها محرقة من النساخين كما هو ظاهر
 وقد نبه على ذلك مترجم المسعودي . [وأنظر خاشية ٤ صفحة ٧٥ من هذا الكتاب]

(٥) هذه الفقرة المحصورة بين نجمين * منقولة عن صـه . والحكاية أوردها المسعودي بالحرف الواحد

تقريباً عن الجاحظ دون أن يشير إليه (راجع "مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ،
 وطبع بولاق ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صـه : إن فهمتها :

وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



ثمرات
التأديب بالجفوة

وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصلح في تأديب صاحب من اتصاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بمواقفة المجفوء . لأن فيها فراغ المجفوء لنفسه وتخلّصه لأمره^(١)
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مهمّ أمره . وفيها أيضا أنه إن كان المجفوء من
أهل السمر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريقا محمّدا
له بالكتب ودراستها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت صاحب الأدب الكبير . وذلك أنه
كل من أنفس الملك^(٢) مجلسه وطال معه قعوده وبه أنسه ، تملأ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلّص والراحة والخلوة لإرادة نفسه . كما أنه من كثرة فراغه وقلّ أناسه ، جفني
وأطرح ، وطلّب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فهذه الأخلاق رُكبت الفطر وجُبلت النفوس .

فإذا جاء الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملأه والشغل الذي كان يهرب منه .

(١) سم : الآخر .

(٢) سم : وتخلّص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صحّحت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجلس مجلسه وجلوسه معه نفيسا . وفي سم ، صم : "نفس" . [ولامني لها . ولذلك
صحّحت المتن بما وصل إليه أجهادي .]

ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنْعَةٍ وأَمْرٍ ونَهْيٍ، وكان مرغوباً إليه مرغوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحْدِثُ رَقَةً ^(١) على الْعَامَّةِ ورأفة بهم، وتُحْدِثُ الْجَفْوَةَ حُسْنَ نِيَّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ على المجفوق شكر الله تعالى على ما أَلَمَّه الملك فيه فتصنق وأعطى وصام وصلى.

فكلُّ شَيْءٍ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخْطِ، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسناء والضراء، غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يَجْتَهِدَ بكلِّ وَسْعٍ طاقته أن يكون من الملك بالمتزلة بين المتزلتين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، واستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق المملك أن يُذِنِّيَ من عَظَمِ قَدْرِهِ وَأَتَّسِعَ عَلَيْهِ وطاب مُرَجُّهُ ، صفات المقربين
أو ظهرت أمانته أو كَلَّتْ آدابه.

(١) أى رحمة. ١٥

(٢) فى سه : "مساعدة". وفى سه : "مشاغبة".

(٣) كذا فى سه ، سه . نعم إن بقية الكلام ربما تنفى النقي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدل على أن تقر بهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم . ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقريب للقرناء والمحدثين كائنا من كانوا ومن حيث كانوا .

وهذه الصفات هي جلستُ آخرُ يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الثقة والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحسَدُ بالفضاعة والرَّسَّانة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكُتُب،
وما أشبه ذلك. فأما القرَّاء والمحدثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكلُّ مَنْ دنا
منهم من الملك وعَلِقَ به: كأنَّ مَنْ كان ومن حيثُ كان.

(١١٥)

وكذا وجدنا في كُتُب الأعاجم وملوكها.

وفياً يُذكر عن أنوشروان أنه قال: "صاخبك من علق بشوك."

كلمة أنوشروان،
وأمثلة كلمة
ودنة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة وَدِمْنة" أن الملك "مِثْل الكرم الذي لا يتعلق بأكرم
الشجر، إنما يتعلق بما دنا منه"^(٣). وقد نجد مصداق ذلك عينا في كلِّ دهرٍ وأخبار
كلِّ زمان.

١٠

(١) الزكّانة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الزكّانة" وهي الفطن الذي يكون بمنزلة اليقين.

(٢) صـ: فأما الغرباء والمحدثون.

(٣) قلتُ هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة للآن من كتاب "كَلِيلَة وَدِمْنة" وهي التي طبعها الأب

- الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوسامى الفرنسى سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل غير
الكرم الذي لا يعلق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وفي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق فيها
سنة ١٢٨٥. وهذه الرواية نبيرة وحنيفة جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية
الجاحظ وإن كان الذي نستفها قد مسختها. فهي في صـ: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي صـ: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، إنما يتعلق بما قرب منها".

٢٠

سجاء
الملك ورحمة

+

(١١)

ومن أخلاق الملك السجاء والحياء.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكَّبَا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كنا لم نشاهد ولم يُلَفْنَا عن
مضى من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، الفحة والبخل.
فأما السجاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يُفِيدُ أكثر مما يُنْفِقُ. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَعَمِّ الْمَتَنِ والإحسان إلى من نَأَى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.

﴿١١﴾

وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أَنْ يَرْحَمَ رعيته، (وإذ كان الإمام) أَنْ يَرْقَّ عَلَى الْمُؤْتَمِّ
به، (وإذ كان المولى) أَنْ يَرْحَمَ عبده.

فقد تَخَطَّى العائنة وكثير من الخاضعة في الملوك حتى يُسَمُّوَنَهُم بِغَيْرِ أَسْمَائِهِمْ
وَيَصِفُونَهُمْ بِغَيْرِ صِفَاتِهِمْ وَيَتَحَلَّوْنَهُم بِالْبُخْلِ والإمسالك، إذا رَأَوْا الْمَلِكَ عَلَى سَنَنِ مِنْ

(١) ص: الملك الكرم والسجاء. ورواية سمع أجمع. لأن الكلام التالي منقسم إلى موضوع السجاء وإلى
موضوع الحياء. ولأنك أعتدتُها في المتن.

(٢) أفاده وأستفاده وتقيده بمعنى واحد. (من القاموس)

(٣) ص: وتسميم.

(٤) زاد في سمه هنا: "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضع
المناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) ص: الأبطال.

الْقَصْدُ وَعَدْلٍ مِنْ حَدِّ الْإِنْفَاقِ، وَيَقُولُونَ عَمَّا أَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"،
وَبِمَدْحِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْقَصْدِ فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ، بِعَالِمِهِمْ أَنْ أَرْضَى الْأَحْوَالَ
عِنْدَهُ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْاِقْتِصَادِ، بِقَوْلِهِ: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا."

وقد ذكر بعض من لا يعلم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) ^(١) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرد على من وصف المنصور بالبخل

- (١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء، عامة، وقد طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ المشرق الهولندي فان فولتن Van Volten، ثم قلده المتهاوتون على سرقة المطبوعات في مصر. وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشامًا هذا "دخل حائطًا ببستانا له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعه أصحابه . فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقطع هذا ، وأغرس مكانه الزيتون . " فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه ، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضا على بخله ، حتى إذا جاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلا إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام ، ونعنيها بقول هشام لقيم البستان : " إقطع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئا " . ولم يذكر الجاحظ شيئا من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخلاء .

- (٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيرا عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالاختصار ولكنه لم يستمه ولم يشر إلى كتابه ، فكان مثله كمثل المسودى ونفر كثير من المؤرخين والمثاقدين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتجنيله ذكر اسم الجاحظ ، فقال في صفحة ١٠٢ مانصه : "قال الجاحظ : ربما وصف الأغنياء المنصور بالبخل ، وليس إلا" . وكذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وقرق على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف . " ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نهبك باختصار ونعنيها بهذه العبارة : " قال الجاحظ : فهل يجوز أن يعدن فعل هذا الفعل بخيلا ؟ "

١١٧

أَحْتَجْنَا إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَهْلِ هَذَا، لَمْ يَكُنْ لَدِيكَ مَعْنَى وَلَا لَتَشَاغُلَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ. وَكَيْفَ
يَكُونُ الْمَنْصُورُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ
وَلَا مُلُوكِ الْأُمَمِ وَصَلَ بِأَلْفِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرُهُ ^(٢)! وَلَقَدْ فُزِقَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ^(٣) وَالْمَدَائِنِيُّ. وَحَدَّثَنِي بَعْضُ
أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ ^(٤) قَالَ: دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ

(١) ص: ولواحتجنا.

(٢) الْمَنْصُورُ هُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ أَعْطَى أَلْفَ أَلْفٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَمُوته الْأَرْبَعَةِ (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)
وَمَا يَدْخُلُ فِي مَكَارِمِ الْمَنْصُورِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَنشَدُوهُ مِنْ رِثَاءِ جِهَابٍ، فَأَسْتَحْسَنَ أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ
الْجِهَابِ وَظَهَرَهُمْ وَأَمَرَ لِأَحَدِهِمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَعْطَى الْبَاقِينَ أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ (ذِيلُ الْأُمَمِ لِلْقَالِ ص ٤١).
وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ فَقَالَ: يَا بَيْعَ لَا يَصْرَفُ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ،
فَحُلِّسَتْ مَعَهُ (ذِيلُ الْأُمَمِ لِلْقَالِ ص ٢٢٨).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَتِيبٌ مِنْ بَنِي حَرَمٍ فَذَكَرَ لَهُ مَا نَعَلَهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِقَوْمِهِ وَأَنشَدَهُ شُعْرَاءَ الْأَحْوَصِ كَانَ سَبِيحًا فِي حَرَمَانِهِمْ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ مِائَتَيْ سَنَةٍ. فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ بِرَدِّ ضِيَاعِ آلِ حَزْمٍ عَلَيْهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ غُلَّتَهُمَا.
فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ. وَتَقْسِيمِ أَمْوَالِهِمْ بَيْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَلَى التَّامِّحِ، وَبَنِي مَاتَ مِنْهُمْ وَفُزِقَ عَلَى وَرَثَتِهِ.
فَأَنْصَرَفَ الْقَتِيبُ بِمَا لَمْ يَنْصَرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)

(٣) سَمَاءُ فِي مُحَاسِنِ الْمُلُوكِ "يَزِيدُ".

(٤) كَانَ الْأَمِيرُ عُمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ عَلَى حَرَسِ الْمَنْصُورِ. فَلَمَّا مَاتَ سَنَةَ ١٤٠ فِي فِتْنَةِ الرَّائِدِيَّةِ، اسْتَعْمَلَ
الْخُلَيْفَةُ أَخَاهُ عَيْسَى هَذَا عَلَى حَرَسِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ. وَهَنَالِكَ آبَنُ نَهْيَكٍ آخِرَ اسْتَعْمَلِهِ الْمَهْدِيُّ وَأَحْرَمَهُ بِضَرْبِ
بُشَارِبِينَ بِرَدِّ حَقِّ قَتْلِهِ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَانَ بْنِ نَهْيَكٍ فَقَدْ قَتَلَهُ الرَّشِيدُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْكِي عَلَى قَتْلِ جَعْفَرِ الْهَرَمِيِّ =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فإين هي؟ قلت: أنفقتها الجرة في مأتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مأتمه ألف دينار! يا أنجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهدي. فندوت قليل لي: معك بقال؟ فقلت: لم أومر بإحضار بقل ولا غيره، ولا أدري لِمَ دُعيتُ. قال: فأعطيتُ ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرتُ أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلتُ. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد على با كفائهن حتى أزوجهن.



== وعلى ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذته الشراب، يقول لغلامه: هايت سيني! فيسله ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا تجلن ثارك، ولا تكلن قاتلك! ثم عليه أبه عثمان الفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ان الأثيرج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "المحاسن والمساوي" رواية أخرى في وشاية الولد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢).
وأما لفظ "نهيك" فهو "مشتق من النهاكة وهي الجرأة والإقدام يقال: إتهك فلان فلانا إذا نال من جرطه وشتمه. ومنه: آتباك المحارم، ونهكتك الحش إذا أخسرت به، وأنهكتك عقوبة إذا أوجده ضرباً."
(الأشعراق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

١٥

(١) هذا القلق كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تقلبت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "خونده" "خاتون"، "آدر (جمع دار)" وهذا اللقب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي عصرنا هذا نقول: "حرم". و"هانم" رهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

٢٠

منهم . قال : فغلبت عليه بثلاثة من ولد العنكي ^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عمن .
فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صداقهن من ماله .
وأمرني أن أشتري بما أمر لمن ضياعاً يكون معاشهن منها . ^(٢)

فهل سيع هذا الجاهل الخائن ^(٣) يمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
نذكر نحاسن المنصور على التفضيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .
وقلنا استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إيثاراً للتقليد . إذ كان أقل
في الشغل وأدلى على الجهل وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفوناً والنحيف ذا فضائل ؛ وتفضل الطويل
على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو ؛ وتفضل راكب الدابة على
راكب البغل وراكب البغل على راكب الجمار ، أقنصاراً على التقليد إذ كان أسهل
في المأثني وأهون في الاختيار .



ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ؛ وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

الآداب
في اعتلال الملك
ونظام التشرفات

(١) الظاهر أن العنكي المذكور هنا هو مقاتل بن حاتم العنكي الذي استخلفه المنصور على حران ؛ وقد حاصره
بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ و ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حرفاً . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب : المسائن ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : آثرنا .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : مؤوفا . [أي ذا آلة وعامة] .

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها^(١) ، فلم تسلم عليه فتوجهه إلى ردة السلام ؛ فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيراً موبخاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدها الثالثة ، فكان حفظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوه وتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبأحرى ينبغي أن لا يبرح^(٢) فيأه سيده ومالكه ، أنتظاراً لإفاقته من علته وحضاً عن ساعات مرضه .

﴿١٢﴾



ومن الحق على الملك تعهد بطائفة وخاصته بجوائزهم وصلاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاتهم ، ولا يخرج أحداً منهم إلى رفع رقيقة أو إذكرار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) ص : يجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ ص ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) ص : ويحصى .

سنة ملوك
ساسان في الجوائز

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر الرجل من خاصّته ويطانته تقديرًا وسَطًا بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كُلّها، وحوائجه خاصّها وعامّها . فإذا كان انتقدير - على الجهة التي وصفنا - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنّزاله^(٢) ونفقاته وحوائجه . ويقول له الملك :

”قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدّتها هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك؛ وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شئ أفدّته^(٣) بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تأكّدت . فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهورًا لنواب الزمان وتخرّم الأيام وأنقلاب الدُّول وحوادث الموت . ولتكن مؤنّك وكُلّك على خاصّ اموالنا .“

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطا لزمانه مبهجا يتعمّ ملكه مسرورا بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال .

(١) الأنزال (جمع نزل) : القوم التازلون على الإنسان ، أو مأهبي للضيف أن يزل عليه ، كما في تاج العروس .

(٢) صه : أخذتها .

(٣) صه : أخذته .

(٤) سه : وحوادث الأيام والموت . صه : وحوادث المون .

(٥) صه : وكُلّك .

(٦) في صه : ”مستشطا“ . وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام ، لذلك أصلحناها بما آفتضاه الحال . وهي من الكلمات التي تفرّد بها صه .

(٧) صه : بما كفي من التذكار وشكر الحال .



ومن حقَّ الملك هدايا المهرجان والتَّيروز^(١).

هدايا المهرجان
والتَّيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنَّهما فصلًا السَّنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد، والتَّيروز إذنٌ بدخول فصل الحرِّ. إلا أن في التَّيروز أحوالًا ليست في المهرجان. فمنها استقبالُ السَّنة وافتتاحُ الحراج وتوليةُ العمال والاستبدال وضربُ الدراهم واندنانير وتذكية بيوت النيران وصبُّ الماء وتقريب القربان وإشادة البنيان^(٢) وما أشبه ذلك^(٣).

فهذه فضيلةُ التَّيروز على المهرجان.

ومن حقَّ الملك أن يُهدى إليه الخاصَّة والحامَّة.



والسَّنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرَّجل ما يُحبُّ من ملكه، إذا كان في الطبقة العالية. فإن كان يُحبُّ المسك، أهدى مسكًا لا غيره؛ وإن كان يحبُّ العنبر،

(١) كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السَّنة.

(٣) صه: والأخذ بالاسفند. [والذى فى المعجم الفارسى العربى الإنكليزى لرتشارد صُن أن الإسفند هو أسمى اليوم الثالث من الخمسة الأيام التى يضيفها الفرس لآخر الشهر الثانى عشر من السَّنة. ولما كان الشهر عندهم ثلاثين يومًا فهم يضمُّون خمسة أيام على آخر الشهر من السَّنة ليَجعلوها معادلةً للسَّنة الشمسية. وربما كان الملاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالقُرس فى ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية تقلها الملاحظ عن آيينهم، بنير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة

أهدى عنهما؛ وإن كان صاحب رزة وليسة، أهدى كسوة وثيابا؛ وإن كان الرجل من الشجعاء والفرسان، فالسنة أن يهدى فرسا أو رجا أو سيفا؛ وإن كان راميا، فالسنة أن يهدى ثيابا؛ وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة؛ وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها وبصلها في يد حرير صفي وشرحات فضة وخيوط إبريسم وخوايم عنبر ثم وجهها.

(١) ص: صاحب كسوة وثياب.

(٢) ص: "أصحاب المال"، [ولها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في ص، صه هكذا (موايد)، فوجدناها في شفاء الغليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا: "موايد" وفسرها بقوله "بهايا في شعر الفرزدق - عرب" (ص ٢٠٨) ولكن النسخ أو الطابع جعلها بالناء المثناة الفوقية بدلا من النون، وهي واردة على مصتها في كتاب "المعرب من الكلام الأجمعي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألمان في سبخار بمدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها بقول الفرزدق.

"تراج موايد عليهم كثيرة * شذلتها أيديهم بالعواقي".

وقد رأيت هذا البيت في تصيدة طويلة في مدح عمر بن هيرة الفزاري، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسيو بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠. (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الرشح في كتابها الدال المهملة بدلا من المعجمة، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالا عند التعريب (مثل أستاذ، تلميذ، فالودج، فولاذ، بغداد، كلواذ، مروالريذ الخ). وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانیدن" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالا جريا على عاداتهم في التعريب.

(٤) ص: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَل مَنْ أراد أن يترنَّ بفضل نفقاته أو بفضل عُمَلته أو أداء أمانته.

وكان يُهدى الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والبالكورةُ من الخَضِرَاوات.

- ٥ وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثرنه ويفضلهن كما قدمنا في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويُسرُّ بها - أن تُهديها إليه بأكل حالاتها وأفضل زيتها وأحسن هياتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها على الملك أن يُقدِّمها على نسائه ويخصَّصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصَّته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.

١٠

ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تُعرض عليه وتقوم قيمة عدل.

- فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة. فإن كان صاحبها ممن يرغب في الفضل ويذهب إلى المرج ثم نابتة نائبة من مُصيبة يعصاب بها أو بناء يتخذُه أو مادبة يادبها أو عرس يكون من تزويج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلها، نظرًا إلى ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجلٌ رعى هذا وما أشبهه ويتعهده)، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أضعفت له ليستعين بها على نائبته.

(١) ص: يؤثر به وبفضيلته.

(٢) سم: يمجده.

(٣) في سم: يمجدها. وليست في ص.

١٢٤

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو تُفَاحَة أو أُرْجَة ، فإن تلك الهدية إنما قدمها لتُثبت له في الديوان ، ويُخبر الملكُ إن نأبته نأبته . فعلى الملك إعانتته عليها ، إذا كان من أساورته ويطائته أو محدثيه . فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسابة أو درهما أو أُرْجَة أو تُفَاحَة ، أمر الملك أن يأخذ أُرْجَة فتُمَلَأَ دنائير منظومة ويوجّه بها إليه . وكان لا يعطى صاحب التُّفَاحَة إلا كما يعطى صاحب الأُرْجَة . وأما صاحب النُسابة فكانت تخرج نُسابته من الخزانة وعليها اسمه ، فتُنصَبُ ويوضعُ بإزائها من كِسوة الملك ومن سائر الكساء . فإذا أُرْتفعت حتى تُوازى نُصَل النُسابة ، دُعِيَ صاحبها فدُفِعَتْ إليه تلك الكِسوة .

٥

وكان من تقدّمت له هدية في النيروز والمهرجان (صُفِرَتْ أم كُبرَتْ ، كَثُرَتْ أم قَلَّتْ) ، ثم لم يُخْرَجْ له من الملك صلة عند نأبته تنوبه أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويذكر بنفسه ، وأن لا يفصل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة . وإن غفل عن أمره بعارض يَحْتُثُّ ، فإن ترك ذلك على عهد ، فمن سنة الملك أن يحرّمه أرزاقه لستة أشهر ، وأن يدفعها إلى عدوّ ، إن كان له . إذ أتى شيئا فيه شين على الملك موضوعة في المملكة .

١٠

١٢٥

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرّون بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتُفَرَّقُ كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس ، على مراتبهم .

١٥

وكانوا يقولون : إن الملك يستغنى عن كِسوة الصيف في الشتاء ، وعن كِسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاق الملوك أن تُنَجَّبَ كسوتها في خزائنها ، فتساوى العامة في فعلها .

٢٠

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والمُلَحَم. ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففُزِقَتْ. ^(١)

- ولا نعلم أن أحدا بعدهم آتفتى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإنه سمعت من محمد ابن الحسن بن مُصْعِبٍ يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في نرائنه ثوبا واحدا إلا كساه. وهذا من أحسن ما حيى لنا من فضائله.

مير مسلم اقتدى
لفرس في تفريق
كسوته



ومن أخلاق الملوك اللّهو.

- غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتا واحدا، وأخذ نفسه بذلك، فإنه إذا فعل ذلك، ^{١٠} استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، خرج به الهو من إبه حتى يجعله جدا لا هزل فيه، وحقا لا باطل معه، وخُلُقًا لا يمكنه إلا انصراف عنه.

هو الملوك



وليس هذا صفة الملك السعيد.

- ومن أدمن شيئا من ملاذ الدنيا، لم يجذ له من اللذة وجود القريم النهم المشتاق. ^(٣) وهذا قد نراه عيانا. وذلك أن اللذ الطعام وأطيبه ما كان على جوع شديد؛ ^{١٥} واللذ الجماع وأطيبه، إذا أشتت الشبق وطالت العزبة؛ واللذ النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهر.

ترك الإدمان
في الملاذ

(١) ضمه : ثياب سابور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) صم : اللذة وجودة العلم وجودة النوم.

(٤) صم : الغربة.

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا .

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتًا واحدًا من اليوم واللييلة ، لهذه الفضيلة التي فيها .

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساما . فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله ، وصدره لرعاياه وإصلاح أمرها ، ووسطه لأكله ومنامه ، وطرّفه للهو وشغله . وأن لا يثابر على إدمان الشغل فى كلّ يوم . وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها ، فلا يجد للهولته ، ولا للنعيم موضعه الذى هو به .



سيرة الملوك
والخلفاء فى الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب فى كلّ ثلاثة أيام يوما ، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور . فانهم كانوا يذمنون الشرب فى كلّ يوم .

وكان ملوك العرب (كالنعمان) وملوك الخيرة وملوك الطوائف ، أكثرها يشرب فى كلّ يوم ولييلة مرة .

وكان من ملوك الإسلام ، من يذمن على شربه ، يزيد بن معاوية . وكان لا يمتسى إلا سكران ، ولا يصبح إلا مخمورا .

وكان عبد الملك بن مروان يسكر فى كلّ شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء هو

(١) لعل الصواب : الأصغر . (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩ ، وصفتة ١١٨ من هذا الكتاب) .

(٢) صه : فى كلّ جمعة يوما ولييلة

(٣) صه : عبد الله .

أوفى الماء، ويقول: ^(١) "لَمَّا أَقْصَدَ فِي هَذَا إِلَى إِشْرَاقِ الْعَقْلِ، وَتَقْوِيَةِ مُنَّةِ الْحِفْظِ، وَتَصْفِيَةِ مَوْضِعِ الْفِكْرِ." ^(٢) غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ آخِرَ هَذَا السُّكْرِ، أَفْرَغَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي أَعْضَائِهِ مِنْهُ شَيْءٌ. فَيُصْبِحُ خَفِيفَ الْبَدَنِ، ذَكِيَّ الْعَقْلِ وَالذَّهْنِ، نَشِيطَ النَّفْسِ، قَوِيَّ الْمُنَّةِ.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا سمح غناء.

^(٤) وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمتان اللهو والشرب. ^(٤) فأما يزيد بن الوليد، فكان دهره بين حالين، بين سُكْرِ وَتَحَارٍ، وَلَا يُوجَدُ أَبَدًا إِلَّا وَعِهِ لِاحْدَى هَاتَيْنِ.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عَشِيَّةَ الثَّلَاثَاءِ وَحْدَهَا، دُونَ السَّبْتِ. ^(٥)

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية وتصفية.

(٣) ص: آخر حلة السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

* وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.^(١)

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وربما قدم أيامه وأجرها. على أنه لم يره
أحد قط يشرب ظاهراً. إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه.^(٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم أدمن الشرب عند خروجه
إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.^٥

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه. غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة
ولا يومها.*



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب. ١٠

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة. فإذا نزعه
لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم
يلبسه بعد.^(٣)

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان ١٥

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص ٥.

(٢) وأظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) ص ٥ : روثقه. وبعض ما نرى. [ولعله : وبعض بهائه روى]

وَقَبَازٌ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُمِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ خَاصَّةً، لَا يُحَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُخْتَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتَبْدَأُ بِمَنْفَعَةٍ آخَرٍ .

وَكَانَ مَمْلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُغْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ (١١٦)
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلْيَانُ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يُزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . وَالْوَلِيدُ بْنُ يُزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِيَّ وَالْهَادِي
وَالرَّشِيدَ وَالْمُعْتَصِمَ وَالْوَائِقَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا نَبْشَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوْبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمَمْلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السَّنَتَيْنِ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَبِإِثْرِ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا (١١٧)

(١) أَيْ مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي صَدِّ : مَرَّاتٍ .

(٢) هُوَ رِدَاءٌ مِنْ نَزْرِ مَرْتَبٍ لَهُ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دَوْزِي Dozy فِي "مَعْجَمِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) سَمَ : إِعَادَةٌ .



تطيب الملوك

وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّ الغالية تختلف^(١).

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبثها في ثوبه.

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية فتضوّعت منه وعلقت بثيابه، أمر بصب ماء الورد على رأسه حتى يسيل، فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.

❦

فأما من كان لا يمسّ طيبا مادام يحسد عبق الطيب في ثيابه: فاردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن زبرد وكرسي أبروز وكرسي أنوشروان؛ ومن ملوك العرب: معاوية وعبدك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]؛ ومن خلفاء العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون.

وكان المعتصم قلما يمسّ الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتته على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدام السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّ من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، بخار. وكذلك غلّك بها لحيتي، شدد للكمة. صحاح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الشهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه." [أنظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص: الماوردي. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب المسمى ونسبوا إليه فقالوا: الماوردي].



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالترجمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

زيارة الملوك
تكرما لرحالهم ،
وأنواعها

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتقع وتتفق بسؤال المزور الملك وتلطفه في ذلك . ^(٢)



- (١) من هذا القيل ما تفضل به مولانا الخلدوي المظلم الحاج عباس حلمي الثاني على الأسوف عليه
بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقا ، بعد أن اغتالته يد أجنبية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يتم المستثنى (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تنازل بالتوجه إلى
دار الفقيه بالقبة في القاهرة ، عقب ماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وواسى بنفسه أولاد القتل وقرباته .
١٠ تخفف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته .

- ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القيل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجوامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اختياله رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر ، وأعطى به الأتابكي سيف الدين
شيوخو العمري (وهو أول من تلقب باسم أمير كبير ، وفات وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
مفتشاً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رمق . وهناك ضمدوا جراحاته . فزل السلطان من القلعة في اليوم التالي .
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وواسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة . فاحتفل السلطان بمجازاته وحضرها بعمره وصلى عليه قبل دونه . (راجع ابن

إبراهيم ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في سـه ، صـه : تلفظه .

- وربما رَفَعَ المَلِكُ مَرْتَبَةَ الوَظِيرِ وَخَصَّهُ وَقَدَّمَهُ عَلَى سَائِرِ بَطَانَتِهِ، فَيَكُونُ مِنْ حِجَلِ الوَظِيرِ أَنْ يَتَعََالَ فِي عَوْدِهِ المَلِكُ، فَيُظْهِرَ لِلْعَامَّةِ مَنَزَلَتَهُ عِنْدَهُ وَتَكْرِمَتَهُ إِيَّاهُ وَإِيثارَهُ لَهُ .
- وأيضاً، فَقَلَّ مَلِكُ سَالِهَ وَظِيرُهُ أَوْ صَاحِبُ جَيْشِهِ أَوْ أَحَدُ عِظَمَائِهِ زيارَتَهُ إِلَّا أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَ[لَا] سِيَّماً إِذَا عَلِمَ أَنَّ غَرَضَهُ فِي ذَلِكَ الزِيَادَةُ فِي المَرْتَبَةِ وَالتَّنْوِيهِ بِالذِّكْرِ .
- فَإِذَا كَانَتِ الزِّيَارَةُ مِنَ المَلِكِ عَلَى أَحَدِ هَذِهِ الأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، فَهِيَ مَنَزِلَةٌ كَانَتْ صَاحِبُهَا يَحَاوِلُهَا فَبَلَّغَهَا، وَأُمْنِيَّةٌ طَلِبَهَا فَأَدْرَكَهَا .
- فَأَمَّا الزِّيَارَةُ لِلتَّعْظِيمِ، فَإِنَّهَا لَا تَقَعُ بِسُؤَالٍ وَلَا بِإِرَادَةِ المَزُورِ . إِذْ كَانَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ وَظِيرٍ وَلَا شَرِيفٍ أَنْ يَقُولَ لِلْمَلِكِ : زُرْنِي لِتَعْظُمَنِي، وَلَتَرْفَعَ فِي النَّاسِ مِنْ ذِكْرِي وَقُدْرِي .
- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ المَلِكِ أَبْتَدَاءً، فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ تِلْكَ أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الوُزَرَاءِ، وَأَفْضَلُ دَرَجَاتِ الأَشْرَافِ .

- (١) سـه : وَفَرَّبَهُ .
- (٢) [أَنْظُرِ الحَاشِيَةَ ٣ ص ٤٥ مِنْ هَذَا النِّجَاحِ] .
- (٣) صـه : بِأَمْلِهَا .
- (٤) يَدْخُلُ فِي هَذَا البابِ مَا تَكْرَمُ بِهِ أَيْضاً التَّخْدِيرُ المَعْلُومُ الحَاجَّ عَبَّاسَ حَامِيِ الثَّانِي عَلَى عِبدِهِ وَصَنِيْعَتِهِ، وَغَرَسَ نَعْمَتَهُ، وَخَادِمَ دَوْلَتِهِ، مُحَمَّدَ سَعِيدَ بَاشَا رَئِيسَ مَجْلِسِ النِّظَارِ وَنَاطِرِ الدَّخْلِيَّةِ الحَالِيَّةِ . فَقَدْ زَارَهُ بِمَنَزَلِهِ فِي رَمَلِ الإِسْكَندَرِيَّةِ فِي ١٥ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٣٢٩ (٨ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ١٩١١) . وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ مَرَّتَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ : مَزِيَّةَ التَّكْرِيمِ وَمَزِيَّةَ العِيَادَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الجَاحِظُ . وَلَقَدْ كَانَتِ هَذِهِ الزِّيَارَةُ عَلَى غَيْرِ أَنْتِظَارِ البَتَّةِ .
- وَكُنْتُ حَاضِراً لَهَا فِي دَارِ الوَظِيرِ، وَهِيَ لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ . لِأَنَّهُ قَبْلَ تَشْرِيفِ المَلِكِ بِهَنِيَّةٍ، كَانَ بِمَلَابِسِ نَوْمِهِ . فَهُوَ إِلَّا أَنْ فَاجَأَنَا الخَبْرُ بِالتَّطْفُونِ، بِمَشْرَاقِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الجَلِيلَةِ . وَقَدْ كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَقَاقَتِهِ .
- وَذَلِكَ لِعَمْرِى يَشَابُهُ كَثِيرًا مِنَ الأَيَادِي البِيضَاءِ الَّتِي أَسَدَاهَا الخُلَفَاءُ وَالسُّلاطِينُ فِي مِصْرَ إِلَى رِجَالَاتِ دَوْلَتِهِمْ . أَكْتَفَى بِذِكْرِ مِثَالِ وَاحِدٍ يَضَارِعُ هَذِهِ الأَكْرَمَةَ . وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ قَايِنَبَايَ الشَّهِيرَ بِمَآثِرِهِ الجَلِيلَةِ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ وَالأَدَبِ وَالفَنُونِ الجَلِيلَةِ نَزَلَ مِنْ قَصْرِه بِالقَلْعَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ٨٧٣ هـ لِزِيَارَةِ الأَمِيرِ يَشَبَكِ الدَّوَادَارِ الكَبِيرِ، بِمُنَاسَبَةِ التَّوَلُّعِ الَّذِي حَصَلَ فِي جَسَدِهِ . وَكَانَ هَذَا الأَمِيرُ قَدْ جَمَعَ فِي يَدِهِ أَكْبَرَ وَظَائِفِ الدَّوَلَةِ عَلَى ذَلِكَ العَهْدِ، وَهُوَ :
- الِاسْتَادَارِيَّةُ، وَالدَّوَادَارِيَّةُ، وَالْوِزَارَةُ، وَكُتُوفِيَّةُ الكَشَافِ . وَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ جَدًّا حَتَّى قَالَ فِيهِ أَمِينُ إِيَّاسٍ : "مَا أَظَنَّ أَنَّ هَذِهِ الوُظَائِفَ قَدْ جُمِعَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الأَمْرَاءِ قَبْلَهُ . " (أَنْظُرِ "بَدَائِعُ الزَّهْرِي" وَقَاتِعُ الدَّهْوَرِ" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨) .

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظمياً من عظمائهما
للتعظيم لا لغيره، أترخت الفرس تلك الزيارة، ونعرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن تؤغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لثلاث
تسغرة، ولا تمتهن^(٢). ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يسابه إلى غروب الشمس. فإن ركب كانت الرجالة مشاة أمامه،^(٣)
والركبان من خلفه، ولا يجلس أحد من حامته وخاصسته لجناية جناها، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجبه إليه ليرى فيه رأيه،^(٤)
ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في البيروز والمهرجانات على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من يادّن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا، وتكون مرتبته إذا قصد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سـه : "توغر" وفي صـه : "بوغر". يقال أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير
خراج، أو سمران يؤدى الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من المال (فاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذى أراد
الملاحظ، لقوله بعد ذلك بخمسة أسطر : "ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صـه : ولا تمتهن .

(٣) صـه : الرجال .

(٤) سـه : وعامة .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدًا لعلّة من هذه العلل التي قدّمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بمخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرسًا راعيًا بسرج مذهب وأداة تامة، فقدّم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن زذرجة. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كلّ ساعة خلعة مجددة، ويشتهي الزامرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لغلبة اللهو عليه وإثارة هواه.
 فأما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا ^(٢) *



ومن أخلاق الملك القعود للعامة يومًا في المهرجان، ويومًا في النيروز. ولا يحجب
 عنه أحدٌ في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ١٠

وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فيهيئ الرجل
 القصة، ويهيئ ^{مرشئ} الآخر الحجة في مظلمته، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه



(١) لعلّه: فنصرف. وبقية الكلام يدلّ على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدّر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر. ١٥

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضًا من منقولات الجاحظ عن آيين الفرس.

يَنْظِلُّ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَيَأْمُرُ الْمُؤَبَّدَ أَنْ يُوكِّلَ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ فَيَقْفُونُ بِيَابَ الْعَامَةِ ، فَلَا يُبْتِغِ أَحَدٌ مِنَ الدَّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ . وَيُنَادِي مُنَادِيهِ : ”مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ ؛ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ ، فَقَدْ أَذِنَ بِمُحَرِّبٍ مِنْهُ وَمِنَ الْمَلِكِ .“

التظلم من الملك
إلى القاضي

- ثم يُؤَذِّنُ لِلنَّاسِ وَيُتَوَخَّدُ رِقَاعَهُمْ ، فَيَنْظُرُ فِيهَا . فَإِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يَتَّظَلَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ ، يُدَيِّئُ بِهِ أَوَّلًا ، وَقُدِّمَ عَلَى كُلِّ مَظْلَمَةٍ . وَيُحْضِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَبَّدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرَبَدَ وَرَأْسَ سَدَنَةِ بِيوتِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُومُ الْمُنَادِي فَيُنَادِي : ”لِيَعْتَرِلْ كُلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ !“ فَيَمْتَازُونَ . وَيَقُومُ الْمَلِكُ مَعَ خَصْمِهِ حَتَّى يَجْتَنِيَيْنَ يَدَيِ الْمُؤَبَّدِ فَيَقُولُ لَهُ : ”أَيُّهَا الْمُؤَبَّدُ ، إِنَّهُ مِمَّنْ ذَنْبُ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ ! وَإِنَّمَا خَوَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى رِعَايَاهَا لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتُدَبَّ عَنْ بَيْضَةِ الْمَلِكِ جَوَرُ الْجَائِرِينَ وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ . فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ ، فَحَقٌّ لِيَنَّ دُونَهَا هَدْمُ بِيوتِ النِّيرانِ ، وَسَلْبُ مَا فِي النِّوَابِيسِ مِنَ الْأَكْفَانِ . وَجُلُوسِي هَذَا مِنْكَ - وَأَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ - يَشْبَهُ مَجْلِسَكَ مِنَ اللَّهِ غَدًا . فَإِنْ آثَرَتِ اللَّهُ أَثَرَكَ ، وَإِنْ آثَرَتِ الْمَلِكُ عَذْبُكَ .“ (٢) فَيَقُولُ لَهُ الْمُؤَبَّدُ : ”إِنْ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ سَعَادَةَ عِبَادِهِ ، أَخْتَارَ لِمَنْ خَيْرَ أَهْلِ أَرْضِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُمْ قُدْرَهُ عِنْدَهُ ، أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِكَ .“ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ خَصْمِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ . فَإِنْ صَحَّ عَلَى الْمَلِكِ ،

﴿١٤٤﴾

(١) سه ، ص ٧٧ : الدرر . [وأنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها ، وصفحة ١٧٣

منه أيضا] .

(٢) في ”محاسن الملوك“ أن الخلع هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي ، لا الملك . (ص ٣٩)

شئ أخذ به؛ وإلا حبس من آدعى عليه باطلاً، ونكّل به. وتؤدى عليه: "هذا جزء

- (١) في توارىخ الإسلام غرر كثيرة من هذا القليل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزراؤهم كانوا يساوون أقلّ الخصوم في مجلس القاضى ويجرى عليهم الحكم الشرعى كما يجرى على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبى طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذى أمام القاضى شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموى مع صاحب حرسه أمام القاضى في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاسم رجيل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوجيها معا إلى مجلس القاضى فسادى بينهما في كل شئ. وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوى ص ٥٢٥، وفيها وفيها عليها وقائع أخرى من هذا القليل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن أكرم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوى" ص ٣٢٥ "والمستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع يحيى شوع الطيب عند القاضى أحمد بن أبى دقاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضى "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبعد من ذلك كله ما جرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطى أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بوز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القليل. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل أستعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلمة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجوا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فاجتمع به ولأينه، وقال له: ما تريد منك شيئاً إلا أن تنكر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أراضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في راي وأنا في راي! والحمد لله الذي عاقبنا بما آبتلناكم به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نجر الدين عثمان بن شيخ الشيخ (وهو الذى كان إليه أمر الملكة) عهد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

مَنْ أَرَادَ شَيْئَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَلِكَةِ^(١)

- بناءً طلباً، وحبّيت تضرب هناك . فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين ، حكم بهدم ذلك البناء . وأسقط
نظر الدين ، وعزل نفسه من القضاء . ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان . وظن نحر الدين وغيره أن هذا
الحكم لا يتأثر به في الخارج . فاتفق أن يجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستنصر ببغداد . فلما وصل
الرسول إلى الديوان ، وقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له ، خرج إليه رساله : هل سمعت هذه الرسالة
من السلطان ؟ فقال : لا ، ولكن جئنيها عن السلطان نحر الدين ابن شيخ الشيخ ، أستاذ داره . فقال الخليفة :
إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فمن لا تقبل روايته . فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة ،
ثم عاد إلى بغداد وأداها . ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك ، وذكر
أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستحب عليهم ليت مال المسلمين . فبلغهم ذلك ، فغضبوا ، فخطب
عندهم ، وأحتمل الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً . وتعلّلت مصالحهم لذلك
وكان من جملتهم نائب السطة ، فاستشاط غضباً . فاجتمعوا وأرسلوا إليه . فقال : نعمد لكم مجلساً ، ونأدى
عليكم ليت مال المسلمين ! فرفضوا الأمر إلى السلطان ، فبعث إليه ، فلم يرجع . فأرسل إليه نائب السطة
بالملاطفة ، فلم يند فيه . فأتى نائب ، وقال : كيف ينادى علينا هذا الشيخ ، وديعنا ونحن ملوك الأرض !
والله لأضربن بسيفي هذا ! فركب بنفسه في جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلوق في يده . فطرق
الباب . فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السطة ما رأى ، وشرح له الحال . فأكثرت لذلك . وقال : يا ولدي
أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ! ثم خرج . فحين وقع بصره على النائب ، يست يد النائب وسقط السيف
منها ، وأرعدت مفاصله . فبكى وسأل الشيخ أن يدهوله ، وقال : يا سيدي ، إيش تعمل ! قال : أنا أأدى عليكم
وأيحكم ! قال : فقيم تصرف ثمتنا ؟ قال : في مصالح المسلمين ! قال : من يقبضه ؟ قال : أنا ! فقم
ما أريد ونأدى على الأمراء واحداً واحداً ، وغالى في ثمنهم ولم يعهم إلا بالتمن الوافي ، وقبضه وصرفه في وجوه
الخبر . (حسن المحاضرة) ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة) . وقد روى
السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في " طبقات الشافعية " (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧)
(١) ص : أَرَادَ شَرَّ الْمَلِكَةِ وَالْقَدَحَ فِيهَا بِالْبَاطِلِ . [اقتطع صاحب " محاسن الملوك " هنا سياق الكلام ،
وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر ، وهذا نصاً : " وذكر أن أحد خلفاء الطووين القاطنين فعل
مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاء محامياً لنصم ولم يترك له القاضي عند حركته للعود بين يديه
وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به ، وثب مقبلاً للأرض ، جالساً دون مجلس
الخليفة . فقال : والله ! لو تحرك لي أولاً ونرج عن حكم الحق ، لضربت عنقه "]

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألصقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُنصفُ منها إلا لئلا يطمع طامعٌ في حَيْفِي. فَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ حَقٌّ فليُخرجْ إلى خصمه منه، إتما بصلح وإتما بغيره."

(١) فكان أقربُ الناس إلى الملك [في الحق] كأبائهم، وأقوامهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرَّاً حتى ملكهم يزيد جرد الأئيم، ودوالس الحس الباركر. فغير سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تتنصف من الراعي، ولا للسوقة أن تنظلم من الملوك، ولا للوزير أن يساوى الرضيع في حق ولا باطل."

١٠ فذكرت الأعاجم في كتبها وسيير ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فارس مسرج ملجم، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولا أكل أداة. فاهوى نحو يزيد جرد الباركر. فقامت إليه الأساورة

المقوبة الريا:
للك الأئيم

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضي وبالطرف الواحد تقريباً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

١٥ (٢) هكذا في سـ. والمشهور أنه يسمي يزيد جرد المليم الأئيم، ويزيد جرد الأئيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أطلع غرراً أخبار الفرس وسييرهم للثعالبي صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في صـ.

(٣) سـ: يستأدى.

(٤) صـ: يزيد جرد الأئيم

لتدفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَحِمَهُ فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك . فقام إليه يَزْدَجِرْدُ وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

فدنا منه حتى أخذ بِمَعْرَفَتِهِ ، فَنَزَلَ له الفَرَسُ وتطامنَ حتى ركبهُ . فلما جال في متنه ، خَطَا به خُطَاً ، ثم رَدَهُ إلى قرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده ، مُقْبِلًا ومُدْبِرًا . حتى إذا وجد الفَرَسُ منه مَمَكًا وَغَفْلَةً ، رَحِمَهُ فأصاب حَبَّةً قَلْبِهِ ، ففقتله . فقالت الفُرسُ : هذا مَلِكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد ، لِمَا ظلم الرعية وعاث في الأرض .



وكان بهرام جُود بن يزدجرد في حجر النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بأداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفُرسَ مَلَكَتْ عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنفض النعمان بن المنذر واستنجد به . وقال : " إني لى عليك حقاً ، إذ كنتُ أحدَ أولادك . وإن أبي قد مات ومَلَكْتَ

ما صنعه بهرام جود
لأخذ ملك أبيه

(١) أى رفسه برجله أو برجله . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذى حافر ، وربما استعير لذي

الثلف . (تاج العروس)

(٢) أى فأهلكه . وفي صه : فأداره .

(٣) صه : بهرفه .

(٤) صه : حال .

(٥) صه : بثوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده الثعالبي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفاصيلها مع اختلاف .

(صفحة ٥٥١ - ٥٥٢)

الْفُرْسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمُلْكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَدَلْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ .
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : ” مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أَخْرَجُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لَتَقْوَى نَيْتُكَ ^(١) وَتَصِحَّ عَزَمَتُكَ . ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . ” قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

- ٥ . نَخْرَجُ النُّعْمَانَ مَعَ بَهْرَامٍ حَتَّى صَارَ بِالسَّدَّائِنِ ، وَبَلَغَ الْفُرسَ قَدُومَهُمَا ^(٢) . فَنَخْرُجُوا إِلَى
بَهْرَامٍ ، فَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثُ آلِ سَاسَانَ . قَالُوا : إِنْ أَبَاكَ سَامَنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَنَتِهِ ، فَأَنْفَرِدَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيدِهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنْ جَوَرَ أَبِي وَظَلَمَهُ لَا يُلْزِمُنِي لَأَمَّةٌ ^(٣) ، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا ^(٤) . وَأَتَمُّ لَمْ تَخْبُرُونِي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْذَمٍ . قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنْ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
يُمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلَ مِحْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِيَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرَكُمْ يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنَهُمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ . قَالُوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

(١) صه : مُتَكَ .

(٢) روى 'العمالي' هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من 'المحافظ' . (غرر أخبار العرس ص ٥٤٨ هـ) .

(٣) صه : لَا يُلْزِمُنِي لَأَمَّتِهِ .

(٤) صه : ذِمَّتِهِ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدين فهو أحق بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأئك ! فترجل بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في منطلقته . ودنا من الأسدين فأهوى نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به حتى قتلهما جميعا . وشد على التاج فأخذه من موضعه بفعله على رأسه .



فلتكنه القُرسُ أمرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) صه : وغدوا .

- (٢) جمعه طبرزيات [أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبره) ومعناها القأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حذان ، وكانوا يلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرّب المشارقة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فصار يبدؤ به فملوه "طبرزين" . قال في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للراشدي (ص ٩٠) مانصه "فخرج المعتد ويسده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برده" . وقال في "الحاسن والمساور" (ص ٥٩٣) . "وكان معه طبرزين فضربه به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات" .
- (وأنظرا أيضا تاج المروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي .)

- كذلك كان الشأن عند تاج المشارقة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانصه : "الطبر . وهو باللغة الفارسية القأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرز" . يعني الذي يكسر بالقأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أندمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيت منها روايت كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها ابن مياس في "بدايع الزهور في وقائع الدهور" مرات عديدة منها قوله : "وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مشياً عليه" (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : "خرج عليهم التركان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار" (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : "فلسا خرجوا بهم قطعهم بالاطبار قطعاً قطعاً" (ج ٣ ص ٢٦٩)

(١) وَعَدَلْ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانَ.
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سِرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقَتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِفَحْصِ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رُسْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْفَحْصِ غَمًّا قَدَمْنَا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلفاء
الذين اشتهرو
بذلك

وَلَمْ يَرَمَلِكْ قَطُّ كَانَ عَجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِيهِمْ وَأَوْضَعِيهِمْ: كَانَ



(١) رَوَى ابْنُ خَلْفَرٍ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَالتَّى قَبْلَهَا بِتَطَوُّلٍ كَبِيرٍ وَتَفْصِيلٍ كَثِيرٍ. (أُنْظَرِ "سُلُوكُ الْمَطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْإِتْبَاعِ" الْمَطْبُوعُ عَلَى الْخَرَجِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٠٨ هـ مِنْ صَفْحَةِ ١٠٠ إِلَى صَفْحَةِ ١٠٤؛ وَأَنْظَرِ تَرْجُمَتَهُ إِلَى الْإِنْكَلَبِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ بِيْشَلْ أَمَارِي الطَّلِيَانِي "Michel Amari، طُبِعَ لُونْدَرُو سَنَةِ ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: ودقيق.

(٣) ص: معرفة نفيه.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ^(١)، ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه ملك من السماء فيُخبره^(٢)، وما كان ذلك
 إلا لتيقظهم وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .

- فيقال إن الأُمم كلها، أولها وآخرها، وقد يمتها وحديثها، لم تخف أحدا من ملوكها .
 خوفا أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطّاب من
 خلفاء الإسلام^(٤) .

- فإن عمر كان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كالأمة يمت بات . به في مهاد
 واحد، وعلى وساد واحد . فلم يكن له في قطير من الأقطار .^{١٠} النواحي
 عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألقاظ من المشرق
 والمغرب عنده في كل مسمى ومُصْبَح . وأنت ترى ذلك في كُتبه إلى عماله وعمّالهم

(١) بفتح التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التمهيد الذي أورده الألباني في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تمحّصا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثبّ العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المفسد فيقالبه
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعارف ذلك، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيئته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣

١٤٥

حتى كان العامل منهم لَيْتِيْمٌ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَخْصَصَهُمْ بِهِ . فساس الرعية سياسة
(١) (٢)

أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .

(٣) (٢)

ثم آتفتي معاوية فعلة وطلب أثره ، فانتظم له أمره وطالت له مدته .

وكذا كان زياد ابن أبيه يتخذ فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر . وفيما يحكي
عنه أن رجلاً كلمه في حاجة له ، فتعرف إليه . وهو يظن أنه لا يعرفه . فقال : أصالح

الله الأمير ! أنا فلان بن فلان . فتبسّم زياد وقال : تتعرف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد

الذي عليك ، وهو فلان بن فلان . فبهت الرجل وأرعب حتى أُرعد (٤) وكاد يُغشي عليه (٢)
(٥) (٢)

وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والمجّاج بن يوسف .

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملّك المنصور . فكان أكثر (٦)

الأمور عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عرّف الولي من العدو والمُدّاحي من المسالم .
فساس الرعية وليسها ، وهو من معرفتها على مثل وفتح النهار . (٧) (٨)

(١) وأنظر ما وقع له مع نفر التين كانوا يثربون المزرغنية مع المرأة التي جاءها المخاض ،

(في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ رج ٢ ص ١١٤ و ١١٥)

(٢) روى ذلك في "الحسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردتها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ رج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "الحسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أي تملّى بها دهرًا طويلاً .

(٨) أنظر التفصيل الذي أوردته في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)



ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حَتَّى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أَشدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عنايةً وأحزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمون أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام. ^(١) خبر فيها عن عيب واحد ^(٢) واحد، وعن حالته وأموره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَينَتْ أَنَّ أَحَدًا من كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أَشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها فحوصًا حَتَّى بلغ من هذا الجنس أقصى حدّه ^(٣) وأخِرَ نهايته ^(٤) وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر سُئله في ليله ونهاره، إلا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ، قال: كَلَّمْتُهُ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

- (١) ص ٥٠ : حصر.
- (٢) كان للأُمود ألف مجوز وسبعائة . يتفق بين أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحبُّه ويُفضِّه ومن يُفْسِد حُرْم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتبه كلها . وكان يدور ليلا ونهارا مستترا . (محاضرات الأرائل)
- (٣) ص ٥٠ : علما . [وأهمل هذه الكلمة في "المحاسن والمساوي" وأستعمل صيغة مطلقة فقال : ولم يكن أحد من كان آنح . ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات .]
- (٤) هو المصعب أمير بغداد .
- (٥) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥ .
- (٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية وأنحاء المعجمة) ابن عميرة الأسدي . كان من ندماء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعب أمير بغداد .
- وأظن أيضا القصة التي رواها صاحب "الأنغى" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه ؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا النديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢) . وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتز على الله ، وقد تيف على التسمين . وقُبِضَ أبوه بعد أن عمر ٩٩ سنة .
- ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّد! مِنْ قِصَّةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَمِنْ حَالِهَا وَمِنْ فَعْلِهَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَمْ يَزَلْ يَصِفُهَا وَيَصِفُ أَحْوَالَهَا حَتَّى بُهِتَ.^(١)

[وَحَدَّثَ أَبُو الْبَرْقِ الشَّاعِرُ قَالَ: كَانَ يُجْرَى عَلَى أَرْزَاقَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أُنْشِدْتَهُ: "كَمْ عِيَالُكَ؟ تَحْتَاجُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى كَذَا وَمِنْ الْحَطَبِ إِلَى كَذَا." فَأَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ مَنْزِلِي تَمَا جَهِلْتُ بَعْضَهُ وَعَلِمَهُ كُلُّهُ.]^(٢)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي نَاحِيَتِهِ، قَالَ: رَفَعْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً أَسْأَلُهُ فِيهَا إِجْرَاءَ أَرْزَاقِ. فَقَالَ: كَمْ عِيَالُكَ؟ فِزِدْتُ فِي الْعَدَدِ. فَقَالَ: كَذَبْتُ! فَبُهِتْتُ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا نَفْسُ! مِنْ أَيْنَ عَلِمَ أَنِّي كَذَبْتُ! فَأَقَمْتُ سَنَةً لَا أَجْتَرِئُ عَلَى كَلَامِهِ. ثُمَّ رَفَعْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً أُنْصِرُ فِي إِجْرَاءِ أَرْزَاقِ. فَقَالَ: كَمْ عِيَالُكَ؟ فَقُلْتُ: أَرْبَعَةٌ. فَقَالَ: صَدَقْتَ. فَوَقَّعَ فِي حَاشِيَةِ رُقْعَتِي: يُجْرَى عَلَى عِيَالِهِ كَذَا وَكَذَا.

وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ كِتَابُنَا فِي إِسْحَاقٍ وَذِكْرِهِ، لَحَكِينَا عَنْهُ أَخْبَارًا كَثِيرَةً. وَهِيَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كَفَايَةً.

فَعَلِيَ الْمَلِكُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ بِالْفَحْصِ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَدَقِيقِ أَخْبَارِهِمْ، حَتَّى إِنْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَبِيتَ أَحَدِهِمْ وَمَقِيلَهُ وَمَا أَحْدَثَ فِيهِمَا، فَعَلَّ.

التمييز بين
الأولياء والأعداء

(١) يعني: من فصها كيت وكيت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكاير الكتاب.

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سيبويه: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الألبسي هذه القصة ونسبها للأموث. (المستعارف ج ١ ص ١٠٨)]. روى ذلك في "الحماسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "الحماسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "الحماسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان إلخ. وذكر القصة بتمامها وبجرونها. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تسكن قلوبها جلاله ملكها - ولو عبده الجن والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً^(١) عليها وأكثر بحثاً عن سرائرها، من أم الفريد^(٢)
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كُتب الأوائل في مواعظ الملوك وآدابها: بماذا تطول مدة الملك

“إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال:

أحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يعمل ولي عهد من ترضاه ويختاره رعاياه لآمن تهواه نفسه؛

والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، لفحص الموضع عن منام رضيعها.” ❦

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نرمدة طالبت ملكاً عربياً
ولا عجمياً قط إلا لمن لفحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على مثل وضح النهار.

(١) في سه: إشراف.

(٢) في سه: “سرايرها في الفريد”. [ولم يكن للجملة معنى أرضيه فقد صحصتها على ما هو في المتن ليكون
المعنى “أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وسكونه.” وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [يؤيد هذا التخرج قول الجاحظ بعد ذلك بستانس طور:
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية لفحص الموضع عن منام رضيعها.”]

(٣) في سه: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمته أمرٌ جليلٌ من فتقٍ أو قتلٍ صاحب جيش أو ظهورٍ عدوٍّ يدعو إلى خلاف الملة أو قوةٍ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها هو وبيجملها وسائر الساعات في تدبير مكايدة عدوه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شغله وفكره وفراغه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتفتي وحسن الظن بالأيام نصيباً.

فإن هذا عجز من الملك ووهن يدخل على الملك.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والعظام

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حاربها مثل هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفع وظائفها، واقتصرت على مائدة لطيفة تقرب من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم موبدان موبد^(١) والديربذ ورأس الأساورة. فلا يوضع عليها إلا الخبز والملح والتحل والبقل، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخباز بالزماورد في طبق. فيأكل كل

(١) في سه: والد موبذ. وفي صه: الرير. | وأنظر الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفا ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسمرجى.

(٣) قال عاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ما معناه "زماورد هو طعام يسمى لقمة القاضي، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً زماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "نساء الغليل" ما نصه: "وماورد، والعامة تقول زماورد. كلمة فارسية أسنعملها العرب للرقاق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة. ويسمى =

- منه لُقمة^(١)، ثم يرفع المائدة ويتشاغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره. ولا تزال هذه حاله حتى يأتيه عن ذلك الفتى ما يرقه، وعن ذلك العدو ما يُحِبُّ. فإذا أتاه، أَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ له طعامٌ مثل طعامه الأول، وأَمَرَ الخاصّة والعامة بالحضور. وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام المؤبد فتكلّم، ثم الوزراء بخبر من كلام الخطباء. ثم مدّ الناس أيديهم إلى الأطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بسط للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصّة في صحّته بحضرة الملك. وقعد صاحب الشرطة للعامة، كقعود الملك للخاصّة. ثم دعا بالمغنيين وأصحاب الملاهي.
- وكانوا يقولون: إِنْ حَقَّ شُكْرُ النعمة أَنْ يُرَى أثرها.

- بحرسان نواله؛ ويسمى زجس المائدة وميسر ومها. والقي في شرح القاموس في مادة (ورد) مماثل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزماورد دواء معروف، ووعده بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل.
- ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب "برهان قاطع" وكما يدل عليه استعمال الجاحظ. وربما رأى العرب التخفيف فحذفوا الباء من أول الكلمة. ولكن ذلك لا يجوز مع القول بأن برماورد من كلام العامة. ويكون هذا الطعام عبارة عما نسميه الآن (الكفتة). وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتَّخَذُ من الدقيق معجوناً بالسنن والسكر ثم يُقْلُ ذلك المخلوط على أقراص مستديرة لها صوامة رُجْمًا تكون فوقها قطعة من القشدة. ورأيت في "تخاطب مبادئ اللغة" لأبن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ما نصه: "الزماورد هو المهنأ والميسر. وقال بعض المتأخرين:
- أَكَلُ الْمَيْسَرِ مِنْ رَأْسَيْنِ، يَأْسَكُنِي * لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا سِيفَانٍ فِي غَمْدٍ.

وقد ذكر صاحب "الأعاني" هذا الطعام. (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في سمة لقما.

- (٢) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" باختصار ووقف عند هذا المكان، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون: "أسمعدُ الملوك من غلب عدوّه بالحيلة." (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمرء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرصوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة.] ^(١)

ما فعله معاوية
أيام صفين

وفما يذكر عن معاوية أنه قال: ما ذقت أيام صفين لحمًا ولا شحمًا ولا حُلومًا ولا حامضًا، ما كان إلا الخبز والجبن وخشن الملح [إلى أن تم لي ما أردته]. ^(٢)

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأسمت عليه

ويحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جارية تامة الحسن، شبيهة المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيب خيزران. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رديه علي. فوالت. فنظر إليها مقبلة ومُدبرة. فقال: أنت والله أمانة المتحنى. قالت: فما يمنعك يا أمير المؤمنين، إذ كانت هذه صفتي عندك؟ قال: بهت قاله الأخطل: قوم إذا حاربوا، شدوا ما زرعهم * دون النساء، ولو باتت بأطهار. ^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصان وتُخدم. فلما فتح عليه، كانت أول جارية دعاها. ^(٤)

ما فعله مروان
ابن محمد عند ظله
العباسيين

ويحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرًا لم يظأ جارية إلى أن قُتل. وكان إذا استهدفت إليه الجارية قال: إليك عني! فوالله لا دنوت من أثني

(١) هذه الزيادة من "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زناها في المتن. (ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦

(٤) آخر خلفاء بني أمية [أنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].

وَلَا حَالَتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوِيٍّ، وَنُحْرَاسَانُ تَرْجُفُ بِنَصِيرٍ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ! ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤)

(١) تَرْجُفُ بِنَصِيرٍ أى مضطرب به . وهو نصر بن سيار الذى ولّاه هشام بن عبد الملك إقليم نحرسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبى مسلم النحرسانى . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستنجد به بالأبيات المشهورة ، وهى :

- أرى خَلْسَ الرِّمَادِ وَبَيْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ .
فَابْتَ النَّارَ بِالْمُؤَدِّينَ تَذَكَّرُ * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَرْطَا الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَطْفُؤْهَا ، تَجِبْ حَرْبًا * مُشْرِقَةً يَشِيبُ لَهَا الْعِلَامُ .
أقول من التعجب : لَيْتَ شِعْرِي ! * أَلَا يَحَاطُ أَمِينَةُ أُمِّ نِيَامٍ ؟
فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَتَّخَذُوا نِيَامًا ، * فَقُلْ : قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرَى عَنْ بِحَالِكَ ثُمَّ قَوْلِي : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

وأشاره معروفه ، تراها فى "مروج الذهب" و"معارف" ابن تيمية و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبى الفداء و"الأخاني" وأبى خلدون و"معجم البلدان" .

- (٢) فى سه : "أبو مخزوم" . وهو مخزوم بن الناسخ . والإشارة هنا إلى أبى مسلم النحرسانى الذى كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور فى الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبى مجرم بدلا من أبى مسلم بمعنى أبى الذئب والإجرام . وقد بقى له هذا التبر فى الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله :

- زَعِمْتَ أَنْ النَّبِينَ لَا يَخْتَفِي ؟ * فَاسْتَوَيْ بِالْكِيلِ ، أَبَا مُجْرِمِ !
اشْرَبَ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ، * أَمْرًا فِي الْخَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : مَا غَيْرَ اللَّهِ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغِيرَهَا السُّدُ !
أَفَى دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاوَلْتَ غَدْرَهُ ؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكُودُ !
أَبَا مُسْلِمٍ خَوْفِي الْقَتْلَ فَأَتْلَحِي * عَلَيْكَ بِمَا خَوَّنَنِي الْأَسَدُ الْوُودُ !

وأنظر ابن خلكان فى ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) [وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب] . وأنظر "البيان والتهيين ج ٢ ص ١٥٥"

- (٤) تلخص ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودى هذه الحكاية ، فقال :
" وَأَقَامَ مَرْوَانُ أَكْثَرَ أَيَّامِهِ لَا يَدْنُو مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ قُتِلَ . وَتَرَاءَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَا دَنَوْتُ مِنْكَ ، وَلَا حَالَتْ لَكَ عَقْدَةٌ ، وَنُحْرَاسَانُ تَرْجُفُ وَنَصِيرُ بِنَصِيرٍ ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ " .
("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا ؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



مكيدة الملوك
في الحروب

. ومن أخلاق الملوك المكيدة في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودُ عاقبة ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربحَ ماله وحقنَ دماءَ جيوشه . وإن أُعيت الحيلُ والمكائدُ ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعدَ الملوك مَنْ غلبَ عدُوهُ بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يُحقِّقُ هذا ويؤكدُه بقوله : «الْحَرْبُ خِدْعَةٌ» .

١٠ . وليس لأحدٍ من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبارُ في ذلك عنهم كثيرة . ولكنَّا تقتصرُ من ذلك على حديثٍ أو حديثين .

فمن ذلك ما يُذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزدجرد ، بلغه أن ناحية من نواحي أطرافه قد أُخذت ، وغلبَ عليها العدو . فاستخفَّ بها وأظهرَ الاستهانة به حتى قوى أمرُ ذلك العدو واشتدتْ شوكتُه . فكان إذا أُخبرَ بحاله ، استخفَّ بأمره وصغُرَ من شأنه . حتى قيل إنه قد زحفَ إليك ووجهَ جيوشه إلى قراردارك . فقال : دَعُوهُ فليس أمرُه بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاوُّنه وتراخيه عن أمرِ عدوِّه وأستهانتَه به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قرُبَ هذا العدو من قراردار الملك ، وأمرُه كلُّ يوم في عُلو . فقال بهرام : دَعُوهُ ، فإنا أعلمُ بضعفه وصغُر شأنه منكم . وأقبلَ على اللهو واللعب ، وترك

- (١) ما يصب عليه من الصمد لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
الوزراء ورؤساء أهل المملكة اجتياحه ، اجتمعوا فتأمروا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه
وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والهلكة . وبلغه الخبر ، فأمر مائتي جارية من
جواريه ، فليسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
الريحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فليسن من ثيابهن المصبوغة ، وركبن
قصبته . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رأهم ، صاح بالجوارى . فمررن بخيظرن ،
وبهرام خلفهن يغني ، وهن يغنين معه ، ويصحن ويعلن . فلما رأى ذلك وزراؤه
يأسوا منه واجتمعوا على خلعه . وبلغه الخبر ، فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
لك الويل إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تحلق رأسه ،
تخلقه . ودعا مئذنة صوف فتدزعها ، وخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشاب .
وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكن في منار على ظهر الطريق . فجعل لا يمر به طائر
في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فتربه صاحب
طليعة العدو ، فنظر إلى أمره بهت له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
وإن مولاي غضب على - وكان لي تحسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وساق رأسي
وألبسني هذه المئذنة وأجاعني . ولما طلبت غفلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده براء العطف .

(٢) في سه "رحاق" وقد اعتدت رواية صه .

فأكله . فلما أعجبنى كثرة ما صيدت، أردت أن أرمى بكل ما معى من هذه السهام، ثم أنصرفت .

فأخذه حملة إلى الملك فأخبره بقصته . فقال له الملك : إرم بين يدي ! فرمى بين يديه . فكان لا يضع سهمه في طائر ولا غيره إلا أصابه حيث أراد . فبُهِتَ الملك ، وطلَّ تعجبه . فقال : ويلك ! في هذه الملكة من يرى رمايتك ؟ فضحك بهرام ، وقال : أيها الملك ! أنا أخسهم رمايةً وأحقهم قدرًا . وعندى جنس آخر من الثغافة . قال : وما هو ؟ قال : أدع لى يابري . فدعا له بها . فأخذ إبرة فرمى بها على عشرة أذرع ، ثم أتبعها بأخرى فشكها ، ثم أتبعها بأخرى فشكها كذلك ، حتى جعلها سلسلة قد تعلق بعضها ببعض .

فبُهِتَ الملك وملى قلبه رعبًا . فقال له : ويلك ! ملككم هذا جاهل ! أما تعلم أنى قد قرئت من قرار داره ؟ فضحك بهرام ، وقال : إن أعطانى الملك الأمان ، نصحتُه . قال : قد أعطيتك الأمان . قال : إن ملكا إنما ترك استهانةً بأمرك ، وتصغيراً لشأنك ، وعلمًا بأنك لا تخرج من قبضته . وذلك أنى أخس من فى دار مملكته وأخملهم ذكرًا . فإذا كنت - وأنا بهذه الحال - أقتل بألف سهم ألف رجل ، فما ظنك بالملك ، وله مائة ألف عبيد فى قرار داره ، أصغرهم شأنًا أكبر منى ؟ فقال له الملك : صدقتنى فيما قلت ! ولقد خُبرتُ عن بهرام من تصغيره لشأنى واستخفافه بأمرى ما طابق خبرك . وما تركنى أبلغ هذا الموضع من ملكه إلا لما ذكرت .

فأمر عظيم جيشه أن يرتحل من ساعته . ونادى فى الناس بالرحيل . ثم خرج لا يلقى على شيء ، وأطلق بهرام . فانصرف بعد ثالثة حتى دخل داره ليلاً . فلما أصبح ،

قَمَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعِظَاءُ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدَوْنَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرُوهُ
بَانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّانِ ، ضَعِيفُ الْمَنَةِ ^(١) .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي أَنْصِرَافِهِ ^(٢) .

وَكَانَ كَسْرَى أَبْرِيْزَ ، بَعْدَ بَهْرَامِ جُورَ ، صَاحِبَ مَكَايِدَ وَخِدَجَ فِي الْحُرُوبِ وَنِيَايَةِ
فِي الْعَدُوِّ ^(٣) .

مكاييد أبروير

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازَ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عَنْدهُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ^(٤) .

(١٥)

(١) أى القوة .

(٢) نقل هذه الحكاية بالحرف صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٣٤ - ٣٨) ، ونخلصها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ١٠٧) .

(٣) الحكاية الآتية نقلها أيضا صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" المنسوب للجاحظ ، وفيها تحريف
كثير وسقط متواتر واضطراب في التمييز (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) في رسمه : شهر يراز . وهو تصحيف من النسخ ، وفي رسمه : شهر يراز وقد صحف ناصحون ابن الأثير
هكذا الأسم بخلوه شهر يراز وشهر يراز ، كما صحفوه في نسخ "مروج الذهب" بخلوه مثل رسمه شهر يراز
(وقد صحفه العلامة باريه دومينار في ترجمته بخله شهر يار ليكون مطابقا للأسم الوارد في تواريخ الروم) .
وأما الصحيح فهو الذي أعتمدناه . (أنظر جميع المؤرخين وخصوصا الثعالبي في "غرر أخبار ملوك الفرس" ،
ص ٧٠١ حيث أورد هذه القصة) . وأنظر ابن الأثير . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وقد أورد قصة
أخرى في سبب انتفاض شهر يراز في الخديعة التي استعملها أرريز لصد ملك الروم عنه . (وأنظر "التنبيه
والإشراف" ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وقد أورد هذه القصة برواية أخرى في "المحاسن والمساوى" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وسعى القائد "شهر يراز"
على الوجه الصحيح الذي أعتمدناه في المتن .

٢٠

(٥) في رسمه : فكاتب .

وَالْبَسَالَةِ وَيَمِينِ النَّقِيبَةِ. فَكَانَ شَهْرُ بَرَزٍ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى الْمَلِكِ [الرَّيْمِ] أَقْرَارَ دَارِهِ وَأَخَذَ يُمَخِّنُهُ
 حَتَّى هَمَّ بِمُهَاذَنِهِ وَمَلَّ عَارِبَتَهُ وَطَلَبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرُ بَرَزٍ
 وَأَنْتَعَدَ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ بِأَفْضَلِ عُدَّةٍ وَأَتَمِّ آلَةٍ وَأَحَدِ شَوْكَةٍ. وَنَاهَبَ لِلْقَائِهِ فِي الْبَحْرِ
 بِلْغَاءَهُ فِي جَمْعٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. قَدْ أَعَدَّ فِي الْبَحْرِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ
 وَكِرَاجٍ وَآلَةٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالسُّفُنُ مَشْحُونَةٌ مُوقَرَةٌ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَصَفَتْ
 رِيحٌ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي فَقَلَعَتْ أَوْتَادَ تِلْكَ السُّفُنِ كُلَّهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى جَانِبِ شَهْرِ بَرَزٍ،
 فَصَارَتْ فِي مِلْكِهِ. وَأَصْبَحَ مَلِكُ الرُّومِ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْخَزَائِنِ وَالْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ. فَوَجَّهَ شَهْرُ بَرَزٍ بِتِلْكَ الْخَزَائِنِ وَالْأَمْوَالِ إِلَى أَبْرُويز. فَلَمَّا
 رَأَى أَبْرُويز مَا وَجَّهَ بِهِ شَهْرُ بَرَزٍ، كَبُرَ فِي عَيْنِهِ وَعَظُمَ فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ: مَا نَفْسُ أَحَقَّ بِطَلِبِ
 الثَّنَاءِ وَرَفِيعِ الدُّعَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى الْفِعْلِ الظَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ بَرَزٍ! جَادَ لَنَا بِمَا لَا تَسْخُو بِهِ
 النُّفُوسُ وَلَا تَطِيبُ بِهِ الْقُلُوبُ! لَجَمْعِ وَزَرَاءِهِ وَأَمْرِ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ فَوُضِعَتْ
 نُسَبَ عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ لَوْزَرَاتِهِ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْظَمَ خَطَرًا وَأَمَانَةً وَأَحْرَى بِالشُّكْرِ
 مِنْ شَهْرِ بَرَزٍ؟ فَقَامَتِ الْوُزَرَاءُ فَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ وَجَدَّهُ،
 وَأَتَى عَلَى الْمَلِكِ وَهَنًا، ثُمَّ ذَكَرَ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمَلِكُ مِنْ يَمِينِ نَقِيبَةِ شَهْرِ بَرَزٍ وَعَفَافِهِ
 وَطَهَارَتِهِ وَتُبْلِهِ وَعَظِيمِ عَنَانِيَّتِهِ. حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا، أَمَرَ بِإِحْصَاءِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ.
 ثُمَّ قَامَ أَبْرُويزُ فَدَخَلَ إِلَى نِسَائِهِ. وَكَانَ لِلْمَلِكِ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ رُسْتَه، وَكَانَ سَيِّئِ الرَّأْيِ
 فِي شَهْرِ بَرَزٍ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! قَدْ مَلَأَ قَلْبَكَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَصَغِيرٌ مِنْ كَبِيرٍ، وَتَافَهُ
 مِنْ عَظِيمٍ، خَانَكَ فِيهِ شَهْرُ بَرَزٍ وَآثَرَهُ بِهِ نَفْسُهُ. وَلَنْ كَانَ الْمَلِكُ، مَعَ رَأْيِهِ النَّاقِبِ
 وَحَزْمِهِ الْكَامِلِ، يَظُنُّ أَنْ شَهْرَ بَرَزٍ أَثَى الْأَمَانَةَ، لَقَدْ بَعُدَ ظَنُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَخَسَّ

(١) نصيبه . فوق [في] نفس أبريز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَظُنُّكَ إِلَّا صادقًا . فما الرَّأْيُ عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقُدوم وتُوهِمُهُ أَنَّ بك حاجةٌ إلى مناظرته ومشاورته في أمرٍ لم تُجْزِ الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفْ ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدرى أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كلُّ ما يَقَامُ به نُصَبَ عينيك .

٥ فكتب أبريز إلى شهر براز بأمره بالقُدوم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يدقُّ عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أرفده برسولٍ آخر . وكتب إليه : "إني قد كنتُ كتبتُ إليك أمرُك بالقُدوم لأناظرك في مُهِمٍّ من أمرى . ثم علمتُ أَنَّ مقامك هناك أَقْدَحُ في عدوك وأُنكى له وأصلحُ للكل وأَوْفَرُ على المملكة . فأقيم وَكُنْ من عدوك على حَدَرٍ ، ومن يَغْزِيه على تَيْقِظٍ . فإنه مَنْ ذهب ماله ، حَمَلَ نَفْسَه على التَّلَفِ أو الفَلَجِ (٢) والسلام !"

وقال للرسول الثاني : إن قَدِمْتَ فرأيتَه قد تَأَهَّبَ للخروج إلى وظهر ذلك في عسكره ، فادْفَعْ إليه هذا الكتاب . وكتب : "أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد استبطلتُ جواب قُدومك وحَرَكتك . وعلمتُ أَنَّ ذلك لأمرٍ تُصْلِحُه من أمر نفسك أو مكيدةِ عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا فخلِّفْ أخاك على عَمَلِك وأَعِذْ السير ولا تُعْرِجْ على مُهِمٍّ ولا غيره . إن شاء الله !" . وإن لم تره استعِدَّ للخروج ولا تَأَهَّبْ له ، فادْفَعْ إليه الكتاب الأول .

(١) في سـ : "نفسه" . ولعل الصواب : "نصيبه" . قال في القاموس : "نصيب نصيبه جعله خسيسا

دينيا فقيرا" . ولم ترد هذه الكلمة ولا الآ قبلها في صـ

(٢) في سـ : الفتح ، وفي صـ : الحذف . وقد صححتُ بما في المتن ليكون المعنى أن الذي يذهب ماله يركبُ أخصن المراتب فلما أن يتلف وإما أن يظهر وينجح . لأنه : يكون في حالة بأس يحمله على المأثرة : ... يجوز .

فقدِمَ الرسولُ الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزم ولا خاطر، ولا هم به. فدفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أولُ كلِّ قَتْلَةٍ حِسْلَةٌ. وكان خليفة شهر براز بيباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتَه للملك وما كان من جواب الملك له. ثم تازعت أبرويزَ نفسه ودعاه شَرُهيه إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالقدوم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطنا، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أن نية شهر براز قد فسدت وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أخى شهر براز: "إني قد وليتُكَ أمرَ ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُكَ، وإلا فخاربه!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بحاربه إن أبى أن يُسَلَّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حيل ومكايد، وقد فسدت نيته لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غدا، وإن قتلك اليوم، كان على قتلي غدا أقوى^(١).

ثم إن شهر براز صاحَ ملك الروم، لما خاف أبرويز. وتوثق كل واحد منهما من صاحبه. واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتوئى محاربه، فإني

(١) هذه رواية صه. وأما سه فروايتها: يقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأمن. ومعملها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرات، أهر الملك بزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيقي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى بأمره فيها بقتله، وأطلعه عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فأعذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتقيا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصُرُ بِمَكَائِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمِّي فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مَحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَاذُ : أَمَّا إِذَا أَتَيْتَ عَلَيَّ فَأَيُّ مَصُورٍ لَكَ صُورَةٌ ، فَأَعْمَلْ بِمَا فِيهَا وَأَمْتِئِلْهَا .

ثم صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَتَرٍ يَتَرَلُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْرُويزَ فِي طَرِيقِهِ كُلَّهُ ، وَأَيُّ الْمَنَازِلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيُّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسِيرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلَّهُ عَلَيَّ^٥ مِثْلَ وَحْجِ النَّهَارِ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمِي ذُوْنَهُ وَلَا تَقْطَعِيهِ إِلَيْهِ ، وَاجْعَلِيهِ مِثْلَ وَجْهِ جِيوشِكْ وَعَسَاكَرِكَ إِلَيْهِ .

فَضَى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أَبْرُويزَ الْخَبْرُ فَضَاقَ بِهِ دَرْعَهُ ، وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لَقَطَعِيهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْمَيْتِ أَكْثَرُهُمْ هَزَلَى أَضْرَاءً^(٢) .

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَيَّ مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَاذُ فِي طَرِيقِهِ كُلَّهُ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَيَّ النَّهْرَوَانِ ، عَسَكَرَ هُنَاكَ وَأَسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أَبْرُويزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جَمُوعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعَائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ ، فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أَبْرُويزَ وَلَمْ يَسْكُ فِي الظُّفْرِ بِهِ .

فَدَعَا أَبْرُويزَ رَجُلًا مِنَ النَّصَارِيِّ ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَنْتَدَهُ^{١٥} مِنْ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَاثِي ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبْرُويزُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا تَقْدِّمُ مِنْ أَيَادِينَا عَنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرٌ ذَلِكَ لَكَ وَلَا بَأْسَكَ . قَالَ : نَخَذُ هَذِهِ الْعَصَاوَامِضَ بِهَا إِلَى شَهْرَبَرَاذَ ، فَأَتِيهِ فِي فَرَارِ

(١) ضمه : وعوراته .

(٢) أى اضطرب .

(٣) أى مهزولون مَرَضَى . [والذى فى رسمه : هزلا وضرا] .

ملك الروم، فأدفعها إليه من يده إلى يده . وعمد إلى عصا منقوية، فأدخل فيها كتاباً صغيراً منه إلى شهر براز: "أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا وأستودعته العصا. فإذا جاءك، فخرق دار مملكة الروم، وأقتل المقاتلة، وأسبب الدرية، وأنهب الأموال، ولا تتركن عينا تطرف ولا أذنا تسمع ولا قلباً يعي، إلا كان لك فيه حكم. وأعلم أني وأشب بملك الروم يوم كذا وكذا. فليكن هذا وقتك الذي تعمل فيه ما أمرتك." ٥

(١٥٧)

قال: وأمر للنصراني بمال وجهه، وقال: لا تعرضن على شيء ولا تقيمين يوماً واحداً. وإياك ثم إياك أن تدفع العصا إلا إلى شهر براز، من يده إلى يده!

ثم ودعه ومضى النصراني. فلما عبر النهران، اتفق أن كان عبوره مع وقت ضرب النواقيس. فسمع قرع عشرة آلاف ناقوس أو أكثر. فأنهملت عيناه وقال: ١٠
يئس الرجل أنا، إن أعنت على دين النصرانية وأطعت أمر هذا الجبار الظالم!

فأتى باب ملك الروم، فاستأذن عليه، فأذن له. فأخبره بقصة أبريز حرقاً. ثم دفع إليه العصا، فأخذها ونظر فيها. ثم استخرج الكتاب منها فقرأ عليه. فتعجب، وقال: خدعني شهر براز! ولئن وقعت عيني عليه، لأقتلنه!

وأمر فقوضت أبنيت من ساعته، ونادى في الناس بالرحيل. وخرج ما يلوى على أحد. ١٥

(١٥٨)

ووجه أبريز عيناً له يحييه بخبره. فأنصرف إليه فأخبره أن الملك قد مضى ما يلتفت لفتة. فضحك أبريز، وقال: إن كلمة واحدة هزمت أربعاً ألف جليل قدرها ورفيع ذكرها!

الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا بهذا بذكر من بعثنا على نظمها، وكان مفتاحا لتأليفه وجمعه.

ولنقل أنا لم ترفى صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية فتي اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فإز الولاية من هاشم والخليفة من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مؤلى أمير المؤمنين.

فلتهنئه هذه النعمة المهداة! وبارك له واهبها، وزاده إليها الدآب عليها حتى يبلغ به أرفع يقاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومبلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

١٥

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعناها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم الجاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الجاحظ نته فيه بقلب
"الناس" ووصف مقدار أكله ، وما ذا كانت يصنع إذا أجهده الكثرة . كذلك أين أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلا من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محترقة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابها نجد أنها كلها متغاربة في الشكل والصورة . وهذه التغيرات مصدرها إعمال النساخين المساخين .

٢ - أول الجاحظ ذكر "قاسم الثمار" وبدا صبه والميت به في كتبه . وقد وصفه بطول البقي ،
وأشار إلى بعض نوادره وأحواله ، هو وأبيه ، الذي كان شريفاً بآبائه .
ويستفاد من كلام الجاحظ أنه كان معاصراً له .

أنظر كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصاً ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦
بأكملهما) ؛ و"المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم الثمار) .

٣ - ذكر الجاحظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
ووصفه بالأكل . وقد ذكره أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

- ٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف" أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عرساً في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل المقلّم في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٣١٥ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن العرات) .
- ٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضاً "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميته "هلال بن الأسمر" . لأن صفة اسمه بالسین المهملة - (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - ر ز م - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميته في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسمر" والغلط عن الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .
- ٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلاً واحداً . فإن تحريف "عيد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .
- ٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً آخر ، وهو "أبو خارجة" الذي روى لنا الجساحظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .
- ٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزوداً" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مَزْرَد" وهو لقب ضرار بن الشماخ . والتعريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم يغيرنا بأنه من الأكلة .
- ٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" للدائمي - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالاً وأخباراً تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا الملاحظ بإبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جُند الخلافة" إنه
 "كان عالما بالدولة شديدا لُحِبَ لأبناء الدعوة وكان نظم المعاني ، نظم الألقاظ . لو قلت : لسانه
 كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شير وسمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
 وعرف به الملاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لا نظيره ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان قنياً ، وكان عروصياً وحافظاً للحديث ، وروية للشعر ،
 شاعراً . وكان نظم الألقاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رُوبة ،
 ويعمل في الخراج يعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منجياً ، طيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً
 بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيما عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التوابع وتقليد المناصب قول
 الملاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاء على خراسان : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك
 صغيراً . فلا تتكأن على عذر مني لك ، فقد أتكتلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك .
 فإن الظن إذا أخلف منك ، أخلف مني فوك . وأنت في أدنى حظك ، فأطلب أقصاء . وقد أتمعت أوبرك ،
 فلا تريعن نفسك . وكفى لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غلك ، تسعد . إن شاء الله !
 (البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) نصبة الرجل الذي أراد ما يورث أن يوليّه قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البخلا" طبع لدين فقال :

١ - الآين فيا نحن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأرأ أن تبدأ أنت قسماً فأقول أنا حينئذ مجيئاً لك : وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت أكل ، فهما آين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! ونجيب أنت فتقول : هيتا ! فيكون كلام بكلام . فاما كلام فعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجدي إنما هو شئ من آين الموائد الرقيقة . وإنما جعل كالمأخبة والمأخمة ، وكالعلامة ليس والفراخ ، وإنه لم يختصر للمزق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) نقلاً عن الفهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجياني ألف "كتاب آين" و"كتاب الزيادات في كتاب آين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها ونقها مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والبيان" ج ١ ص ١٣٣) . ثم أوردها أيضاً في كتاب "البخلا" (ص ١٩٣) :

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "المقد الفريد" بدليل نقله أيضاً للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الاستلزام .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضبط إلى ما كتبه عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الملاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً ، فرأى الناس
قد استحسنوا كلامه ، فقال لهم : " لا يفتكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا " .

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الملاحظ في مواضع كثيرة من كتاب " البخل " (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩)
حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم ، وتفضيل الكرم .

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجلود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أبين الناس وأحسنهم حديثاً . وكان وادية علامة ،
شاعراً مقلداً . وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الجهاج قال : ما ظننت أن بالراق مثل هذا .
وكان يقول : ما أمكنني وإل من أذنه إلا غلبت عليه ، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة) .
وكان عليه متعابلاً . فلما بلغه أنه (أي الجهاج) وهقه (أي بلالاً) حتى رقت سانه وجعل الورث في خصيه
أننا يقول :

لقد قرعني أن ساقيه وقتاً * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بجئت وراجعت الخيانة وانلنا * فبسر الله المقدس للمسرى

فاجذع سوء خرب الدوس جوفه * يعالجسه التجار يرى كأنه يسرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى ، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون .

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بصُرت بفهد على قاذ غلوة ، فسعى إليه ، وأنا أسواركا تملكون . فوالله ! ما أخطأت حاقق لهزيمة حتى رزق الله عليه الظفر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

فما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين إبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البدائنه" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم قُرب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يتالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجل ضربوه !

أخذ الله قلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيزُ البيت . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنتدما له فقال :

ما لئن أهوى شبيه ، * فبه الدنيا تتيه !

وصله حلوه ، ولكن * هجره مر كرية !

من رأى الناس له الفضل عليهم ، حسده !

مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فامر الأمين له بقر ثلثة أبنل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظه "بأو" ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، تفسير قبيل !
فن ذا الذي "يئأى" على بخاله، * وغالى على، ذوالندى، وعقبيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب باسم "المرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال"
قديماً، والأستاذ "شوينفُرت" الموجود الآن .

قال الأول : CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosi.

Desor. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, obtusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentosofarinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fr. medium.

Arab. اسال. alās Korrah vel Særah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabica : pp. 68)

وقال الثاني مانحه : Særah. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk. (Schwoinfürth G., Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نعيم أى شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الملاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٧٧٠) فقال مانعته : " وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أعتِم بمكة لم يمتَم معه أحد . هكذا في الشعر . ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهتَم ذم .
إذا شدد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والمُصوم ،
فقد حُرِّبَتْ على من كان يمشى * بمكة غير مُدْخَل سقيم .
وكان البختري غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقان الحكيم .
هو البيت الذي بُنِيت عليه * قُرَيْشُ السَّرِّ في الرمن القديم .
وسطت ذرائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم ! ^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب " الفهرست " عن أبي حسان الربادي أنه . كان " فاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب وتُعمل له ، وكانت له خبرة حسنة كثيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات " . (عن كتاب " الفهرست " ص ١١٠) .

(*) يغلط كثير من ناصحي الكتب وطابعيها فيقولون " العاصي " في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من " العوص " ، لا من " العصيان " . ولذلك يقال لهم " الأعياص " (راجع " الاشتقاق " لأبن دُرَيْد ولسان العرب) وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) السَّحَرِيُّ الحسن المثنى والحشم . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب ح ت ر -) .

(٢) أي تَوَسَّطَتْ فكنتَ أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أومئى عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر
أن المتروكل تكل أبا حسان الزيادى هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بدار مصر . ذلك خاطر
سبق إلى ومى ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التى تولى قضاها أبو حسان الزيادى هى أحد شق
بفداد . وقد وصفها اليعقوبى (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : "وإنما سميت الشرقية
لأنها قُدرت مدينة للهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقى
من دجلة . فسُميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يجتمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذى يجلس فيه قاضى الشرقية" . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبى طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا "التابع" بقوله : فالتابع ، لا ينيه زجر وليست له غاية
دون التالف . (كتاب "البغلاء" ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ "في البيان والتبيين" أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد "تنابذا"
بدلا من "تناقدا" التى فى ملجنتنا قلاعن ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتر)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سعيده بن سلم بشأن استعسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦ ، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به) .

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى ، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية . (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المختص" لابن سيده شرح "السهم العائر، والسهم القرب" (ج ٦ ص ٧٦) . [وأنظر عن "السهم القرب" ما أوردته في صفحة ١٩٤ عن تكميل صفحة ٤٣ ص ١٠] .

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الجعفي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصًا وعالمًا يبتا وعالمًا بالأخبار والآثار . وقد سباه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلمي" ونقل عنه هذه الكلمة : "إذا جمع العلم أربعاً ، فقد كل : إذا كان حلالاً ، وكثرت عليه الأيدي ، وسمى الله على أوله ، حجة على آخره . . . ف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيباً قاصاً وعالمًا بالأخبار والآثار ؛ وأنه لما ناظر أهمل الكوفة قال : "لنا الساج والعاج

والدياج والمخراج والنهر العجاج". وقد روى الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "الميوان" (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : "نحن أكثر منكم حاجا وساجا ودياجا ومراجا" ، ونسبها للأحرف بن قيس فيما تخبره على أهل الكوفة ، ثم قال الملاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه أقصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها عن رَجَح بن زَيْبَاع ما رواه الملاحظ من أن معاوية هم به فقال له رَجَح : "لَأَنْتِمْ بِي هَذَا أَنْتَ وَقَتُّهُ" ، وَلَا تُسَوِّأَنَّ بِي صَدِيقًا أَنْتَ سَرَّاهُ ، وَلَا تَهْدِمَنَّ مَنِيَّ رَجَا أَنْتَ بَيْتَهُ ! هَلَّا أَتَى حَلَبَكَ عَلَى جَهْلٍ وَإِسَاءَةٍ ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) التي أستمع بها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) ، "إلتين" (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها عن "المقد القرني" في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أدخلها عن الملاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته من أسماء بن خزيمة الفزاري أن الجاهلي بن يوسف الثقفي لما بلغه موته ، قال : "هل سمعت بالذي هاشم مات حين شاء ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وقته أي قهرته وأذلقته . [حاشية عن طابع "البيان والتبيين"] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الملاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

- ١ - المقرب تقع في يد السور، فيلب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستظية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبت [هو هو البثا] على حال يسل أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "استظى" له ولما أطمعه فيه يهر به (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن المزيمن في الحرب غاية الإيمان ثم لحقت [الهرة]، لقطعت وهو "مستظي" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الملاحظ ما رواه الملاحظ عن امتحان أوشروان لمن خافه في حريمه . والباراتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النصّ الوارد في روايتنا قد استوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة فان قلوب من ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٢)

أولا - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء . ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدلّ على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الملاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، ونصيبا جامعا ، جيد الرأي كثير الأدب . وكان أول من تربع كنب النجوم والطب والكيمياء . " (البیان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرتجها للخلافة ، فلما حُرِّمَها أقطع لخدمة العلم والأدب ، فابقى لنفسه نفرا باقيا على مدى الأبد .

وليت احراء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!

ثانياً - أنظر أيضا مكاتبات عبد الملك بن مروان ومروان بن - يد الأشدق (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٨٥) ، وتلقب سيد بلطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسبابا لطيفة في تسميته بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثاً - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل لعليم الشيطان" . وأعلم أن "أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقب غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، ففساد كان في فقه . والعرب تكنى الأبخز "أبا ذئباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذئبان" . قال الشاعر مشبرا إلى هشام ابن عبد الملك بن مروان :

لَعَلَّ إِنْسَانًا مَالَتْ بِهِ الرِّيحُ مَيْلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الدَّبَّانِ ، أَنْ يَتَدَمَّا .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبخز : أبو ذئبان . وكانت - فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنشده قول ابن خرابة :

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانٍ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَاوِجٍ مِنَ الرَّسَنِ .

وقد صفت يبعثنا لابن الحسن" .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لعليم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن يافوت ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن نخف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق وبلطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتعريف فيها كثير . وصحة اسم هذا الشاعر هو "أبو حُرَّابَة" (بالهاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين خربوا مع ابن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان (أنظر "الأغانى" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشبه" للذهبي طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد :

كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ * بَغَاثَ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى مَقْرَأِ
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها من "البان" أن أحد الثمراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لِلَّهِ بَسَاتٌ حَلَّتْهَا دَوْحَةٌ * فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
وَالْبَابُ تُحْسِبُهُ بَسَاتِيْرًا رَأَتْ * قَاخِي الْقَضَاءِ ، فَفَشَّتْ أَذْنَابَهَا !
(بدائع الزهور لابن أبياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :

الرهيبة الرهن ، والماء للبالغة ، كالشئمة والشئم ، ثم استعلا بمعنى المرهون .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تحصن الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانعه : "فأقول في فرس تحصن تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب قد حال بين أسنانه بعضهم لبعض ، وليس في الموكب جحر ولا رمكة ، فليفت صاحب الحصان فيرى جحرأ أو رمكة على قاب عرض أو عرضين أو غلوة أو طوتين ؟ حدثني : كيف شئ هذا الفرس تلك الفرس الأني ؟" .

ففي ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحي كلمته هناك . وكأنني كنت أنظر بنور الله إلى هذا الشرح حينأ أوردتُ حكاية قاب قباي ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسامرة سعيد بن سلم لخليفة الهادي بنفس ألفاظها التي أوردتها في "التاج" وقال : إن الخليفة نعتُه بـ "الخائن" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النعت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طوئيس المنفى لبعض ولد عثمان بن عفان (أعنى هو سعيد ابن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "الحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أبريز لرجاله في حفظ الحُرَم . والعبارة أن تكاد أن تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عندنا قد أخذت حطها من العناية في التصحيح .

(أنظر "الحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلورن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارئ على بعض المراتن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف بأسم "النوهار" .
وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله العمري تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفرنغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيب ، الموجودة الآن بخزانة طوب قبر بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

للمساحط شرح لطيف على قولهم : " المغبون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في كتاب " البخله " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٢)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليه اجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القليل . ثم رأيت ترجمته في " سرح العيون " لابن نباته (ص ١٥٩) فأحييت لذلك النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة لا يحنو على شيء . يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن أسم " سليم بن مجالد " اعتماداً على رواية صدره ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب " المحاسن والمساوى " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن والمساوى " أى " سليمان " وقال إنه " مولى بن زهرة وكانت له من السَّفاح منزلة عظيمة " (وأورد تفاصيل أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الملاحظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معارية وبين قيس ابن سعد بن عباد أمير مصر من قتل على بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، قردة ضلالة، وبلشهم بطش جهرية. يأخذون بالقلعة، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الفضب، ويحكمون بالشفاعة، يأخذون الفريضة من غير موضعها ويضمونها في غير أهلها." (عن "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥):
وقال أيضا: أثر الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع تناء، واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصدوق وقيام بحق الجار". ("البيان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "أبن دأب" ما رواه الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبتها عن علامات الانصراف ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أمنف إلى شرح لكتابة "مخصرة" قول ابن سيده: "المخصرة ما يشربه الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد رُفِيَ هذا الموضوع حقه في "كتاب العسا" الذي أديجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانعه: "كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ خَيْرُ دَانٍ رِيحُهَا عَيْقٌ * يَكْفُ أَرْوَاحَ فِي مِرْيَتِهِ قَيْمٌ^(١).

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله: لأن الملك لا يختصر إلا بعود لَدُنِ ناصم .

وأنظر أيضا كتاب "العسا" لأسامة بن منقذ، وقد طبعه العلامة هرتوفغ درنبرغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades*.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قرشي "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد علط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخلیط مع أن شيعه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعه ليبسك ص ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٩٢، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر" ، شاعر قرشي ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغانى" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ . (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأرواح: الذي يروعك ويعجبك لحسه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السكية" أن صاحب بدائع البداهة (ص ٢٢٧) قد أشد لأبن فلاقس الإسكندري مرتجلا :

أنا الفقيه بيضاخية * وسكية قد أجودت صفالا،
فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالا .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

إنفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد ينتم فيه الملك . وكنت أثرت استعمال "الحوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأزل أفضل . لأنه وارد في جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللفظ لا يمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملال وشهوة الاستبدال في كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفا لطيفا عن ابن أبي عتيق في الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قاون ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة ويندج في ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ٢ و ١)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الملاحظ يقول إن الموسوس غلفاء بن الحارث "كان يتخلف"، ويغلف أصحابه بالغالية، فُسِّمَ "غلفاء" بذلك "اليان واليتين" (ج ٢ ص ١٦١) .
قال في الصحاح "وقُتِلَ الرجلُ بالغالية وقُتِلَ بها لحية غُلبا، ومعد يكرب بن الحرث بن عمرو أخو شريحيل بن الحارث يُلقَّبُ بالغلفاء لأنه أول من غُلفَ بالمسك، زعموا" . ونحوه في "اللسان" (ج ١١ مادة غ ل ف) .

صفحة ١٦١ (حاشية ١) .

يضاف على السطر الثالث منها أن آبن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣) .
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله السكري كتابا خاصا في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة" . [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء" .]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القيل بالأندلس، مع علم الخاص والعام بغرام بهذا القطر ومن كانوا فيه . فرأيت أن أتلقي الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير (المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافي في فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن؛ وفي كتاب بنية المنتمس للضيبي طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب التكملة لكتاب الصلة لأبن الأبار، طبع مدريد، ص ٩٠؛ وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، القى أشار إليه صاحب فتح الطيب) . ومثل ذلك ما وقع أيضا لمندرين سميد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة تجدد المعجب والمطرب منها في الكتب المذكورة - بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص فتح الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) وما يليها .

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أنظر ما رواه الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة بهرام وفروسيه في صيد الخمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها من "الطير" و"الطيروزين" :

١ - أن آبن جريز الطبري الشير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأماده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة . "وكانت أرضاً ذات شجر ، فاتمسوا ما يقطعون به الشجر . فلما زعم بهذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به" . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٢٨٤) . وقد ذكر الجاحظ "الطيروزين" و"الطيروينات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرنين اللغامين للهجرة فأطلقوا لفظة "طير" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد العم ومبيد النقم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطيردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الجاحظ نفسه أن انباز عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام لمخدوميه .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . واعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... حيازا . إذا كان يطبخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس من (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الحيازون المذاق قد تركوا

الضأن، لأن المعزيب شحمه ولحمه فيصلح أن يسمن مرات، فيكون أربح لأصحاب العرس“. وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السدي الذي اشتراه ثمامة [بر أشرس] ثم قال عنه للماحظ:
 ”إنه أحسن الناس خبزا وأطبغهم قدرا“ .

ورود في كتاب ”البهلاء“ للماحظ :

- ١ - إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أى الذى يصنع الحبيصة] (ص ٧٠) .
 - ٢ - قرب خباز أسد بن عبد الله - وهو على خراسان - شواء قد نضجه نضجا ، وكان يمجبه ما وطب من الشواء ، فقال لخبازه : أظن أن صنيعك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .
 - ٣ - جاء الخبازون مرفعا الطعام (ص ١٦٤) .
- فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر الماحظ البرماورد في كتاب ”الحيوان“ فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواء ، ثم حاراً وبارداً ، ثم تطيب في البرماورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن ”أهل خراسان يعجبون بأخذ البرماورد من فراح الزناير ، ويمافون أذناب الجراد الأعرابي السمين“ . (ج ٤ ص ١٥) .

ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف برماورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلبا عاد إلى بغداد كان يشتبها ، فطلب له من كل مكان . وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عيره الدماء بأكل الجراد الأعرابي . ثم مالبت الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملاءة من فراخ الزناير ليتخذوا منها برماوردا للأثير . فخرج البدوى وهماهما بأبيات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني النوى هو القائل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "شرح العيون" (ص ١٥٥) .
والقائلون بمذهبه يسمون "مانية" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب استدراسها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	حطأ	صواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويقتصر ويجهد	ويقتصر ويجهد
٢٤	١٠	بخطابة	على خطابة
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا	وجاؤوا
٤٧	٨	حتى	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعنا	ص ٢٥ من طبعنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات	حالات
٧٨	١٤	تلب ... تكون	تلب ... يكون
٧٨	١٥	قدأما	قدأما
٩٨	١١	خلوا ، تذاكروا	خلوا ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	السفلة	السفلة
١١١	١	الرويدة	الزيدية (١)
١١٦	١٢	يقروون	يقروون
١٢١	٩	بمخرج	بمخرج
١٢٥	١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١	عزل	عزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
سـ ، صـ بمقتضاء ، أي نحمل بدل " الرويدة " لفظة " الزيدية " بطريق التفسير والتحقيق لكلمة
" الزيدية " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والعـرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .

(٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجيه جدًا ومنحتم يقضى به السياق .

استدراك^(١)

لهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات التي أنفردت بها دون نسخي سـ ، صـ .

(الكلمات الزائدة في الحلية أدجنها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موقعها)

- ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف المحافظ عثمان) ليس فيها لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلية قوله تعالى في سورة "فاطر" : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥) وهي غير الآية التي يريدنا بالمحافظ ، وليس فيها محل الشاهد الذي توخاه] .
- ص ٤ س ٤ "أى ليأه" بدلا من "قال كنيأه" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير الرازي وغيره] .
- ص ٥ جميع الوارد في هذه الصفحة ناقص في سـ وهو موجود في الحلية مثل ما هو في صـ ، مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلي .
- ص ٧ س ١ إقتصصر صاحب الحلية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم أبتدأ الكلام بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للكل إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف" . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا وبذلك أتمدته في هذه المضافين] .
- ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل سـ] بدلا من "عبد الرحمن" [الذي أعتدناه عن صـ] .
- ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسماعيل" . [فكان ناسخ الحلية أتفق مع ناسخ سـ إلا في وضع لفظة "الملك" في موضع البياض الذي تركه صاحب سـ ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

- [illegible]

- ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيما" فقد توافقتا مع الحلية في إضافة أداة النفي. ولكن الحلية عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيما" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفتت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية، ثم س ٤ ص ١٥٧].
- ص ٤٦ س ٨ لا يمسا عليها يتطبيب به الملك دونهم... [وهذه الزيادة في الحلية جميلة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك].
- ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين المملوك والسوقة فرق".
- ص ٤٨ س ٢٠١ "وإبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد، بدلا من "وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس دخل على ابن أبي دؤاد". [فأنفق سه وصه على أن الداحل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلية. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما انتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة].
- ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وإن..."
- ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حدّ العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة"...
- [ورواية الحلية أحسن وأتمن]
- ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال منه" بدلا من "هاتان منه" ... [وعندى أن رواية الحلية أكثر حسنا وأتم بيانا].
- ص ٥٠ س ١٣ "ولا يه الله إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلية في غاية الجمال].
- ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب" ...
- ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملة". [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأمة" الواردة في سه. وقد استحسنست "الملة" الواردة في سه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ].

- ص ٥٢ س ١ "غيرة" بدلا من "السوقة" ... "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الروايتان أحسن مما اعتماداه من سـ و صـ].
- ص ٥٣ س ١٣ و ١٢ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أكرم وأشبه منها إلى فوائد". [ولا شك أن رواية الحلية محترمة وصوابها "أكرم وأنهم إلى فوائد". وتأظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "فأرتاع من حضر" بدلا من "فأرتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يق" بدلا من "يق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السخافات كثير في الحلية].
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وبلاتته". [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب اعتاده في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أراسم أبيه" بدلا من "باسم أبيه". [ورواية الحلية أكل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن لا". [فكانت زيادتنا لطرف التي موافقة لما في الحلية].
- ص ٩٥ س ١٥ "التبالة" بدلا من "الثالة". [وهذا التصحيف فيه تباله من التامخ].
- ص ٩٦ س ٣ "فأمتحن بعض الملوك" ... [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سـ أيضا . والرواية المتبعة هي الواردة في صـ ، وهي التي اعتمادناها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساء اللواتي" بدلا من "إلى بساتنه الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "التبالة" بدلا من "الثالة" ... [وهو تباله لأن من ناسخ الحلية].
- ص ٩٩ س ٩ "ببه لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نيتة لفرطة" ... [ورواية الحلية وجيهة جدا وواجبة . فينبى اعتمادها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التفاضل" بدلا من "السرو التفاضل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك ...
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا ...
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاؤا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ فقام ... " [وهذه الزيادة يقتضيا السياق . فله تمد في طعننا].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقعده فرب ... [' » » » »] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله" ...
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسلطان" بدلا من "والخطوة عند السلطان". [ولعل رواية الحلبة أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سره ، صرّح فعماء الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فترطآن على كذب" بدلا من "فترطأت".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" ...
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الحلبة حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "خلال الحمداني" بدلا من "مهمل الحمداني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "و[قد]". [فتصححنا جاء موافقا لما في الحلبة].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردي" بدلا من "كريمي". [ورواية الحلبة أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتحقير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجد" ... [وزيادة أداة النفي هنا وجبة ومنتهمة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أغس الملك". [ورواية الحلبة جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك قريبا عنه ^ف

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برك" بدلا من "عيسى بن نبيك". [ورواية الحلبي مغلطة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها هادت فسمته عيسى بن نبيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لثى. هو فيه لم ندر" بدلا من "لثى. آخر لا ندرى" ...
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "شاهرة أو مسافة". [وسخاطة الحلبي ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المؤن".
- ص ١٤٧ س ٤ "مواييد" بدلا من "مواييد".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يجلده ... يجلدها" بدلا من "يجلذه ... يأديها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود أنهم المشاق" بدلا من "وجود القرم النهم المشتاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه". [ورواية الحلبي أطيب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الحلبي أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة. فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما بة" ... [ورواية الحلبي أجود وأكمل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب روقه وبعض ما به رى" ... [وعلق الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص. والماء هنا بمعنى الرقيق والبا. كما يقال في الجواهر الكريمة والأحجار النعيسة. وحينئذ فلا يكون هنالك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الغلط باحتمال أن "مائه" محروقة عن "بهائه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... [ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من النسخ يدل على مجزئه].
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف" ...

- ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده" ...
- ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل ...
- ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس البارئ". [ورواية الخلية ربما لا تزال الإيهام].
- ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيك".
- ص ١٦٦ س ٣ "فاخذوا التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- ص ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر : كان يُجْزَى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما . فقال ، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي : تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فاخبرني بشيء من أمر متلى جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعتي قلا عن "المحسن والمساوي" لليق . وليس
- بين رواية الخلية وبين رواية اليق خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدري صحته
- أهـ أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعتي فهي أصح وأوجه .
- ص ١٧١ س ١٢ "وفيا ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [وهنا وقفت الخلية مبنوة].

التعريف بكتاب ”تنبيه الملوك والمكايد“

المنسوب للمحافظ

ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي
حلفتُ بها ”التاج“ .

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوّف إلى الإسلام بشيء عنه . فذلك رأيت
أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بخزانة الكوريلي
بالقسطنطينية تحت رقم ١٠١٥^(١) .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا
نصّها . ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“ . ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية
إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى
آخرها ، وهي ”للمحافظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بذرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرد بها الجاحظ . فأنشأتُ
أُنصِّقُ الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن
الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) نقلت بالتصوير الشمسي نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وقصا :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أفتح الحمد كتابا ، وفتح اللد إذا وافى إليه باما ، قسم بين خلقته فطوروا أطوارا وتجرؤوا أجنابا . أفتد فيهم سببه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شئ أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتته وإرادته ، يُعزَم من يشاء ، ويُدل من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وهابا . نحمده على ما أولى وأنعم ، ونصل على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! (أما بعد) فهذا كتاب يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الأكرام من كل صديق ورفيق وما تحت ثيابه من البغض والتحاسد . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شئ قدرا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لأفتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويأبئ ما بين ابن طولون وكافور الأخشيدي والمتنبي وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب كعما من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حيث لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الملاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الملاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الملاحظ في كتاب "التاج"
فاوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسراقات^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الملاحظ ؟ كلا لعمري !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي بابه مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج العناية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكاييد الفُرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند » (٤٩ - ٥٤) .

(٣) » الروم » (٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قَصَرَهُ على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . واسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السراقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدى . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! ولعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسنٌ عقلاً وشرماً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أهني الفتوح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث آتت عتبا بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آيين ساسان المرجع له من أيدي الذين أقسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله أجمعين ”الحرب خدعة“ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند سيره في غزواته ، وخصوصاً ما استعمله في فتح مكة“ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يحذران المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يمز به الدين وينتفع به المسلمون . وأرتفع بهذا وجه اللوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .

نحو الكتاب ”تنبيه الملوك“ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ”سليخ ربيع الآخر ستة أربعين وسنة“ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ما توقعنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ”جامع الأخبار“ .

روى ”جامع الأخبار“^(١) أنه سهر ليلية عاشوراء بخندق الموالي القصرية وأطال التفكير فيها عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من أستيلاء أعدائهم عليهم

(١) في صحتي ٣٢١، ٣٢٢ .

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام عليا في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى يده ، لأنها لمست يد الإمام "على" . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجودا بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الحجاب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى يتره بأن يخدع بمنزل هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض قصائده .

ولا خدعنا منه قط ملاسم * تسدى بأصناف المحال وتلعم .

فأضعفها ما كانت فيه رواية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقر في ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو القواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله في "التعريف بالمصطلح الشريف" والقلقشندي في "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها في سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط في سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاء مبرما على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين في أيامهم شيئا مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالح" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
ممن كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفاتر الفاطمي ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ؛ وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفاتر ،
استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمي أبنته . ثم دس
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .^(١)

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج
كتابه للناس في أنحرىات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثاني من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب
 "محاسن الملوك"
 لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في "التصدير"
 وفي الحواشي . كُتِبَتْه ليكون القارئُ محيطةً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة
 بكتاب "التاج" .

عُثِرَتْ على النسخة الأصلية لكتاب "محاسن الملوك" في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ،
 تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر
 يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما "محاسن الملوك" فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً .
 وعلى طرته أنه "جمعه بعض الفضلاء" . وقد آتبدأ مؤلفه بعد البسملة بقوله :

"الحمد لله المتعول بالعوارف ، المميز بالمعارف . وجاعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على الخلقة ؛
 الأمر بإعظام الشياطين لقيامه بأعباء الإيالة ، وانتضائه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم
 في المعاش الذي هو وسيلة سادهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمد على نعمه"

ثم توه بالملك الذي ألف له هذا الكتاب وسماه "مولانا السلطان الملك العزيز" .
 وقد نعت المؤلف نفسه "بالمملوك" . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ،
 وكثر في غضوناتها التنويه به إذ قال : "ولا زال مولانا العزيز" .

(١) وقد قلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحضرتهما إلى دار الكتب
 الخديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا فمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فأبينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني أيوب، والثالث من سلاطين المالك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية، ولكنه لم يحل على سررها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتعظيم والتعظيم الذي أورده المؤلف، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية، أي قبل أن يأتي هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثاني المسمى "بالمالك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازي الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صبغيا فآتزع عمه الأفضل الملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعنه العادل . وتوفي الملك العزيز هذا في سنة خلعه، أي ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبها وصحيفا، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطولة مما جعل عمه يتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف المملوكانية والنموت السلطانية الواردة في أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر، فإنه هو الذي كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصراحة والبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف ” لأبن فضل الله العمري ، وفي ” صبح الأعشى ” للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز ” وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمّى الواحد منهم نفسه ” المملوك ” إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المسالك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مصبوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ ” . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يُسمّى ” بالملك العزيز ” . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة أنتساخ الكتاب ، لاسنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت أنتساخه .

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

أدب الوقوف على باب السلطان .	أدب من أسدى إليه الملك يدا .
أدب الداخل على السلطان .	أدب من رفع الملك قدره .
الأدب في تتجوز وعد السلطان .	الأدب في عازحة الملك .
الأدب في تعهد السلطان خدمة .	أدب الصلاة مع السلطان .
أدب من يجالس السلطان .	الأدب في مساية السلطان .
الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان .	أدب يجاب الملك وجابه .
أدب من يخاطب السلطان .	الأدب في الرسول .
أدب من سأل السلطان عن اسمه .	أدب الملك في منامه .
أدب مؤاكلة السلطان .	الأدب في اتخاذ الكاتب .
أدب السلطان في إقامة الحدود والتعزير .	الأدب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة .
أدب في عزاء الملك .	سخاء الملوك .
أدب التعزية بالملوك .	أدب الملوك إذا دهمهم أمر .
أدب في مسامرة الملوك .	
أدب مناصحة السلطان .	

وفي كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع ، تعلقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً واختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان مصر به .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى أستخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشى

الأصنام لأبن الكلى (نسخة مخطوطة

مخزاة كنى وجار طبعها بتحقيق فى مطبعة
بولاق فى هذا العام)

إنجاز القرآن للقاضى أبى بكر الساقلاوى ،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو الساج من المكتبة

الجغرافية العربية]

المحاسن والأضداد لمباحظ طبع العلامة

فان فلوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ، فى ٢٠

جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، والجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف بروث بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ

فهارس الأغاني للعلامة جويدى وزملائه ، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذيله) لأبى على القسالى ، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤ هـ

الأنساب للسماعى ، طبع العلامة

مرجوليث بمدينة لوندن سنة ١٩١٣



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان البيرونى ، طبع العلامة سجاد

المستشرق الألمانى بمدينة ليبسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للزيربى ، طبع

العلامة وستنفلد بمدينة جوتنجن سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبشارى ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طقات الأدباء =

مصمم الأدماء

أساس البلاغة للرمنشبرى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبن الأثير

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبن دريد ، طبع العلامة وستنفلد

بمدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسميات الواردة فى المصدر - فتنبه لذلك .

ب

- كتاب
البخلاء لمحاظ طبع العلامة فان فلوتن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠
بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبن
إياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ
برهان قاطع (معجم فارسي قله عاصم
افندي إلى اللغة التركية)، رأسه
تيان نافع في ترجمة برهان قاطع،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ
مختصر كتاب البلدان للهمداني المعروف بأبن الفقيه،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٢ هـ وستة ١٨٨٥ م
[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]
كتاب
البلدان لليعقوبي، طبع العلامة جوينول
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠
البيان والتبيين لمحاظ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

ت

- تاج العروس في شرح القاموس، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ
تاريخ آبن خلدون = كتاب
العبر اتل
تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبري، طبع العلامة
ده جويه وزملائه بمدينة ليدن
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك
تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة
شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة
تقريب التهذيب لمحاظ العسقلاني طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزي، طبع
ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودي، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ [وهو
الثامن من المكتبة العربية الجغرافية]
تنبيه الملوك والمكاييد، منسوب لمحاظ.
[ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية،
منقولة بالتوغرافيا عن مكتبة الكوبرلي
بالقسطنطينية]

ح

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
للسيوطي، طبع حر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع
الحجاسة (شرحها للتبريزي)، طبع العلامة فريتاغ
بمدينة بون سنة ١٨٢٨
الحیوان لمحاظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
السلامة وستفيلد بمدينة جوتنغن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد السكري
المعروف بابن الهادي الحنبلي [مخطوط
بدار الكتب الخديوية مرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للفنجانى ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقاتشندى (الجزء الأول ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصباح للجوهري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢

صحيح البخارى ، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكى ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لابن سعد ، طبع العلامة
تخار وزملاؤه بمدينة ليدن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن]

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموتى (كتاب فى النحو) طبع
القاهرة ، مرارا

خزانة الأدب للبندادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطوط للقرنى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ ، طبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومعه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية فى باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأمالى للقال = الأمالى

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع فى عدوان الأتباع
لابن ظفر الصقل طبع الحجر فى القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعرفة العلامة ميشل أمارى الطليانى ، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن النديم، طبع العلامة قلو جل

بمدينة ليسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكر الكنى، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

﴿ق﴾

القاموس للفيروزابادى، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

﴿ك﴾

الكامل فى الأدب للبد، طبع العلامة ريت

المستشرق الإنكليزى بمدينة ليسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

نوربرج بمدينة لندن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العربية للدكتور ديا لدى طبع مدينة

نابول سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة، طبع العلامة ده ساسى بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة، طبع الصلانة الأب لريس

شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طراز المجالس للمنجى، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

﴿ع﴾

كتاب العبروديان المبتدا والخبر فى أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوى

السلطان الأكبر لأبن حلدون، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للقرئى، طبع العلامة وستفله بمدينة

جوتمين سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن مقذ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربّه، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لأبن

أبى أصبحة، طبع العلامة أغسطس ملر

فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

﴿غ﴾

غرر أخبار الفرس وسيرهم للعالمى، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،

باريس سنة ١٩٠٠

﴿ف﴾

فتوح البلدان للبلاذرى، طبع العلامة ده جويه

بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البندادى، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

﴿ ل ﴾

لسان العرب لأبن المُكَّرم المعروف أيضا
بأبن منظور، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -
١٣٠٨ هـ

لقب القباط في تصحيح ما تشمله العامة من
العرب والدخيل والمولد والأغلاط، للسيد
حسن صدّيق خان صاحب مملكة بهو بال
بالحند (وطيه هوامش السيد نور الحسن)
طبع، حجر بالهند سنة ١٢٩٦

﴿ م ﴾

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع
القاهرة حديثاً سنة ١٣٢٥ هـ
المحاسن والأضداد، المنسوب للملاحظ،
طبع العلامة قات فلورن بمدينة ليدن
سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبه من الفضلاء [نسخة محفوظة
بدار الكتب الخديوية نقلا بالفتوغرافية
عن الأصل المحفوظ بخرابة طوبقو
بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوى لإبراهيم بن محمد البيق،
طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن
سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للأغاب الإصفهاني، طبع
محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف
بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ

محاضرة الأوائل ومسامرة الأراخزل
دده، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠
المخصص لأبن سيده، طبع بولاق سنة ١٣١٦
- ١٣٢١

مسالك الممالك لإبراهيم الإسطنخري المعروف
بالقارسي، طبع العلامة ده جويه بمدينة
ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٣ [وهو
الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن آبن خرداذ به،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو
السادس من المكتبة الجغرافية العربية]
المشتبه في الأسماء للهيم، طبع العلامة
ده يونج بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين
عل الهائي النزولي، طبع القاهرة
سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة، طبع العلامة وستنفلد بمدينة
جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لبد
الواحد المراكشي طبع العلامة دوزي
بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لباقوت الحموي طبع العلامة
مرجوليوت بالقاهرة، من سنة ١٩٠٧
[ولا يزال العمل جارياً الآن]

﴿ ن ﴾

نقااض جريرو والفرزدق طبع العلامة يمين

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،

لأبى المحاسن تترى بردى ، طبع العلامة

جُونُولَ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية فى غريب الحديث لأبى الأثير ، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنورى ،

[عن النسخ المنقولة بالفتوغرافيا المحفوظة

بدارالكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرح لأبى الحيد ، طبع

القاهرة سنة ١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط فى تراجم أدياء شقيق لرحوم الشيخ

أحمد الأمين الشستيطى ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى

طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرشاردصن ، طبع لوندرة سنة ١٨٢٩

المعزب من الكلام الأجمى للجوالقى طبع

العلامة سحار بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ، طبع لوندرة

مفاتيح العلوم للفوارزى ، طبع العلامة فان

هوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكير] طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة آبن خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للنجى [نسخة مخطوطة بدارالكتب

الخديوية نقل بالفتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بجزارة طوب قبر بالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع جهر بالقاهرة فى ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبيجدى الثانى
بأسماء المصنفات المذكورة فى متن الكتاب أو فى حواشيه وتكميله

الآغانى (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلى) وأصله بما يقال لأبيه وابن جامع وابن العوداء ، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطلى عليه . ونسبه المسعودى له	كتاب الآباء والأمهات لأبى حسان الزيدى
كتاب ألقاب الشعراء لأبى حسان الزيدى	كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجلبانى (وانظر كتاب الزيادات فى هذا الفهرس)
كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ فى صفحة ١٤٠ وهو غير الذى ألفه هو] بدائع البدائه لأبى ظافر الجوهرة لأبى دريد	آيين الأكرسة
درة القواص للريرى ، طبع الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع ليمسك سنة ١٨٧١ م	آيين الفرس
الزيادات فى كتاب آيين فى المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجلبانى (وانظر كتاب آيين له)	آيين ابن المقفع
شرح العيون لأبى نباته طبع بولاق	كتاب أخبار الأكلّة للداي
طبقات الشعراء لأبى حسان الزيدى	كتاب أخبار زياد بن أبيه للهم بن عدى
الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن للرخصى ، طبع مرارا بالقاهرة	أخبار زياد بن أبيه للداي
مسالك الأبصار لأبى فضل الله العبرى	أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للداي
معجم الشعراء للزبانى [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]
مغازى عروة بن الزبير لأبى حسان الزيدى	الأدب الكبير { لأبى المقفع ، طبع
مقتل عمرو بن سعيد بن العاص	الأدب الصغير { أحمد زكى باشا
من أحكم من الخلفاء إلى القضاة للمسكرى	الآغانى (كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذى لأبى الفرج الاصهائى)
	الآغانى (كتاب ذكره المسعودى ، وهو خلاف الذى لأبى الفرج)
	الآغانى (كتاب لإبراهيم بن المهدي)
	الآغانى (كتاب لإبراهيم الموصلى وإسماعيل أن جامع وطلح بن العوداء)

الفهرس الأبجدى الثالث

بأسماء الرجال المذكورين فى "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن فى الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٠٨٢٦٩٠٩	آدم (أبو البشر) ٣٨
١٠٩٠٩٩٠٩٨٠٩٧٠٩٤٠٩٤٠	آزاد مرد (حاجب يزدجرد) ١٢٦٦١٢٥
٠١٢٤٠١١٩٠١١٥٠١١٠	إبراهيم (الى) ١٠٧٠٩٤٣
- ١٨١٠١٨٠٠١٥٥٠١٥٣	إبراهيم الخزازى ٣٦٠٣٦
٢٠٣٠١٨٥	إبراهيم بن السندى بن شاهك ١٢٠١٢
أحمد بن أبى خالد الأحول من مشاهير	١٩١٤
الأئمة [١١]	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
أحمد بن أبى دؤاد [من مشاهير الأئمة ١١]	على بن أبى طالب ١١١٤ ١١١٤ ٨١
= ابن أبى دؤاد	إبراهيم بن عثمان بن عتيك ١٤١
أحمد بن الأمين الشنقيطى ٤٤	إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بأبن شكة)
أحمد بن سهل = أبو زيد البلخى	١٦١٠٨٥٠٤٨٠٤٣٠٤٢٠٣١٠٢٣
الأمير أحمد بن سهل ٨٩	إبراهيم الموصلى (الغنى) ٣٦٠٣١٠٢٣
أحمد بن عبد الرحمن الخزازى ١٣	٠٤١٠٤٠٠٢٩٠٣٩٠٣٨٠٣٨
أحمد بن محمد بن نصر الجيهانى ١٩٢	٤٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٦٣١، ٦٣٢
٦٤٣، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٣٩، ٦٣٧، ٦٣٢
١١٠٦، ٤٥٤، ٤٣

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الحماني [من مشاهير الأئمة] ١١

أسد بن عبد الله (والى خراسان) ٢١٠

الإسكندر (ذو القرنين) ١٩، ٢٩، ٦٠، ١٠٩

١٢٣

أسماء بن خارجة الفزاري ٦٠، ٦٠، ١٩٩

إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع

أسيد بن عبد الله الحزاعي ٣٣، ٣٣، ٣٣

الأشدق ٦٦، ١٩٨، ١٩٩ = عمرو

ابن سعيد بن العاص

الأشعث ١٦١

الأصمعي ٤٤، ١٥٥

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦

الأعشى (شاعر تمندان) ٨٤

إمرؤ القيس ٣٨، ٤٥

الأمين (الخليفة العباسي) ٣١، ٤٢، ٤٤، ٧٤

١١١، ١٩٤

ابن أنس = السيد بن أنس الحميري

الأب أنطون صالحاني اليسوعي ١٢٢

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨، ٣٨، ٤٦، ٤٤

٥٤، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٩٠

١٠١، ١١٩، ١٢٤، ١٣٨

١٤٩، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ٢٠٠

إيتاخ ١٢٧، ١٢٧

الأحنف (واسمه أبو بحر الضحاك بن قيس)

وهو المشهور بالحلم ٣٩، ٣٩، ١٩٩

الأخوص الشاعر ١٤١

أبو أحيحة ٤٧، ٤٧، ١٩٦ = سعيد بن العاص

الاضطل الشاعر ١١٠، ١٣٢، ١٣٢

١٣٣، ١٧٥

ارادمرد (حاجب يزدجرد) [صوابه آزادمرد]

أردشير بن بابك ملك الفرس وأزل بنى ساسان

٢٥، ٢٥، ٢٤، ١٥، ١٣، ٢٥

٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٨، ٤٧، ٥٤

٥٥، ٨٩، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤

٩، ١٤، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨

٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس) ولعله

الأردوان الأصغر ٣٩، ٢٩، ١١٨، ١٥١

الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهوان

بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية

الذي تله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك فارس) ٢٩

أزبك (الأتا بكي) وهو من بني الأزيكية

بالقاهرة) ٧٨

أسامة بن منقذ ٢٠٦

إسحاق ١٧١ = إسحاق بن إبراهيم المصعبي

إسحاق بن إبراهيم المصعبي (حاكم بغداد في

أيام المأمون) ١٣، ١٣، ٣١، ٣١

١٧٠

﴿ ب ﴾

بَقِيلَة = ثعلبة بن سنين	بابك الخُزَمِي ١٢٧
أبو بكر الصَّدِّيق (الخليفة الراشد) ٨٦	بابل بن قيس الجُدَامِي ٦٠
أبو بكر الهُتَلِي ١١٤٤ ١١٩٨ ١٩٩٦	أبو بحر الضمَّحَاك = الأحنف
بلال بن أبي بُردة [من مشاهير الأئمة ١١]	ابن بَحْتِيشُوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٤ ٣٧
ثم ١٩٣٤ ٢٠٠٦ ٢٠٠٦	برصوما الزاهر (رأسه إسحاق) ٣٩٤ ٢٨
بندار بن خورشيد ٥٥	٤١٤ ٣٩
بهرام جود بن يزجود (ملك القرس) ٢٨٤	أبو البرق الشاعر ١٧١
١١٩٦ ١١٨٦ ١٠٠٦ ٣٣٦ ٣٠	بسرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١
١٢٠٦ ١٢٤٦ ١٢٥٦ ١٤٩٦	بشار بن بُرد الأعمى (الشاعر) ٨٦
١٥١٦ ١٥٣٦ ١٥٩٦ ١٦٤٦	بشر بن عبد الملك بن مروان ٦٠
١٦٥٦ ١٦٦٦ ١٧٧٦ ١٧٨٦	بطرس غالي باشا رئيس محاسن النظار وناظر
١٧٩٦ ١٨٠٦ ٢٠٩٦	الخارجية كان ١٥٦

﴿ ث ﴾

ثُمَامَة بن أنس ٢١٠٠ ١٩٠٠	ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨
	ثعلبة بن سنين المشهور ببقيلة (ويُسَمَّى أيضا
	الحارث) ٨٢.

﴿ ج ﴾

جبريل (الملك) ٢٤	الجاحظ (في براضع متفرقة من حواشي
جبريل بن بَحْتِيشُوع (الطبيب) ٣٧	الكتاب وتكثير الروايات)
جبريل بن الحطَّاف (الشاعر) ١١٠٠ ٨٦	الجارود بن أبي سبرة (يرقب بأبي معضل)
١٣٣٦ ١٣٢٦	١٩٣٤ ٢٠
جبريل الطبري ٢٠٩	إبن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨٤ ٣٦ ٢٣
جبريل بن عبد الله البجلي الصمغاني ١٣٤	٤١٤ ٣٩ ٣٩ ٣٨

أبو جعفر = المنصور (الحليفة العباسى)	أبو جعفر بن درهم مؤيد بن غفلة ١٠٧
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب	٢٠٤
المالكى = ابن الحاجب	جعدة بن هبيرة ١٩٥
جندب (اسم محبوبة) ٣٨	ابن جعدة ١٠٧٦ = سعيد بن عمرو
الجهم = محمد بن الجهم	ابن جعدة بن هبيرة المخزومى
الجهم العدوى ٨٩	جعفر بن سليمان بن على ١٠٤
	جعفر بن يحيى البرمكى ١٠٤٨ ١٠٦٦ ١٠٦٦ ١٤٢١ ١٤٢١

﴿ح﴾

أبو حسان الزياتى ٤٨ ٤٨٦ ١٩٤٦ ١٩٦٦	أبو حاتم السجستانى ٢٠٩
١٩٧٦	حاتم الطائى ٤٣
السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قلعة القاهرة ١٥٦	حاتم الكيال [له حفص الكيال - وهو من مشاهير الأكلة] ١١
أبو الحسن بن أبى بكر العلاف [من مشاهير الأكلة] ١١ (تأخر ١٨٩)	ابن الحاجب المالكى ١٦١
الحسن بن سهل ٥١	الحارث = ثعلبة بن ستين
حسن صديق خان (ملك بهوبال بالهند) ١٩	الحجاج بن يوسف الثقفى [من مشاهير الأكلة] ١١ ٤٧ ٤٨٩ ١٣٢ ١٩٩٦ ١٩٣٦ ١٦٩٦ ١٣٣٣
الحسن بن على بن أبى طالب ١٠٣ ١٤٦ ١٤٤	أبو حذيفة بن اليمان الصعابى ١٠٨
الحسن بن قريش (من أصحاب المأمون) ٤٩٦ ٤٩	أبو حذابة (وهو الصواب بدلا من ابن خرابة) ٢٠١
الحسين بن أبى سعيد (من محباب المأمون) ٤٩	حرزة (بنت جرير الشاعر) ١٣٤
الحصين الكلى (هو القطامى ، والد الشرقى بن القطامى) ١١٥	أم حرزة (زوجة جرير الشاعر) ١٣٤
	حسان بن ثابت (الصعابى الشاعر) ٨٦

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢٠٨	أبو	الحطينة (الشاعر) ٢٠
حمزة (الخارجي) ٢٠٥		حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير
حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤		الأئمة] ١١٦١١
حنين (المنفى العبادي) ٨٤		حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة
خوشب (اسم رجل في بناء) ٨٢		معارية) ٨٩

﴿ خ ﴾

خرابة ٢٠١ [رسواه : أبو حامة]	ابن	أبو خارجة [من مشاهير الأئمة] ١٩٠
الخطفي		خالد بن صفوان ١٩٩
والخيطفي		خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧
خلف الأحمر ١١٧		خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢
الخيزران (أم الرشيد) ٨٥		خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية)
		٢٠٠٦٥.

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأئمة] ١١	ابن	دأب ١٧، ١١٦، ١١٦٤، ١١٧٤، ٢٠٥٠
دين أبي دؤاد القاضي ١٦١٤٥٠٤٨		داود (النبي) ٨٨
دورق القصاب [من مشاهير الأئمة] ١١		داود بن أبي داود ٥١

﴿ ذ ﴾

أبو ذبان = عبد الملك بن مروان

﴿ ر ﴾

رسته (غلام كسري أبرويز) ١٨١١		الربيع بن خيثم ٨٩
١٨٣٤، ١٨٢		الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٤١٦، ١٢

الروح الأمين = جبريل	الرشيد (الخليفة العباسي) ٢٣٦٣٧٦٣٧
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي	٣٨٦٣٩٦٤٠٤١٤٢٤٣
(ركنيته أبو زُرعة) ٦٠٦٠٦١٣	٤٦٥٠٦٠٦٦٦٦٦٨٠
١١٧٦١٣٠١٣١١٩٩	٨١٦٨٥٦٨٧٦٩٣٦٩٤
روح بن القاسم (من المحدثين) ٦٠	١١١٦١٩٦١٤١٦١٤٢
ذر الراسيتين = الفضل بن سهل	١٥٣٦١٥٤١٧٠
رسول الله = محمد	ذر الرمة (الشاعر) ٢٠٦٢٦
	رؤبة بن العجاج ١٠٦١٩١٩١

﴿ ز ﴾

زهير بن أبي سلمى (الشاعر) ٣٨	زاذان فروخ الأعور ١٩١
ابن الزيات (الوزير العباسي) ١٦١	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زياد ابن أبيه ١٥٦١٥٦١٦٩٢٠٦	الزجاج (النحوي اللغوي) ٨٦
زيد البلخي ٨٩	زرزور (الغني) ٤٣٤٤٤٤٤
زيد (مولي عيسى بن نبيك) ١٤٠١٤١٤٢١٤٢	ززل (منصور الضارب بالعود، من آلات الملاهي)
زيد مائة ٣٩	٣٨٦٣٨٦٣٩٦٤٠٤١
	زهران [من مشاهير الأكلة] ١١

﴿ س ﴾

سعيد بن العاص = أبو أحيحة	سابور ذو الأنخاب (ملك فارس) ١٥٦
سعيد بن عثمان بن عفان ٨٩٢٠٣	١٦٦٣٣٦١١٨٦١٥١٩٢
سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة	سبطيح (الكاهن) ٨٢
المخزومي ١٠٦	سعيد بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)
سعيد بن مرة الكندي ٨٧٦٨٨	الباهلي ٥٤٨٠٨٠٨١
	١٩٨٢٠٣

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤	سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان البصري) ٤١٤٤١
سليمان بن سلامة ٣٩	السفاح (الخليفة العباسي) ٣٥٠٣٤٠٣٣
سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي [من مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٠٣٤٣٢	٤٨١٤٨١٤٥٩٤٥٨٤٥٨٤٣٧
١٥٥٤١٥٤١٥٢٤١٠٤	٤١٠٨٤١٠٦٤١٠٣٤٩٢٤٨٢
سليمان بن مجالد ٢٠٤٤١٠٨	٤١٥٤٤١٥٢٤١٢١٤١١٤
سليمي (اسم محبوبة) ٣٩	٢٠٤٤١٥٥
أبو السمع = شرحبيل بن السمط	أبو سفيان ٥٦
سفيد (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠	سلم بن زياد ١٩١
السيد بن أنس الحميمي ٨٨	سلمي ١٩٨ (هو اسم أبي بكر المذلي)
	سلمي (اسم محبوبة) ٣٨
	سلم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩
	سلم بن مجالد (صوابه سليمان)

ش

شكلة (هو أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣	الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠
شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام كسرى أبرويز) ١٨٠٤١٨٠٤١٨١٤١٨٥	شاه پور = سابور
شهر يار = شهر براز	شبابه (من رواية الحديث) ٤
شهر يزار (هو مخرب من الناصبيين لاسم شهر براز)	ابن شرمه ٨٤
شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥	أبو شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي
شيخو (الأنابكي سيف الدين العمري، صاحب المسجد المشهور باسمه الآن في القاهرة) ١٥٦	شرحبيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب في كتبهم "شيري" أيضا) ٩٦٩٠	شرحبيل بن السمط (وكنيته أبو السمح وأبو يزيد) ٧٩
١١٠٦١٠٩٤٥٥٤٥٠	الشرقي بن القطامي أو شرقي بن القطامي ١١٥٤١١٥
شيري = شيرويه	القاضي شريح ١٦١
	الشعي ١٩٧٤١١٤٥٤٤٥٤

﴿ ص ﴾

صباح بن خافان المِثْقَرِيّ ١١٠، ١١٠، ٢٠٥	الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين الأيوبِيّ
---	--

﴿ ض ﴾

ضرار بن عمرو (من سادة ضَبَّة) ١١١	الضحاك = الأحنف ضرار بن الشماخ (ويلقب بمزرد) ١٩٠
-----------------------------------	---

﴿ ط ﴾

طويس (المُنْفَى) ٢٠٣، ٨٩	طاهر بن الحسين ١٩٤، ٣١ طاهر ذو اليمينين ٧٤
--------------------------	---

﴿ ع ﴾

عبد الأعلَى بن عبد الله بن عامر بن سُكَيْرِز القرشيّ ٢٠	عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العادل الأيوبيّ [سلطان مصر، من مشاهير الأئمة] ١١
عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى نراسان) ٥٩	أبو العالية [من مشاهير الأئمة] ١١ عائشة أم المؤمنين ٦١
عبد الحميد الثاني (سلطان آل عثمان) ٤٢	الحاجّ تيّاس حلمى الثاني خديو مصر ١٥٦، ١٥٧
عبد الرحمن الحترانيّ ١٣	العبّاس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨
عبد الرحمن بن عليّ الهاشميّ (عم الخليفة المصور) ٥٩	أبو العبّاس = السفاح
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩	أبو العبّاس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤
عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس ٢٠٨	أبو العبّاس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعيّ
عبد الرحمن = عبد الله بن عمرو بن الخطاب ابن	أبو العبّاس (كنية قُرْعُون موسى) ٤
عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطاط الذي يروى عنه المقرئ) ٦٤	

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب	عبد الملك بن مهمل الهمداني ١٣٤
٨١٤٨١	عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي
عبد الله بن الزبير ٦١٩٨٦٥٦٠٦٥٩	٣٥٠٣٤
٢٠١	عبد الملك = مروان بن محمد
عبد الله بن طاهر (كنيته أبو العباس) ٦٧٤	أبو الجعدى
١٥٠	أبو عبيد (اللقب) ٢٤
عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن	عبيد الله بن زياد بن أبيه [من مشاهير
أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق	الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
عبد الله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المصور	عُتبة بن غرّوان ١٠٩
العباسي) ١٤٣٦٥٩	أبو عتيق ٢٠٧٦١٣١٦١٣٠٦١٣٠
عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٣٠٦٦٠	عثمان بن شيخ الشيوخ (نصر الدين
١٣١٦١٣٠	وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين
عبد الله بن مالك الخزاعي ٨١٦٨٠	الأيوبي وكان إليه أمر الملكة) ١٦١
٩٣٦٩٢	عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٥٩
عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي	٢٠٣٦١١٩٤٨٦٦٧٩
(شاعر الأئمين) ١٩٤	عثمان بن نهيك ١٤٢٦١٤١
عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقليلة	عدي بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل
الغسان) ٨٢	الحيرة) ٨٤
أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدى	عمرو بن أدية (وهو عمرو بن حدير
عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٥٤٤٨	أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦
عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)	عمرو بن أدية (شاعر فريش) ١٢١
٦٠٦٥٩٤٥٠٦٤٧٦٣٦٣٣	عمر الدين (وهو عبد العزيز بن عبد السلام
٦١١٧٦٩١٦٩١٦٥٦٦٥	المنهوريه لطان العلماء) ١٦٢٦١٦١
٦١٣٠٦١٢٠٦١١٩٦١١٩	العزّي (من آله العرب) ١
٦١٣٣٦١٣٣٦١٣٢٦١٣١	عقيل ١٩٥
٦١٦٩٦١٥٥٦١٥٤٦١٥١	عقيل ١٣٢
٢٠٢٦٢٠١٦٢٠٠٦١٩٩	أبو عقيل ١٣٢

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ٢٠٢٦٢٠١٦٦٥٦٩٥٦٥٩	العكى ١٤٣٦٤٣
عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٥٣	علويه الأعسر (وهو أبو الحسن طي بن عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣
عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأتكة] ١١	علي بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق) ٨٨
عنيسة بن إسحاق (وال مصر) ١٩٧	علي بن أبي طالب ٧٩٦٥٩٦٥٥
عنيسة بن زياد (لله مصحف من عبيد الله أبن زياد) ١٩٠ (وأظفر ١١)	١٠٩ ١٣٤ ١٦١ ٢٠٤ ٢٠٨
أبر عون = عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدى	ذو العمامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٤٤٤
أين عياش ١١٤٦٥٩٦٥٩٦٥٨	١٦٨ ١٦١ ١١٩ ٨٨٦ ٢٠٨٦١٩٥٦١٦٩
عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي ٨٣٦٨٢٦٨٢	عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى) ٣٣ ١٦١٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٢٦٩١٦
عيسى بن نبيك ١٤٢٦١٤١	عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧
عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = أين دأب	أين عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب عمر والغزال ٣٩

خ

خلفاء بن الحارث = الموسوس معد يكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرحبيل بن الحارث.

ف

الفراء ١٢٣	أد مير الفتح بن خاقان (الوزير العباسى، الذى ألف المحظ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٦٤
أبر الفرج الأصهباني (صاحب كتاب الأعالي) ٢٣٦٢٢	نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ
فرخان (أخو شهر براز) ١٨٣	

الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠	الفرزدق (الشاعر) ١١٠ ١٢٣ ١٤٧
فليح بن العوراء (المتن) ٢٣	فرعون (ملك مصر) ٣
فورسكال (عالم نبات سويدي) ١٩٥	الفضل بن الربيع (من رجال الرشيد)
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠	والأمين ١٤٢ ١٤٤
	الفضل بن سهل (ذوالياستين) ٤٨ ٤٩

ق

القرنين = الإسكندر	ذ	قاسم التمار [من مشاهير الأئمة] ١١١ ١٨٩
القُطامي = الحُصين الكلبى		القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩ ٤٩
قف الملقم [من مشاهير الأئمة] ١١		أبو القاسم الكعبى ٥٨
قلافس الإسكندري ٢٠٧	ابن	قايتباى (سلطان مصر الشهير بآثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة) ٧٨ ٧٨
قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦	أبو	١٥٧ ٢٠٢
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري		قباد (ملك الفرس) ٧٨ ٧٨ ١٠٥
٢٠٤ ١٠٩		١٠٦ ١٠٧ ١١٨
		قباد بن فيروز بن يزيد جرد ١٥٥
		قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن
		عبدالله بن عباس ٦٦ ٦٦

ك

كيشاسف (لعله يستأسف ملك الفرس) ١١٩	كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨
كيومرث ١٨	كسرى ١٦٦ = كسرى أبريز
	كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

ل

لقمان الحكيم ١٩٦	اللات (من آلهة العرب) ١
لوط بن مخنف ٢٠١	لطم الشيطان = عمرو بن سعيد بن
الاب لويس شيخو اليسوعي ١٢٨	العاص الأشدق



محمد بن الحسن بن مصعب ١٥٠٦٧٤

مالك (رجل بن دارا) ٨٢

محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر

الداخلية بمصر سابقا ١٥٧

محمد هارف باشا (طابع كتاب محاضرات الأدباء

ومحاورات البلغاء للراغب الأصفهاني) ١١٩

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
أبن علي بن أبي طالب (وهو المشهور

بالنفس الزكية) ٨١

محمد بن عمران ١١٧

محمد بن عيسى بن علي الهاشمي ١٢

أبو محمد = عبد الملك بن مهلهل الحمدي

أبو محمد ١٧١ = (موسى بن صالح بن شيخ)

المخلوع = الأمين الخليفة العباسي

» = عبد الحميد الثاني من آل عثمان

المدائني (من أكابر مؤلفي المسلمين في العصر

الأول) ١٤١٤٨٢٤١٥٤١٢

المراغة (أمير الشعراء على أحد الأقوال) ١٣٣

أين المراغة (كنية جبر الشاعر) ١٣٣٤١٣٣

أين مرة = سعيد بن مرة الكندي

أبو مرة (كنية فرعون موسى) ٤

أبو مرة [من مشاهير الأئمة] ١١

مروان بن الحكم (الخليفة الأموي) ٣٣٢

١٩٩٦٥٦٠

مازيار المضحك (عند أحد الأكاسرة) ١٣٠

المأمون ٤٤٥٤٣٤٤٣٤٤١٤٣١٤١٣

٤٧٤٤٥٤٤٥١٤٤٩٤٤٩٤٤٨

٤١٣٦٤١٣٠٤١١٧٤١١٤٨٨

٤١٧٠٤١٥٥٤١٥٤٤١٥٣

١٩٨٤١٧١٦١٧٠

ماني الثنوي (القائل بالنور والظلام) ١٨٤

٢١١

التوكل (الخليفة العباسي) ١٢٧٤٤٨٤٩

١٩٧

مجاهد (من رواة الحديث) ٤

أبو مجرم = أبو مسلم الخراساني

محمد (رسول الله) ٨٦٤٨٥٤٦٩٤٦٩٤٦٩

٤١٣١٤١٣٤٤١٠٨٤١٠٣٤٨٨

١٧٧٤١٤٠٤١٣٥

محمد بن إبراهيم الهاشمي ٩٤٤٩٣٤٩٣

محمد بن إدريس = الشافعي

محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعب

[من مشاهير الأئمة] ١١

محمد بن بشير المصري قاضي القضاة

قرطبة ٢٠٨

محمد بن الجهم ٥١

محمد بن الحارث بن بشخير ٣١

محمد بن الجتاج بن يوسف الثقفي ١٣٣٢

١٣٤٤١٣٣

المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٢٣
 ٦١٢٧٦ ١٢٠ ٤٨٦ ٤٨٦ ٣١
 ١٨٦٦ ١٥٥٦ ١٥٤ ١٥٣ ١٢٧
 المعتصم بن عباد (صاحب إشبيلية بالأندلس)
 ١٦٦
 المعتصم على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠
 معد يكر ب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
 المُفسرة ٨٨
 مفضل ١٩٣ = الجارود بن أبي سبرة.
 مقاتل بن حكيم العتي ١٤٣ = العتي
 مقدم (من رواية الحديث) ٤
 المُقَفَّع ٢٤٦ ١٩
 مناة (من آله العرب) ١
 مُنَاذِر (الشاعر) ١١٧
 مُنْذِر بن سعيد البلوطي قاضي فضاء
 قرطبة ٢٠٨
 المنصور (الخليفة العباسي) ٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة العباسي، وأسمه
 عبد الله بن محمد) ١٢ ٦ ٣٤ ٦ ٣٥
 ٦١١٠ ٦٩٤ ٦٨٣ ٦٨١ ٦٥٩ ٦٣٧
 ٦١١٢ ٦ ١١٢ ٦ ١١١ ٦ ١١١
 ٦ ١١٦ ٦ ١١٥ ٦ ١١٤ ٦ ١١٤
 ٦ ١٤١ ٦ ١٤١ ٦ ١٤٠ ٦ ١٤٠
 ٦ ١٥٥ ٦ ١٥٤ ٦ ١٤٣ ٦ ١٤٢
 ٢١١ ٦ ١٩٧ ٦ ١٧٦ ٦ ١٦٩
 منصور زلز = زلز
 منصور الضارب بالعود = زلز

مروان الحار، مروان الفرس =
 مروان بن محمد الجعدي
 مروان بن محمد الجعدي (آخر خلفاء بني
 أمية بالشرق) ٣٢ ٦ ٣٤ ٦ ١٠٦ ٦
 ٦ ١٥٥ ٦ ١٥٤ ٦ ١٥٣ ٦ ١٤٠ ٦ ١٠٧
 ١٧٦ ٦ ١٧٥
 مزود ولعله مصنف عن مزرد [من مناهير
 الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
 المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) ١٦٢
 مسرور (خادم الرشيد، وكنته أبو هاشم)
 ٦٦ ٦ ٦٦
 أبو مسلم الخراساني (صاحب الدعوة العباسية)
 (وأسمه عبد الرحمن، ونيزه أبو مجرم) ٢٣٢
 ٦ ١٧٦ ٦ ١٧٦ ٦ ٨٢ ٦ ٨٢ ٦ ٥٩ ٦ ٣٤
 ٢١١
 المسيب بن زهير السبي (من رجالات
 المنصور العباسي) ١١١ ٦ ١١١
 مصعب بن الزبير ١١٠ ٦ ١١٩
 معاذ الطبيب (المنفي) ٣٦
 معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي [من
 مناهير الأئمة ١١] ثم ١٤ ٦ ١٥٠ ٦ ١٤٦
 ٥٦ ٦ ٥٥ ٦ ٥٥ ٦ ٤٦ ٦ ٣٢ ٦ ١٥
 ٥٨٩ ٦ ٨٨ ٦ ٧٩ ٦ ٧٩ ٦ ٦٠ ٦ ٥٧
 ٦ ١١٩ ٦ ١٠٩ ٦ ١٠٣ ٦ ١٠١
 ٦ ١٥٥ ٦ ١٥٤ ٦ ١٣٦ ٦ ١٢٠ ٦ ١١٩
 ٢٠٦ ٦ ٢٠٤ ٦ ١٩٩ ٦ ١٧٥ ٦ ١٦٩

هزيمة بن أعين ١٩٤	هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]
هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) ٣٣ ١٠٦ ١٠٧ ١١٢ ١٥٢ ١٤٠ ١٤٠ ١٥٤ ١٥٨ ١٧٦ ١٦١ ١٥٥ ١٥٤ ٢٠٦ ٢٠١	١١ هلال بن مسعر التيمي = هلال بن الأسعد "زوجه" [من مشاهير الأئمة] ١١ أبو همام السنوط (أو السوط) [من مشاهير الأئمة] ١٨٩ الهيثم بن عدي (من أكابر مؤلفي السليبي في مصر الأول) ١٤١ ١٤١٥
هلال بن الأسعد (أو ابن أشعر أو ابن مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١٩-١١١	



الواثق الخليفة العباسي [من مشاهير الأئمة] ١١	الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٣-٣٠ ١١٩ ١١٤ ٩١ ٨٥ ٦٠ ١٥٥ ١٥٢
ثم ١٣ ٢٣ ٣١ ٤٨ ٤١ ٢٠ ١٥٤ ١٥٣ ١٢٧	الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ١٥٤ ١٥٢ ٣٢ ٤٩
أبو وائل ٨٩	أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤
ورقاء (من رواية الحديث) ٤	أبو الوليد = ابن دأب
الوليد بن الحُصَيْن الكَلْبِي = الشَّرْقِيّ	
أبن القطامي	



يحيى بن أكثم ١٦١	يزدجرد (آخر الملوك الساسانية) ٢٨
يحيى بن خالد البرمكي ٨١	يزيد بن شجرة الزهاوي (دكتته أبو شجرة) ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٥
يزدجرد (أبو بهرام) وهو المعروف بالأنيم والمليم	يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٢ ٣٠
١١٨ ١١٩ ١٢٤ ١٦٣ ١٧٧ ١٦٤ ١٦٣	

يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١ ،	أبو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نبيك
١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٣٦١١٩	يستاسف ١١٨
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة	الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،
الأموى) ٩١٠٦٦١٥٣٦١٥٤٦١٩١٦	كاشف الكشاف بمصر ١٥٧
أبو يزيد = شرحبيل بن السمط	ذو العينين = طاهر

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية ١٠٦٤٤٨ ٢٧ ٢٤ ٢٢ ١٨٦١٧٦١٥٥	الروم ١٨٠٤٨٠٤١٨٠٤١٨١٤١٨١ ١٨٥٤١٨٣ الرويدية (عل سوابه : الزريدية)
بنو عبد شمس ١٩٦ آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥	﴿ز﴾ الزنج ١٨ بنو زهرة ٢٠٤ الزويدية ١١١٤١١١
العجم ٢٤ ٢٢ ١٩ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ٥٨ ٣٠ ٣٩ ٢٨ ٢٦ ٢٦ ١٠٥ ٨٠ ٧٨ ٧٢ ٦٩ ١٢٩ ١٢٥ ١٢٢ ١١٤ ١٦٣ ١٤٦ ١٣٩ ١٣٨ ١٦٨ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ٢١٠ ١٧٤ ١٧٣	﴿س﴾ ساسان (آل ربنو) ٤٧ ١٨ ٩ ٤٥ ١٤٥ ١٣٤ ١٠٩ ٩٩ ٨٣ ١٦٧ ١٦٥ ١٦٣ ١٥٩ بنو سنيين ٨٢
العرب ٥٥ ٣٠ ٢٦ ١٩ ١٥ ١٥ ١٥ ١٠٣ ٩٢ ٨٥ ٧٥ ٦٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١٠٨ ١٤٧ ١٣٠ ١٢٣ ١١٧ ٢٠٨ ١٧٦ ١٧٤ ١٧٣ ١٥١	﴿ش﴾ شيان ١١٢ ﴿ض﴾ ضبة ١١١ ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١
العلويون الفاطميون ١٦٢ ﴿ف﴾ الفرس = العجم الفرنج ١٦١ الفرنسيون ١٠١ بنو قزارة ٦٠	﴿ط﴾ الطبردارية (طائفة بن جيش الماليك بمصر) ١٦٦ الطوائف (ملوك) ١٥١ ١٣٩ ٢٩ ﴿ع﴾ عاد ٨٣

بنو مروان ٢٠٢	﴿ق﴾
المشاركة ١٦٦	قريش ٦١٣٠٦١٢١٦٨٤٦٥٦٦٥٦
المضرية ١٣٣	٢٠٦٦١٩٦
بنو معاوية ٧٩	أهل القصر (أهل بيت الملك في أيام الفاطميين
المماليك (بصر) ١٥٦٦١٤٢	بالقاهرة) ٦٤
المنانية = المناوية	قيس ١١٥
المهاجرون ٥٧	﴿ك﴾
﴿ن﴾	كَلْب ١٣٤
النَّبَط ٢٩	الْكُود ١٧٦
﴿ه.﴾	بنو كليب ١٣٣
بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨	﴿م﴾
المولنديون ١٠١	المناوية ٢١٠
	المجوس ٧٧٦١٥
	مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٦٥٦٦٥٦

الفهرس الأبجدى الخامس والأخير
بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها

بركة زلزل (بغداد) ٣٨
البصرة ٦٨٤٦٧٨٦٦٦٥٨٦٢٤٦٢٠
١٩٣٦١١٧
بطحاء ذى قار = ذو قار
بغداد ٦٤٩٦٤٨٦٣٨٦٣١٦٢٢
٦١٦٢٦١٤٧٦١٠٤٦٨٤٦٧٨
٢٠٩٦١٩٧٦١٩٤٦١٧٠
بلغ ٩٩
بوشنج ٧٥٦٣١
البيت الحرام وبيت الله الحرام = الكعبة
بيسان ٧٩

﴿ ت ﴾

تهامة ١٢٧

﴿ ج ﴾

جامع آبن طولون (بالقاهرة) ٣٥
جامع العسكر (بالقاهرة) ٣٥
جامع الفاكهاني (بالقاهرة) ٦٤

﴿ ا ﴾

آسيا الصغرى ٥٥
أجنادين ٧٩
أحد (جبل) ١١٤٦١٠٨
أذربيجان ١٠٦٦٨١
أرمينية ١٠٦٦٨١٦٨٠
الأزبكية (علة بالقاهرة) ٧٨
اصطخر ١٥
إفريقية (تونس الآن) ١٧٥
الأنبار ٨٢
الأندلس ٢٠٨٦٢٦
إنواتيل = ذو السرح
الإيوان (قلعة القاهرة) ١٥٦
الإيوان (إيوان كبرى) ١٧٤٦١٦٣

﴿ ب ﴾

بندر ١١٤
برقة ٣٥

دائرة جُفْل ٤٥	الجبابات = ذوقار
دجلة ١٩٧	الجزيرة (أي ما بين النهرين) ١٠٧٤١٠٦٤٨٠
الدُّخُول ٣٨	﴿ح﴾
دِمَشَق ١٦١٦٣٤	الحجاز ١٢٧٤١١٦٦٦٠
الديار المصرية = مصر	حُلوان (مدينة بالعراق المجسى) ٧٨
﴿ر﴾	حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨
رمل الإسكندرية ١٥٧	يَخْص ٧٩
الرُّها (وأي الآن أوردية) ٥٥	الحِنُو = ذوقار
الرَّوْضَةُ الشَّرِيفَةُ (الحرم الملقب) ١٣١	حَنُودِي قار = ذوقار
الري ١١٦	حَنُو القراقر = ذوقار
بلاد الروم ٦٢	حَوْمِل ٣٨
﴿ز﴾	الحيرة ٦١٦٤٦١٥١٦٨٤٦٨٣٦٨٤٦٨٢
الزَّاب (أرض الموصل) ١٠٦	١٦٦
﴿س﴾	﴿خ﴾
ذو السَّرْح (موضع بشقيط) ٤٤	نُرَّاسان ٦٥٨٦٤٩٦٣٥٦٣٣٦٣١
ذو السَّرْح (موضع ببلاد العرب) ٤٤	٦١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٦٧٤٦٥٩
ذات السَّرْح (موضع ببلاد العرب) ٤٤	٢١-٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦
السَّرْحَة (موضع ببلاد العرب) ٤٤	﴿د﴾
سَرَّخَس ٤٩	دار السلام = بغداد
سَرْمَنْ رَأْي (مدينة بالعراق) ٨٤٦٧٨	دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

﴿ش﴾

الشم ١٤١٦٨٢٦٠٦١٥

شيب القناطر = شيب القناطر

الشرقية (أحد شق بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٤٨ (وأنظر ١٩٧)

الشقيف (قلعة بالنام) ١٦١

شحيط ٤٤

شيبين القناطر (مدينة بمديرية القلوية من

مصر وأسماها الآن شيب القناطر) ٧٨

﴿ص﴾

صتتين ١٧٥٠٥٧

صبرا ١٦١

﴿ط﴾

طيرستان ٢٠٩

﴿ع﴾

ذات العجروم = ذوقار

أهرق ١٤٢٦٨٤٦٧٨٦٠٦١٥

بلاد العرب ٦٧٤٤٤

بادية أهرق ٢٦

أهسك (موضع كان بمصر القاهرة) ٣٥

﴿غ﴾

بلاد الغرب ٢٦

الغريان ١١٦

﴿ف﴾

فارس ٦٩٧٦٤٦٤٠٦٢٩٦١٣٦٩

١٠٩

الفتالة (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ٦٠٦٣٥

﴿ق﴾

القادسية ٧٩

ذر قار ١١٥٦١٤٦١١٤

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراق = ذوقار

قرطبة ٢٠٨

قطر بل ٣٩

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٦١٥٦

قلعة الشقيف = الشقيف

﴿ك﴾

كازرون (مدينة بفارس) ٧٨

الكعبة ٩٩٦٩٣٦٦٦٦٦٦٦

كلواذ ١٤٧

الكوفة ٦٨٣٦٧٨٦٦٠٦٥٨٦٢٤

١٩٩٦١٩٨٦١١٧٦١٠٦٤٨٤

باب كيسان (بدمشق) ٣٤

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

*P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes pro-
légomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente
édition.*

*On y trouvera des renseignements détaillés et des notes
critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits
conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une
dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.*

*Je crois avoir réussi à prouver que *Djâhîz* est incontestable-
ment l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient
et de l'orientalisme.*

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte, d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayīn" des Persans, au "Ayīn" des Cosroés, à leur "Ayīn" au "Ayīn" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitāb el Tādj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de *Djâhiz* se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de *Djâhiz*. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois*."

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de *Djâhiz* avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamîd II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kutâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre س ; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre ص . Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originaire le titre de كتاب أخلاق الملوك *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre ب du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: كان الأصل سقاماً "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mangour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154, et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 61 et 65.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawṣilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

* *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tnbari lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudi reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudi consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

* * *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude : *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (عبد الله بن عثمان)".

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN, t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والمفارقة de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb البصائر والذخائر de la Bibliothèque de Fatih.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues."⁽¹⁾

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmour, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fît un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmour voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb al Hayawân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chérite qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbasides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complait à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, *Djâhiz* n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

* * *

L'influence de *Djâhiz* s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet *créé* (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ

LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHIE DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZEKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE

(Kitab el Tadj.)

